الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

**جامعة التحـــدي**

**كلية الآداب والتربية**

**قسم التاريخ**

**الدراسات العليا**


# العلاقات الخارجية للدولة العباسية خلال العصر العباسي الأول

(132- 232هـ / 749 – 846م)

**(الجانب السياسي)**


إعـــداد الطالب :

نجيب صالح عبدالدائم

إشـــراف الدكتور :

علي حسين الشطشاط


**قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات الإجازة العليا "الماجستير" في التاريخ الإسلامي**

العام الجامعي

2006 – 2007ف

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

كلية الآداب والتربية — قسم التاريخ / الإسلامي

# العلاقات الخارجية للدولة العباسية خلال العصر العباسي
# 132 – 232 هـ / 749 – 846

إعداد الطالب: نجيب صالح عبد الدائم.

أعضاء لجنة المناقشة: — التوقيع

1- د.علي حسين الشطشاط. .....

2- د.محسن محمد حسن إبراهيم. .....

3- د.بشير رمضان التليسي. .....

يعتمد:
أ. رحمة أبو بنينة عبد السلام
مدير مكتب الدراسات العليا والتدريب
بكلية الآداب والتربية

أ. حمد أحمد الحاج
أمين اللجنة الشعبية لكلية الآداب والتربية

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ
وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات: الآية 13)

# المحتويات


| الموضـــــوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| الآية | أ |
| الشكر | ب |
| المقدمة | 1 |
| **الفصل الأول**<br>**قيام الدولة العباسية** | |
| أولاً- عوامل سقوط الدولة الأموية . | 9 |
| ثانياً- العباسيون وفكرة نشوء الخلافة . | 17 |
| ثالثاً- تنظيم الدعوة ومراكزها . | 21 |
| رابعاً- إحداث الدعوة والوصول إلى الحكم . | 26 |
| **الفصل الثاني**<br>**العلاقات بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية** | |
| أولاً- السفارات الشخصية المتبادلة بين العباسيين والبيزنطيين . | 39 |
| ثانياً- المراسلات والاتفاقيات بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية. | 55 |
| ثالثاً- صور أخرى من العلاقات بين العباسيين والبيزنطيين . | 63 |
| **الفصل الثالث**<br>**العلاقات بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة .** | |
| أولاً- السفارات الشخصية المتبادلة بين الخلفاء العباسيين والملوك الكارولنجيين . | 70 |
| أ- السفارات المتبادلة بين أبوجعفر المنصور والملك بيبين القصير. | 70 |
| ب- السفارات المتبادلة بين هارون الرشيد وشارلمان . | 73 |
| ج- السفارات المتبادلة بين عبدالله المأمون ولويس التقي . | 78 |
| ثانياً- الهدايا المتبادلة بين العباسيين والفرنجة . | 80 |
| ثالثاً- أهداف العلاقات بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة . | 86 |
| **الفصل الرابع**<br>**العلاقات بين الدولة العباسية والدولة الأموية في الأندلس .** | |
| أولاً- علاقة الخلفاء العباسيين مع الأندلس . | 92 |

| الموضـــــوع | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| أ- أبوجعفر المنصور . | 92 |
| ب- محمد المهدي . | 96 |
| ج- هارون الرشيد . | 99 |
| د- المعتصم بالله . | 99 |
| ثانياً- علاقة الدولة الأموية في الأندلس مع الفرنجة والبيزنطيين وأثرها على الدولة العباسية . | 100 |
| أ- مع الفرنجة . | 100 |
| ب- مع البيزنطيين . | 103 |
| ثالثاً- عوامل فشل العباسيين في استعادة الأندلس إلى سلطة الخلافة . | 107 |
| أ- شخصية عبدالرحمن الداخل . | 107 |
| ب- بُعد الأندلس عن مركز الخلافة العباسية . | 108 |
| ج- استقلال بعض الولايات عن مركز الخلافة. | 108 |
| د- حالة الفوضى في إفريقية . | 109 |
| **الفصل الخامس**<br>**العلاقات بين الدولة العباسية والهند .** | |
| أولاً- الإطار الجغرافي للهند والسند . | 112 |
| ثانياً- الأوضاع السياسية لممالك الجوار الهندية خلال بـــدايات الدولـــة العباسية . | 115 |
| ثالثاً- علاقات الخلفاء العباسيين بالهند . | 119 |
| أ- أبوجعفر المنصور . | 119 |
| ب- المهدي وهارون الرشيد . | 125 |
| ج- عبدالله المأمون والمعتصم بالله . | 130 |
| الخاتمة | 138 |
| المصادر والمراجع | 140 |
| الملاحق | 158 |

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

كان للدولة الإسلامية عبر تاريخها الطويل صلات مختلفة في مجالات متعددة مع كثير من بلاد العالم المعروفة وقتذاك ، فمنذ قيام تلك الدولة في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – رحل مبعوثوه في السنة السادسة من الهجرة يحملون كتبه إلى رؤساء الدول الكبرى ، والبلاد المجاورة لدولة الإسلام ، تدعوهم إلى الإسلام والسلام .

والتاريخ الإسلامي وجوانب الأحداث التاريخية متعددة تضرب في عمق الحياة الإنسانية عرضاً وطولاً ، وهي مع تعددها تؤلف وحدة متناسقة لمضمون هذا التاريخ ، وبسطها في المصادر التاريخية المختلفة ، وغمضت بعض الجوانب الأخرى ، أو بدت كذلك فإن ذلك لا يعني عدم وجود تلك الجوانب الأخيرة أو عدم أهميتها في واقع حياة المسلمين .

وإذا كان غالب المؤرخين قد عنوا قديماً وحديثاً بدارسة قيام الدول وأهم أحداثها ووقائعها العسكرية ، وسير الحكام ومناقبهم ، ووقع هذا أيضاً في تاريخنا الإسلامي ، فإن جوانب من هذا التاريخ لتدعو الباحثين إلى تسليط الأضواء عليها، وإبرازها للعيان .

ولا تزال علاقات الدولة الإسلامية تحتاج إلى الدراسة المتوسعة ، والبحث العميق ، ولاسيما في المجالات السلمية المتباينة لمختلف دول العالم ، وفي مختلف العهود الإسلامية ، وذلك بالاعتماد على المعلومات المتاحة في المصادر التاريخية الإسلامية ، وإن كانت محدودة ، والمصادر التاريخية للدول ذات العلاقة مع الدول الإسلامية ، سواءً كانت فرنجية أو بيزنطية أو هندية .

وأرجو أن يكون لهذا البحث – إن أصاب هدفه – نصيب في دراسة بعض صلات الدولة الإسلامية في أحد عهودها الزاهية وهو العصر العباسي الأول

(132-232هـ/749-846م) في مجالات العلاقات السياسية مع بعض دول العالم، والتي تشمل الإمبراطورية البيزنطية المعاصرة للدولة العباسية، والإمبراطورية الكارولنجية والدولة الأموية في الأندلس والهند ، وحتى يتأكد للأذهان أن التاريخ – بوجه عام – والتاريخ الإسلامي بوجه خاص لا يهتم بالمجالات السياسية فقط ، وإنما هو تاريخ الحياة الإنسانية بجوانبها المتباينة ، والتي وجدت حتى في الجانب السياسي الذي هو موضوع الدراسة .

وقد يستطيع الباحثون المحدثون في ظل ظروفهم الحاضرة ووسائل البحث المعاصرة ، وبالإفادة من مختلف المصادر المتاحة عن تاريخ الدولة الإسلامية وعن تاريخ الدول ذات العلاقة بها أن يؤدوا واجبهم في سد الثغرة وملء الفجوة ، والنهوض بحق العلم وتسليط الأضواء على جوانب من تاريخنا والتي مازالت لم تكشف وتتضح كما ينبغي .

هذا ويرجع سبب اختياري لهذا الموضوع ليكون عنواناً لرسالتي إلى الآتي:

1. الرغبة في جمع علاقات الدولة العباسية السياسية وخاصةً في عصرها الأول ، مع الدول المزامنة بيزنطة والفرنجة والأندلس والهند في دراسة واحدة ، لتوفر على الباحثين عناء البحث .
2. تتبع مجريات العلاقات السياسية بصورة أوضح وأدق في تلك الفترة من تاريخ الدولة العباسية .
3. عند التأريخ للعلاقات الخارجية والبحث عن المراحل الأولى لتطورها ، فإنه بدأ للبعض وكأن العرب والمسلمين لم يسهموا فيها بقدر ذي أهمية ، بل ادعى بعضهم أن المسلمين في علاقاتهم لم يعرفوا إلا السيف لمن لم يؤمن بالكتاب ، وألصقوا بالإسلام تهماً ومزاعماً باطلة لا تقوى على الصمود أمام الدراسات الموضوعية ، والبحث العلمي النزيه .

ومن هذا المنطلق ، رأيت أن أعطي صورة تليق بالإسلام والمسلمين في تلك الفترة التي أصبح المسلمين فيها أسياد العالم ، وليس باتساع الأرض فقط ، بل

لما أعطوه من حضارة من خلال علاقاتهم ولإزالة كل هذه الشوائب العالقة في أذهان المجتمعات وبين صفحات الكتب .

أما بالنسبة لأهمية وهدف هذه الدراسة ، فإن أهمية هذا الموضوع كبيرة من بين كافة الدراسات المتعلقة بالتاريخ الإسلامي ، لأنه مع التطور الكبير الذي حققته الاتصالات الدولية ، زادت أهمية العلاقات بين الدول والأمم ، وكان ذلسك مما دفع عدداً من الباحثين لدراستها والكتابة عنها ، ومحاولة التعرف على نشأتها ومراحل تطورها وبيان ما لها من آثار ونتائج ، ومع هذا الاهتمام العام بالعلاقات في الآونة الأخيرة ، كان هدفي أن أخصص هذا البحث الذي أقدمه لدراسة العلاقات في العصر العباسي الأول ومعالجته في هذه المرحلة من مراحل التاريخ التي مرت بها أمتنا الإسلامية ، والدور الذي قام به المسلمون في تكوين وإرساء قواعد العلاقات الخارجية التي تحدد تنظيم مسار الدولة الإسلامية في الخارج لكي تكون دولة لها كيانها وعلاقاتها المختلفة .

أما فيما يتعلق بالمنهج المتبع في هذه الدراسة فإنني اعتمدت على المنهج التاريخي السردي التحليلي والسردي الاستقرائي ، الذي يعتمد على شمولية النظرة، وديناميكية الفكر ، وعمق التحليل .

ولن أزعم أن هذه الأطروحة قدمت منهجاً متكاملاً في دراسة تلك العلاقات نظراً لصعوبة تلك المهمة على الصعيدين المنهجي والمعرفي معاً ، إذ أن المنهجية المتكاملة في دراسة تلك العلاقات تقتضي سيراً عميقاً للمناهج الجزئية في دراستها، وكذلك بالنسبة للجانب المعرفي الذي يقتضي إلماماً واعياً مما أنتجه تطبيق تلك المناهج من معارف وأفكار منثورة في المصادر المتنوعة ، وهو أمر من الصعب أن تجمعه دراسة واحد .

ولعل من أهم الصعوبات التي واجهت هذه الدراسة هي :

1. تنوع مصادر البحث والتي شملت كتب التاريخ والجغرافيا والأدب والفقه ، الأمر الذي اقتضى مني الكثير من الجهد والوقت لانتقاء ما تحتاجه الدراسة

من تلك المصادر ، وتحري الدقة فيها ، ثم تحليل ودمج المادة المنتقاة في بوتقة واحدة ، في إطار الهيكل العام للدراسة .

2. ندرة المادة التاريخية المتاحة في بعض مناحي الدراسة وخاصةً العلاقات مع الهند .
3. صعوبة ترجمة بعض المراجع الأجنبية وخاصةً الهندية والفرنجية .

## الدراسات السابقة :

من الدراسات السابقة التي تعرضت لجوانب من هذا الموضوع :

1. الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول ، حسن بيوض ، منشورات وزارة الثقافة (دمشق ، 1996م) ، درس المؤلف بعض جوانب الرسائل السياسية الخارجية ، ومنها التبليغ والدعوة ، والجزية ، والصلح والفداء ، إلا أن هذه الدراسة جاءت مختصرة جداً نسبةً إلى موضوع الكتاب .
2. العلاقات الدبلوماسية للخلافة العباسية من عام (132-232هـ) لأحمد توني عبداللطيف ، منشورات مركز الإسكندرية للكتاب (الإسكندرية ، 2004م) ، خصص المؤلف الفصل الأول من الباب الثاني لدراسة العلاقات في الميادين السياسية والتي شملت عدد من الأطراف ذات العلاقة مثل البيزنطيين والفرنجة والهنود غير أن هذه الدراسة جاءت مختصرة وبدون تنظيم .
3. العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والأندلس بين القرنين الثاني والثالث تعتبر هذه الدراسة إحدى الدراسات القليلة التي اهتمت بالجانب السياسي بين الدولتين ، حيث ركز المؤلف على دراسة العلاقات منذ بداية قيامها إلى انتهاء الفترة المحددة للدراسة، حيث جاءت وافية وشاملة لموضوع الدراسة.

وقد قسمت موضوع الدراسة إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة ، تناول الفصل الأول " قيام الدولة العباسية" وبدأت بالحديث عن عوامل سقوط الدولة الأموية كمدخل لقيام الدولة العباسية، ثم تطرقت إلى التعريف بالعباسيين وإلى

فكرة نشوء الخلافة، حيث ركّزت على أبرز تنظيمات الدعوة العباسية وعن مراكزها ، وختمت هذا الفصل بأهم أحداث هذه الدعوة حتى وصولهم إلى الحكم وتسلمهم مقاليد الدولة .

وجاء الفصل الثاني للحديث عن " العلاقات بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية" وفيه أبرزت الأحداث السياسية التي مرت بين الدولتين من سفارات شخصية ، ثم جرنا الحديث عن المراسلات والاتفاقيات التي جرت بين الطرفين وبيّنا أسباب تلك المراسلات وما نجم عنها من اتفاقيات ، ثم تناولت صوراً أخرى من هذه العلاقات كتبادل الأسرى والفداء .

واهتم الفصل الثالث بدراسة "العلاقات بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة" وتناولت فيه السفارات الشخصية المتبادلة بين الدولتين ، بدايةً بأبي جعفر المنصور ونهايةً بالمأمون ، ثم دفعني البحث إلى الحديث عن الهدايا المتبادلة بين البلاطين وبيّنا أنواع تلك الهدايا ، وفي نهاية هذا الفصل تطرقت إلى أهداف هذه العلاقات .

أما الفصل الرابع والذي يحمل عنوان "العلاقات بين الدولة العباسية والدولة الأموية في الأندلس" تحدثت فيه عن علاقة الخلفاء العباسيين بالأندلس وبدأت بأبوجعفر المنصور ، الذي قام بعدة محاولات لاسترجاع ما فقد من ممتلكات الدولة الجديدة ، وانتهيت بالمعتصم بالله ، ثم جرني الحديث إلى علاقة الدولة الأموية مع الفرنجة والبيزنطيين وأثر هذه العلاقات على الدولة العباسية ، وختمت هذا الفصل بالحديث عن أسباب فشل علاقات الدولة العباسية مع الأندلس واستعادتها إلى مركز الخلافة .

وجاء الفصل الخامس والأخير للحديث عن "العلاقات بين الدولة العباسية والهند" وذلك بإعطاء لمحة جغرافية وتاريخية عن بلاد الهند ، ثم الحديث عن الأوضاع السياسية لممالك الجوار الهندية خلال بدايات الدولة العباسية مع تبيان الحالة الداخلية التي كانت عليها الهند ، ثم الحديث عن علاقة الخلفاء العباسيين بالهند، وشملت أبوجعفر المنصور والمهدي وهارون الرشيد ، وكذلك عبدالله المأمون والمعتصم بالله .

هذا وقد اعتمدت في كتابة بحثي على عدد من المصادر والمراجع ومن أهم هذه المصادر :-

1. كتاب "أخبار الصين والهند" لمؤلفه سليمان التاجر ، الذي وضعه عام (237هـ/851م) ، ويعد كتابه قيمة موضوعية تاريخية وجغرافية لتاريخ الدولة العباسية وعلاقاتها سواء أكانت السياسية أم التجارية .

وترجع أهمية هذا المصدر أيضاً إلى أنه يصف أحد أبرز الطرق التي ربطت الدولة العباسية بالهند وصفاً وافياً ، وأوضح مسار السفن في هذا الطريق والصعوبات التي واجهت هذه الرحلات ، كما أمدني بمادة وافية ومهمة عن ملوك الهند المعاصرين له ، وأحوال ممالكهم ، وعلاقتهم بالعرب ، وكذلك العلاقات فيما بينهم ، مما وفر للباحث مادةً تاريخية قيمة لمعالجة فصول هذا البحث .

2. كتاب "تاريخ الأمم والملوك" لمؤلفه أبوجعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (310هـ/922م) عمدة مؤرخي العرب في تاريخ العالم ، وهو أول مؤرخ وصل إنتاجه التاريخي مرتباً على السنين منذ بداية التاريخ الهجري إلى سنة 302هـ ، ويعتبر أقدم مصدر كامل للتاريخ الإسلامي خلال الفترة المذكورة ، حيث تعرض كتابه للعديد من جوانب علاقات العباسيين بالفرنجة والبيزنطيين والهند والأندلس ، وأرّخ للفتوحات الإسلامية في الشرق والغرب، وهو يمثل أهمية بالغة ومصدراً لا يستغني عنه الباحث في تاريخ الدولة العباسية في أغلب مجلداته ، مما ساهم ذلك بشكل كبير في إثراء هذا البحث ومعالجة إشكالياته في عدد من الفصول .

3. كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" لمؤلفه أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ، المتوفى سنة (346هـ/957م) ، يحتل هذا الكتاب مكانةً متميزة في هذه الدراسة ، نظراً لما ذكره من مادة قيمة ووقائع حية ، وما يتمتع به المسعودي من منهج ثاقب مدقق ، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى كونه شاهد عيان على الفترة التي زار فيها الهند ، وإلى حرصه على التحقق مما يسمعه

من معلومات ، ومثال ذلك ما قام به عندما قرأ لدى الجاحظ أخبار عن حيوان الكركدن الهندي ، وقيامه بالتحقق من هذا الأمر بنفسه لعدم تصديقه لذلك ، وقد أفاد البحث في عددٍ من الفصول وخاصةً الفصلين الأول والثاني.

4. زد على ذلك "الكامل في التاريخ" لمؤلفه عز الدين أبي الحسن ابن الأثير المتوفى سنة (630هـ/1233م) وهو أحسن ما صنف من كتب في تاريخ العالم الإسلامي على نسق الحوليات ، ويعد هذا الكتاب مصدراً وافياً للعديد من الدراسات التاريخية وخاصةً السياسية والعسكرية والتي لا نجد ذكرها عند غيره من المؤرخين ، مما أفادني في عددٍ من فصول الدراسة وخاصةً العلاقات مع البيزنطيين .

أما المراجع التي اعتمدت عليها فهي كثيرة ومتنوعة ومن أهمها :

1. كتاب دراسات في العلاقات بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية ، لمؤلفه منى حسن أحمد ، تناول هذا الكتاب شرحاً وافياً عن علاقات الدولة العباسية بالدولة البيزنطية ، وخاصةً الجانب السياسي موضوع الدراسة ، والتي اهتمت به المؤلفة مما أثرى البحث بمعلومات جيدة ووافية والذي أفادني في الفصل الثاني .
2. كتاب الدعوة العباسية لمؤلفه محمد بركات البيلي ، عالج هذا الكتاب مرحلة من مراحل البحث وهي قيام الدولة العباسية ، حيث درس المؤلف الدعوة العباسية ومراحلها المختلفة التي مرت بها بالإعداد والتنظيم حتى وصول العباسيين إلى الخلافة .
3. كتاب العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والأندلس خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة ، لمؤلفه عبدالجليل عبدالرضا الراشد ، ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي أفادتني في دراسة علاقات الدولة العباسية وخاصةً مع الدولة الأموية في الأندلس ، الذي توخى صاحبه فيه الدقة والوضوح والاستيعاب للمادة التاريخية ، حيث تحدث المؤلف عن قيام الدولة الأموية في الأندلس حتى وصولها إلى فترة ضاهت فيها الدولة العباسية في

المشرق سواء أكان ذلك على الصعيد العسكري أم التجاري والثقافي ، وقد استفدت من هذا الكتاب وخاصةً في الفصلين الثالث والرابع .

والحمد لله أولاً وآخراً ، الذي بأمره تسير الأمور وتجري المقادير وتجزى الأنفس على ما قدمت .

الباحث

# الفصل الأول

## قيام الدولة العباسية

أولاً : عوامل سقوط الدولة الأموية .

ثانياً : العباسيون وفكرة نشوء الخلافة .

ثالثاً : تنظيم الدعوة ومراكزها .

رابعاً : أحداث الدعوة والوصول إلى الحكم .

## أولاً : عوامل سقوط الدولة الأموية :

إذا كان الطابع المميز لعصر الخلفاء الراشدين هو الطابع الديني ، فإن الطابع المميز للعصر الأموي والعباسي هو الطابع السياسي ، غير أن الملك لم يخلص للأمويين منذ قيامهم في يسر وسهولة ، وإنما قامت الدولة والمعارضة تحيط بها من كل جانب ، واعتمدت هذه الدولة في الأغلب على العنصر العربي دون الأعجمي في القيادة والإدارة باعتبار أن العرب وحدهم يشكلون جوهر الدولة وقيادتها ، ولهذا عُرِفَ هذا العصر إضافةً إلى العصر الراشدي بعصر الدولة العربية ، لأنه العصر الذي أصبح فيه للعنصر العربي سلطاناً قوياً بارز السمات في كل شيء ، فالولاية والقضاء والأرض للعربي ، إلى أن سقطت الدولة الأموية في سنة (132هـ/749م) وقامت الدولة العباسية .

بعد سقوط الدولة الأموية قامت الدولة العباسية التي حكمت العالم الإسلامي في خلال المدة من (132-656 هـ/749-1258م) ، أي أنها حكمت ما يزيد عن الخمسة قرون 524 سنة ساست فيه العالم ، وفي ذلك يقول صاحب الفخري في الآداب السلطانية " واعلم أن هذه الدولة من كبار الدول ، ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والمُلك ، فكان أخيار الناس وصلحائها يطيعونها تديناً ، والباقون يطيعونها رهبةً أو رغبة " [1].

ولكن دراستي لهذه الدولة منصبة على الفترة الأولى حسب تقسيم المؤرخين لها ، وتختصر على الجانب السياسي فقط ، والتي تشمل مائة عام من عمر الدولة ، وبالتحديد من أبي العباس إلى الواثق بالله ، أي من سنة (132-232هـ/ 749-846م) ، وقد تولى خلال تلك المدة تسعة من الخلفاء .

يعتبر العصر الأول لهذه الدولة هو عصرها الذهبي في الحكم والإدارة والحضارة ، ولكن قبل أن نخوض في الحديث عن دولة العباسيين وقيامها ، يجدر بنا أن نلقي الضوء على الدولة التي كانت تحكم العالم الإسلامي قبل هذه الدولة ، ونناقش العوامل التي أدت إلى انهيارها ، على أن هذه العوامل مهدت لقيام الدولة

---

[1] ابن الطقطقي ، محمد بن علي : الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية ، دار صادر (بيروت ، د.ت) ، ص 142 .

العباسية ، وليس معنى هذا أن ضعف هذه الدولة هو السبب في قيام الدولة العباسية ، فلم يكن ضعفها ليؤدي إلى قيام هذه الدولة من تلقاء نفسها ، وما كان للعباسيين أن يتجهزوا في الإطاحة بالخلافة الأموية لو لم تكن هناك أصلاً دعوة عباسية ، أعدت للثورة وجهزت لها ، وأفادت من عوامل النجاح التي توفرت لها، من بينها ضعف الحكم الأموي ، هذا الضعف الذي ينبغي وضعه في موضعه الصحيح ، لا مجرد عامل مساعد على نجاح الدعوة العباسية .

الدولة الأموية هي التي سبقت حكم العباسيين،والتي حكمت العالم الإسلامي بعد انقضاء حكم الخلفاء الراشدين من سنة (41-132هـ/661-749م) [1]، وأول حكامها معاوية بن أبي سفيان ، وأخرهم مروان بن محمد بن مروان ، ومدة أيامهم منذ تسلم معاوية الأمر من الحسن بن علي – رضي الله عنهما – إلى أن زال ملكهم بظهور بني العباس : إحدى وتسعون سنة ، وكان عدد خلفائها أربعة عشر خليفة [2].

حملت الدولة الأموية في طياتها عوامل سقوطها منذ قيامها ، حيث انتزع الأمويون الخلافة دون سابقة لهم في الإسلام ، أو انتماء لآل البيت ، لذلك لم يحظ بنو أمية بإجماع المسلمين على وجه الإطلاق[3].

كثرت الثورات والمعارضات أثناء خلافتهم ، فما كان الأمويون يفرغون من إخماد ثورة حتى تندلع ثورة أخرى ، ولم تقتصر المعارضة للحكم الأموي على حزب دون آخر، وعلى مصر دون آخر ، بل يمكن القول أن جميع الأحزاب الإسلامية قد شاركت بنصيب في تلك المعارضة ، وأن الثورات قد اندلعت في كافة الأمصار حتى في بلاد الشام نفسها معقل الأمويين[4].

وقد صور المسعودي الأسباب التي ساعدت على زوال ملك بني أمية في هذه العبارة فقال : "سُئل شيوخ بني أمية ومحصليها ، عقب زوال الملك عنهم إلى

---

[1] القوصي ، عطية : تاريخ الدولة العباسية ، دار الثقافة العربية (بيروت ، د.ت) ، ص 10 .

[2] ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد المصري : الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، تح : محمد كمال الدين ، دار عالم الكتب (بيروت ، 1985م) 1/108-109 .

[3] العلي، أحمد : العهد السري للدعوى العباسية ، دار الفارابي (بيروت ، 1988م) ، ص 76 .

[4] المرجع نفسه ، ص 76 – 77 .

بني العباس ، ما كان سبب زوال ملكهم ؟ قالوا " إنا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان يلزمنا، فظلمنا رعيتنا فيئسوا من إنصافنا وتمنوا الراحة منا ، وتحومل على أهل خراجنا فتخلوا عنا وخربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا، ووثقنا بوزرائنا فأثروا مرافقهم على منافعنا، وأمضوا أموراً دوننا أخفوا علمها عنا، وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا واستدعائهم أعادينا فتظاهروا معهم علي حربنا، وطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا ، وكان انتشار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا"[1].

هناك عدة عوامل أدت إلى سقوط الدولة الأموية ، وجعل سقوطها أمراً يكاد يدخل في باب الحتمية التاريخية ، فحركات التمرد ، والخروج على الأمويين لا يستهان بها ، ولا بما بلغته من شأو وعتو ، شأن حركات الشيعة والموالي ، وبخاصة حركات الخوارج التي التفت حولها عشرات الآلاف[2].

إن هذه الانتقاضات ضد السلطة الأموية اصطبغت بطابع المعارضة المبدئية أو السياسية ، فأنهكت الأمويين وحفرت في ظهورهم جرحاً عميقاً لا يلتئم[3].

فالعلويين الذين عُرِفوا بالشيعة[4]، وهم الذين شايعوا علي وآل البيت ، يرون أن الزعامة من حق آل البيت من نسل علي والسيدة فاطمة ابنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأن خلافة الأمويين باطلة من أصلها ، وقد ظهرت جماعة الشيعة كجماعة سياسية بعد معركة كربلاء سنة (61هـ/680م) ، التي تعرض فيها الشيعة العلويين على مختلف فرقهم إلى التنكيل ، باعتبارهم أصحاب الحق الشرعي في الخلافة ، كما قتل من أئمتهم من خرج يطالب بهذا الحق ،

---

[1] المسعودي ، أبوالحسن علي بن الحسين : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تح : محمد محيي الدين ، المكتبة العصرية (بيروت، 1988م) ، 3/ 241 .

[2] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل : البداية والنهاية في التاريخ ، دار المعارف (بيروت ، دت) 44/10 .

[3] أحمد العلبي : المرجع السابق ، ص 77 .

[4] الشيعة من أقدم المذاهب الإسلامية ، نشأ هذا المذهب في العراق وتفرعت منه عدة فرق منها الكيسانية والإسماعيلية والاثنا عشرية والإسماعيلية ، وبروزا في عهد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وأخذوا ينشرون آراءهم التي كانت بين المغالات والاعتدال ، ولما اشتدت المظالم على أولاد علي في عهد الأمويين ورأى الناس منهم شهداء الظلم ، اتسع نطاق المذهب الشيعي وكثر أنصاره ، والقوام السياسي لهذا المذهب الإمامية – الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم : الملل والنحل ، تح أحمد فهمي محمد ، دار الكتب الوطنية (بيروت ، دت) 116/1 .

حيث زادت هذه المعركة في أعداد المناصرين لهم ، كما زادت في سخط الساخطين على بين أمية[1].

ولم تكن هذه المعركة الوحيدة ، بل زادت حدة الثورات ضد الأمويين ، فقد قام بإحداها زيد بن علي بن الحسين في الكوفة سنة (122هـ / 739م) ، وقام بالأخرى ابنه يحيى بن زيد سنة (125هـ / 742م) ، غير أن الأمويين قابلوا هذه الثورات العلوية بالعنف الشديد[2].

ورغم ما لاقته هذه الثورات من مقاومة ، فإنهم استمروا في ثوراتهم وأخذوا ينشرون دعوتهم في كافة أرجاء الدولة الإسلامية ، ليقف المسلمون إلى جانبهم ضد الدولة الأموية من خلال تنظيمات سرية[3].

أما الخوارج[4]، فهي فرقة ظهرت أثناء معركة صفين[5] (37هـ/657م) ، التي حدثت بين علي ومعاوية بعد حادثة التحكيم ، وإذا كان لا يعنينا من أمر الخوارج – فيما نحن بصدد دراسته – إلا مدى تأثيرهم على الحكم الأموي .

كانت هذه الفرقة قد أجبرت علياً على الامتثال للتحكيم حين لجأ معاوية وعمرو بن العاص إليه حين أدركتهم الهزيمة ، واحتجت هذه الفرقة على علي لقبوله التحكيم رافعين شعار لا حكم إلا لله ، وتركوا جيش علي وانسحبوا إلى قرية حروراء[6]، وسموا أنفسهم بالحرورية نسبة إلى هذه القرية[7].

---

(1) ابن الأثير ، عز الدين أبوالحسن علي : الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، ط3 (بيروت ، 1980م) 452/4 .

(2) ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد : المقدمة ، تح : أحمد الزعبي ، دار الأرقم (بيروت ، 2001م) ، ص 228 .

(3) عطية القوصي : المرجع السابق ، ص 15-16 .

(4) الخوارج : فرقة سياسية ثاروا على وجود النسب القرشي ضمن شروط الخلافة، وأبدلوه بالإسلام ، فخرجوا بالخلافة عن حيز المروءة ، وانقسمت هذه الفرقة إلى فرق عديدة كالأزارقة أتباع نافع بن الأزرق والصفرية أتباع زياد بن الأصفر ، والأباضية نسبة إلى عبدالله بن أباض ، وهم أكثر الفرق الخوارج اعتدالاً ، وأجازوا شهادة المخالفين ومناكحتهم = ابن حزم ، أبو محمد علي بن محمد: علم الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة ، تح: أحمد حجازي ، المكتب الثقافي (د.م، د.ت) ، ص7.

(5) معركة صفين : حدثت هذه المعركة سنة (37هـ/657م) بين علي ابن علي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، وانتهت هذه المعركة بعد قتالاً داسياً فانياً بمقتل علي بن أبي طالب ، وتجمع الروايات كلها على أن ذلك القتال راح فيه سبعين ألف رجل ، بينهم ستة وعشرون ألف من أهل بدر ، ولقي كثير من مشاهير الرجال حتفهم في هذه الحرب مثل عمار بن ياسر وهاشم بن عتبة = الطبري ، أبو جعفر بن جرير : تاريخ الأمم والملوك ، مؤسسة عزالدين ، ط2 (بيروت،1987) 747/2 .

(6) حروراء : هي قرية بظاهر الكوفة تبعد عنها بميلين ، نزل بها الخوارج الذين اعتزلوا علي بن أبي طالب فنسبوا إليها وسموا حرورية = حسن ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، مؤسسة روز اليوسف (القاهرة ، 2003م) 18/2 .

(7) الدينوري ، أحمد بن داود : الأخبار الطوال ، تح : عبدالمنعم عامر ، دار تراثنا (القاهرة ، 1959م) ص 232 . كذلك ابن خلدون ، المصدر السابق 173/3 .

وبالرغم من كثرة ثورات الخوارج ، فإنهم فشلوا في الإطاحة بـالأمويين ، ولم يكن ذلك راجعاً إلى يقظة الأمويين وتصديهم لثورات الخوارج في قوة وحـزم ، بل على قوادهم الأقوياء ، أمثال : الحجاج بن يوسف الثقفي ، وإلى تطرف آراء الخوارج ، ذلك التطرف الذي أفقدهم تعاطف المسلمين ، وعـدم تعـاون القـوى الأخرى المناوئة للأمويين معهم[1].

وزادت حـدّة الثـورات فـي عـهـد مـروان بـن محـمـد (127-132هـ/744-749م) ، آخر الخلفاء الأمويين ، التي انظم إليهـا أعـداد كبيرة من الموالي وخاصة الفرس ، حيث شغلته هذه الثورات عن التصدي للخطر الحقيقي القادم من الشرق، وهو خطر العباسيين الذي نما واستفحل أمره[2].

وقد كان لسوء أحوال الموالي في الدولة الأموية دوراً مهماً في سقوط هـذه الدولة ، وهم أهل الولايات المفتوحة الذين اعتنقوا الإسـلام ، حيـث أخـذ عـدد الموالي في ازدياد بعد انتقال الخلافة للأمويين ، وذلك نتيجة للفتـوح الإسـلامية ونجاحهم في توسيع رقعة الدولة العربية ودخول شعوب عديدة تحت لوائهم مثـل الفرس والبربر والأرمن والقبط والترك ، غير أن هذه الفئة من الشـعوب كـانوا يعاملون في عهد هذه الدولة غير معاملة العربي ، بالإضافة إلى ذلك كان الموالي يعانون من الاستغلال ، فقد كان خراج خراسان وما وراء النهر علـى الـرؤوس لأعلى مساحة الأرض ، ولو فرض على الأرض لتضرر الدهاقين وكبار المـلاك من العرب ، وعلى صعيد آخر لم يكن الموالي متساويين مـع سـادتهم العـرب سياسياً واجتماعياً واقتصادياً رغم إسلامهم[3]، لذلك كانوا يعبـرون عـن نقمـتهم بالمسارعة في الانضمام لكل حركة سياسية أو دينية بل ولكل فتنة تقوم ضد الدولة العربية[4].

---

(1) أمين ، أحمد : ضحى الإسلام ، المكتبة التوفيقية (القاهرة ، 2005م) 11/3 .

(2) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، 115/4 . كذلك سرور ، محمد جمال الدين : الحياة السياسية في الدولة العربيـة الإسـلامية ، دار الفكر العربي (القاهرة ، 1976م) ، ص 126 .

(3) اليعقوبي، أحمد: تاريخ اليعقوبي، دار صادر (بيروت ، د.ت) 207/1 . كذلك العيساوي ، الأخضر أبوالقاسم : دولة بني العباس والدويلات الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الفاتح (طرابلس، 2000م) ، ص 16 .

(4) اليوزبكي ، توفيق : الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ، جامعة الموصل ، ط2 (الموصل ، 1975م) ، ص 271 .

ولكن هذه التفرقة لم يكن مصدرها الإسلام ، لأن الإسلام لم يفرق بين العناصر والأجناس ، إنما مصدر هذه التفرقة هو سياسة الدولة الأموية التي تقوم على أساس العصبية[1].

لقد نقم الموالي على الأمويين من سوء معاملتهم وخاصةً الاجتماعية ، على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية ، فلا يولونهم المناصب الكبرى في الدولة ، ولا يشركونهم معاً في السياسة والحكم والجيش[2]، مما دفع بالموالي إلى التصغير من شأن العرب ويفتخرون بملوكهم وتاريخهم ، فقد رأى الموالي أن الأمويين لا ينفذون تعاليم الإسلام في العدل والمساواة في المعاملة ، وهي من أشد الأشياء التي حببتهم في هذا الدين وجذبتهم إليه، لذلك جاءت نقمة هؤلاء الموالي على الأمويين، فكانت على استعداد للثورة ضدهم وإزالة حكمهم الظالم ، فهم قبلوا من الأمويين الإسلام ولكنهم لم يقبلوا استبدادهم وطغيانهم ، وبالتالي انظم الموالي إلى كل الثورات ، دون أي تمييز ، وركبوا كل الموجات المضادة لبني أمية[3].

قال الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبدالله : " كان بنو أمية يرون أنه تذهب منهم الخلافة إذا وليها من أُمه أمة ، فلما وليها مروان هذا أخذت منهم في سنة اثنتين وثلاثين ومائة[4]، والمعروف أن كثيراً من الخلفاء العباسيين كانوا أبناء إماء فالمنصور ، وهو من هو ، أُمه أمة بربرية تدعى سلامة ، والهادي والرشيد أمهما الخيزران ، وهي جارية فارسية[5]... فكيف دامت خلافة العباسيين خمسة قرون وربع القرن في التقويم الهجري (132هـ / 656هـ) ، أم أن الرواية أعلاه مختصة بالأمويين دون العباسيين !!.

هذا الميل إلى التفسير الوهمي الجغرافي للأحداث التاريخية يجعلنا نأخذه بحيطة وحذر ، فالشائع علمياً أن اختلاط الأجناس مفيداً جداً ، لأن المولود يرث

---

(1) العبادي ، أحمد مختار : في التاريخ العباسي والأندلسي ، دار النهضة العربية (بيروت ، 1972م) ، ص14 .

(2) ابن عبدربه، شهاب الدين أحمد: العقد الفريد، تح :أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2 (القاهرة ، 1967م) 110/4. كنتك زيدان ، جورجي : تاريخ التمدن الإسلامي ، دار الهلال ، ط2 (القاهرة : 1910م) 28/2 .

(3) شرف الدين ، محمود عبدالفتاح : العباسيون ملوك الدنيا ، مكتبة الآداب (القاهرة ، 2001م) ص15 . كذلك البيلي ، محمد بركات : الدعوة العباسية ، مكتبة نهضة الشرق (القاهرة ، 1986م) ص 53 – 54 .

(4) ابن كثير : البداية والنهاية ، 47/10 .

(5) ابن عبدربه : العقد الفريد ، 114/5-115 .

عنده " الجينات " أو الوحدات الوراثية عن أمه وأبيه معاً ، فهو نتـــاج بيولـــوجي جديد ومتجدد ، ومروان بن محمد لم يكن انحلال الدولة الأموية بســـببه ، وإنمـــا بسبب أسلافه الأواخر من الخلفاء "الأنقياء" بيولوجياً ، والمائعين المنغمســـين فـــي معاقرة الخمر والغوص بالمتع ، فقد فشا الفُسوق والفجور والاستهتار بين بعـــض خلفاء بين أمية المتأخرين[1]، وجاء في العقد الفريد : " وكان مروان بـــن محمـــد أحزم بني مروان وأنجدهم وأبلغهم ، ولكنه ولي الخلافة والأمر مدبر عـــنهم" [2]، ومروان ، بما تحلّى به من صفات وافرة متميزة ، جاء منقذاً للعـــرش الأمـــوي ، ولكنه وصل متأخراً جداً فهو بطل خذلته الظروف الموضوعية [3].

وكان من أشد العوامل خطورةً على الحكم الأموي ، نشوب العصبية القبلية بين العرب الذين كانوا عماد الحكم الأموي ، فمع أن الإسلام قد نبذ هذه العصبية ، وجعل العرب في وحدة سياسية واحدة هي الأمة الإسلامية ، فإن هـــذه العصـــبية عادت كما كانت وعادت كل قبيلة تتعصب إلى أصـــلها اليمـــاني " القحطـــاني" أو القيسي " المضري" ، مما كان له أكبر الأثر في نشـــوب النـــزاع العرقـــي بـــين القبائل[4] ، وتحول هذا التعصب إلى الخلفاء أنفسهم ، فكانوا يتذبذبون في انتمائهم إلى العصبيات المختلفة ، فيؤيدون القيسية حينـــاً واليمانيـــة حينـــاً آخـــر ، تبعـــاً لمصالحهم الخاصة ، وقد قامت الدولة الأموية بالكثير من المنافسات والمشـــاحنات القبلية التي كانت تؤدي أحياناً إلى حروب عنيفة بين هـــذه القبائـــل بعضـــها مـــع البعض، حتى أصبحت القبلية مستفحلة وتدب في أوصال الخلافة الأموية وتنخـــر في عظامها ، إلى أن جاء السواد العباسي وأدى إلى سقوطها وانهيارها [5].

لم تكن كلمة الأمويين موحدة ، فقد اضطرب أمرهم وشجر الخلاف بينهم ، إذ استغوى منصب الخلافة الكثيرين منهم ، فوثب بعضهم على بعض قاتلاً ســـافكاً مدحرجاً الرؤوس ، يقول ابن الطقطقي في ذلك : " واضطرب حبل بنـــي أميـــة ،

---

[1] أحمد العلبي : العهد السري ، ص 68 .

[2] ابن عبدربه : المصدر السابق ، 468/4 .

[3] أحمد العلبي : المرجع السابق ، ص 68 .

[4] عطية القوصي : تاريخ الدولة العباسية ، ص 17 . كذلك محمد بركات : الدعوة العباسية ، ص 55 .

[5] داود ، السيد محمد : تاريخ الدولة العباسية ، منشورات جامعة طنطا (طنطا ، 1994م) ، ص20 .

واختلفت كلمتهم ، وقتل بعضهم بعضاً" [1]، وقد قيل لبعض بني أمية : " ما كان سبب زوال ملكهم ؟ قالوا : اختلافنا فيما بيننا ، واجتماع المختلفين علينا" [2]، وسئل أبو مسلم الخراساني : "ما كان خروج الدولة عن بني أمية ؟ قال لأنهم أبعدوا أولياءهم ، ثقةً بهم ، وأدنوا أعدائهم ، تألفاً لهم ، فلم يصر العدو صديقاً بالدنو ، وصار الصديق بالإبعاد عدواً [3].

ولعل خير من صوّر أمر الخلافة التي أفلتت من بين أيدي الأمويين هو مؤسسها معاوية ، بعد أن حجّ في سنة (51هـ/670م) ، وخاطب الأمويين هناك قائلاً : " لن يبرح هذا الأمر فيكم ما عظمتم ملوككم ، فإذا تمنّاها كل امرئ منكم لنفسه وثب بنو عبدالمطلب في أقطارها ، وقال الناس : آل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فكانت الخلافة كحجر المنجنيق ، يذهب أمامه ولا يرجع وراءه " [4].

إن الناس باتوا يتذمرون من خلافة بني أمية ، ويقعدون عن طاعة خلفائها، لما انتابها من فساد ، هذا التهافت في الحكم الأموي لم يكن ابن ساعته ، بل هو محصّلة للأحداث السابقة المتراكمة التي تحولت مع ساعة الصفر العباسية ، إلى انتقال السلطة من الأمويين المتهالكين على الشهوات المضعوفين ، إلى العباسيين الأوائل العُتاة القادمين ، وقد جاء في العقد الفريد عن بعضهم :" لم يزل لبني هاشم بيعة سر ودعوة باطنة منذ قتل الحسين بن علي بن أبي طالب ، ولم نزل نسمع بخروج الرايات السُّود من خراسان وزوال ملك بني أمية حتى صار ذلك " [5].

فمن خلال هذا العرض وغيره مما يطول شرحه ، عجز بنو أمية عن التصدي للمؤامرات والدسائس التي كانت تحاك ضدهم ، حتى أتاح مناخ الضعف الفرصة لأعدائهم والاستفادة من جميع الظروف التي أدت بالتالي إلى القضاء على دولتهم وقيام دولة إسلامية هي الدولة العباسية .

---

[1] ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية ، ص 244 .

[2] ابن عبدربه : العقد الفريد ، 158/4

[3] التوحيدي ، أبوحيان: البصائر والذخائر ، تح : إبراهيم الكيلاني ، مطبعة الإنشاء (دمشق ، 1964م) 158/1 .

[4] المصدر نفسه 159/1 .

[5] ابن عبدربه : المصدر السابق ، 475/4 .

## ثانياً : العباسيون وفكرة نشوء الخلافة :

العباسيون هم أبناء العباس[1] بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف ، عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأمه هي نتيلة بنت خباب بن كليب بن النصر بن قاسط ، ولد قبل حادث الفيل[2] بثلاث سنين ، وهو من سادات بني هاشم وعقلائهم[3].

لم تتجه الأنظار إلى اختيار العباس خليفة للرسول بعد وفاته ، لأنه لم يكن من السابقين إلى الإسلام ، إذ أنه لم يعلن إسلامه إلاّ قبيل فتح مكة برغم تأييده للرسول منذ بداية الدعوة ، كذلك من المعروف أيضاً أن المسلمين لم يرشحوا للخلافة أحداً من بني هاشم ، إلا أن العلويين رشحوا علياً وأولاده من بعده [4].

لم يرشح العباس للخلافة ، كما لم يرشح أحداً من أولاده من بعده، وقد قيل في بعض الروايات التاريخية أن أبا سفيان جاء للعباس بعد وفاة الرسول مباشرةً وطلب منه ترشيح نفسه للخلافة قائلاً : " ابسط يدك أبايعك " ، ولكن العباس أبا ، وقد أثبتت الروايات التاريخية أن العباس لم يطالب بالخلافة في عهد الخلفاء الراشدين ، وأنه بايع أبابكر وعمر وعثمان ، وأنه كان مؤيداً لحق علي في الخلافة حتى وفاته [5].

– عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب : هو ثاني أبناء العباس ، ولد قبل الهجرة بسنتين فكانت سنه حين توفي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثلاث عشرة سنة ، وكان عليه الصلاة والسلام يحبه، وكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– يحبه ويدخله مع كبار الصحابة في مجلس شوراه الخاص ، ويستفتيه في

---

[1] عن سيرته ينظر ابن سعد ، أبوعبدالله محمد : الطبقات الكبرى ، تح : محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط2 (بيروت، 1997م) 3/4 ، كذلك ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تح : علي محمد معوض وآخرون ، دار الكتب العلمية ، ط3 (بيروت ، 2003م) 291/3 .

[2] للإطلاع على حادثة الفيل ينظر تفسير القرآن الكريم للإمام الحافظ ابن كثير ، تح : حامد أحمد الطاهر ، دار الفجر للتراث (القاهرة ، 2002م) 804/4-811 .

[3] ابن الأثير : المصدر السابق 291/3 .

[4] الهاشمي ، عبدالمنعم : الخلافة العباسية ، دار ابن حزم (بيروت ، 2003م) ، ص 10 – 11 .

[5] ابن الأثير : الكامل 35/7 . كذلك المقريزي ، تقي الدين : النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، تح : محمد الحلاوي، دار الغرب الإسلامي ، ط3 (بيروت ، 1991م) 98/6 .

كثير من المسائل على صغر سنة ، وولاه عثمان بن عفان موسم الحج عام (35هـ/655م)، ولما بويع علياً بالخلافة كان عضداً في حروبه كلها وولاه البصرة وأعمالها[1].

ظل ابن عباس مقيم في الطائف إلى أن توفي فيها عام (68هـ/687م) ، في خلافة عبدالملك بن مروان (65-86هـ/675-705م) [2].

لم يطالب عبدالله بن العباس بالخلافة ، فكان من أكبر المؤيدين لعي ولولديه الحسن والحسين في المطالبة بالخلافة ، وقد سلم للأمويين حين وصلوا إلى الحكم[3].

- علي بن عبدالله بن عباس : هو أصغر أبناء عبدالله بن عباس ، ولد ليلة مقتل علي بن أبي طالب سنة (40هـ/661م) في شهر رمضان بكربلاء ، فسمي باسمه وكُني بكُنيته أبي الحسن ، وأمه زرعة بن شرح بن سعد يكرب من كندة[4].

كان علي سيداً شريفاً بليغاً ، ويقال كان أجمل قرشي يمشي على وجه الأرض وأوسمهم[5]، وأكثرهم صلاةً ، وكان مفرطاً في الطول إذ طاف فكأنما الناس حوله مشاة وهو راكب من طوله ، وقد أقطعه بنو أمية أيام الخليفة عبدالملك بن مروان ، قرية في البلقاء شرق الأردن اسمها الحميمة[6]، وفيها ولدَ أكثر أولاده وتوفي سنة (117هـ/735م) ولم نسمع عنه أنه كان له مطمع في الخلافة [7].

---

(1) ابن دحية ، عمر بن الحسن: النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، تح: مديحة الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية (بورسعيد، 2001) ، ص 14 .

(2) المصدر نفسه ، ص 14 -15 .

(3) عبدالمنعم الهاشمي : المرجع السابق ، ص 12-13 .

(4) ابن الأثير : أسد الغابة 291/3 .

(5) نظر عبدالملك بن مروان إلى محمد بن علي وهو غلام وكان جميلاً ، فقال : هذا والله يفتن المرأة الشريفة ، فقال خالد بن يزيد ابن معاوية : أما والله إن ولده لأصحاب هذا الأمر - البلاذري ، أحمد بن يحيى : أنساب الأشراف ، تح: عبدالعزيز الدوري (بيروت ، 1968م) 85/3 .

وأقبل علي بن عبدالله على عبدالله بن مروان ومعه ابنه محمد ، فلما تولى مجلسه وكان فيه فاتك ، قال هذا الأخير لعبدالملك : إن كان الفتى الذي معه فإنه يخرج من عقبه فراعنه يملكون، ولا يناويهم مُناو إلا قتلوه - ابن خلكان ، أبو العباس ، أحمد : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، دار صادر (بيروت ، 1968م) 186/4 .

(6) الحُميمة : إحدى القرى التابعة لدمشق وهي في أطراف الشام شرقي الأردن ، ويذكر أن الخليفة عبدالملك بن مروان منح هذه القرية للعباسيين كاقطاعية مملوكة فقدموا إليها واستوطنوها وأصبحت خاصة بهم ، وأول من قدم إليها واستوطنها هو علي بن عبدالله بن العباس فيما بين سنتي 67-68هـ - الحموي ، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت : معجم البلدان ، دار صادر (بيروت، د.ت) 3-63 .

(7) البلاذري : المصدر السابق 3-83 . كذلك ابن خلكان : المصدر السابق 187/4 .

محمد بن علي بن عبدالله بن عباس : يعتبر محمد بن علي الشخصية القوية والعباسي الحقيقي الذي أظهر طموحاً نحو الخلافة ، وسعى سعياً سرياً منظماً لنيلها ، وهو والد إبراهيم الإمام وأبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور الذين هم مبدأ الخلافة العباسية ، وكانت وفاته بالحُميمة سنة (125هـ/743م) [1].

وقبل الحديث على دور محمد بن علي العباسي في الخلافة ، وبدء فكرة ونشوء الخلافة وبداية دعوته السرية ، ينبغي الوقوف على شخصية لها علاقة بالحركة السرية العباسية ، ولها علاقة بإمامة محمد بن علي ، ألا وهي شخصية عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب أبي عبدالله بن محمد بن الحنيفة ، المعروف بأبي هاشم ، والذي لا تعنينا حياته ونشاطه بقدر ما تعنينا كيفية وفاته[2] وما أحيط بها من الأمور التي لها علاقة بالدعوة العباسية في هذه الفترة .

كان أبو هاشم يتردد على خلفاء بني أمية في الشام ، وإحدى زياراته كانت للخليفة سليمان بن عبدالملك (96-99هـ/714-717م) ، حيث أعجب بشخصيته وعلمه وطلاقة لسانه ، فحذر منه ، وأراد التخلص منه لمّا علم عن نشاطه وأخباره[3]، وبعد أن قضى حوائجه ، أعد له سليمان في أفواه الطرق رجالاً معهم أشربةٌ مسمومة ، وأمرهم إذا خرج من عنده أن يعرضوا عليه الشراب ، ثم خرج من عنده في وقت شديد الحرّ فكان لا يمر إلا وقام إليه رجل بعد الرجل يقول له : هل لك في شربة سويق اللوز ، وسويق كذا وكذا يابن بنت رسول الله ؟ ونفسه موجسة منهم فيقول : بارك الله لكم ، حتى إذا خرج إلى آخر الطريق ، خرج له رجل وبيده لبن ، فقال له : هل لك في شربة لبن يا ابن بنت رسول الله ؟ فوقع في نفسه أن اللبن لا يسمم ، فشرب منه ثم مضى فلم ينشب أن وجد له حساً ، وتبدت له المكيدة ، وكان في طريق عودته إلى المدينة ، فقال لأتباعه : ميلوا بي إلى ابن

---

[1] السيد محمد داوود : تاريخ الخلافة العباسية ، ص 36 – 37 .

[2] السنوات المرجحة لوفاته هي 97 ، 98 ، 99 هـ = خليفة بن خياط : المصدر السابق 425/1 . كذلك اليعقوبي : المصدر السابق 43/3 .

[3] تعددت روايات المؤرخين في الكيفية التي قتل بها ابن الحنيفة واخترت إحداها = ينظر ابن عبدربه : العقد الفريد 194/3 . كذلك ابن قتيبة ، أبومحمد عبدالله بن مسلم : الإمامة والسياسة ، المكتبة التجارية الكبرى (القاهرة ، د.ت) 141/2.

عمي ، وما أحسبني أدركه ، وكان محمد بن علي قد التقى بأبي هاشم عندما ورد الشام فأحسن صحبته[1].

وفي الحُمية بأرض الشراة ، نزل أبوهاشم صاحب الدعوة العباسية ، وكان والده علي بن عبدالله قد أبعده الوليد بن عبدالملك (66-96هـ/705-714م) ذات يوم إليها ، وتمايلت أشباح الموت أمام أبي هاشم سنة (98هـ/716م) وهو في مكان بعيد عن أهل بيته في المدينة ، وجزع من ضياع المسؤولية التي أنيط بها ، ولا عقب له غير البنات ، فإذا به يطلع محمد بن علي العباسي على خبايا[2]، ويدفع إليه كتبه وهي كتب الدعاة ، ويوصي له ولولده بالخلافة من بعده ، كما يوصيه خيراً بصحابته الذين كانوا يرافقونه ، فكتب إلى مشايعيه في العراق وخراسان بتنفيذ ما أرتآه ، وقد طلب أبوهاشم إلى شيعته بالطاعة لمحمد بن علي وكانوا به جاهلين من قبل ، خصوصاً من كانوا من أهل خراسان[3].

ويُذكر أن أبا هاشم أعطى إلى العباسيين علامات وسلم إليه خاتماً كان في إصبعه يختم به الكتب إلى الدعاة ، حيث كتب إلى دعاته وأنصاره بتسليم الأمر إلى بني العباس[4].

لم يجد أتباع أبي هاشم الذين حضروا وفاته في إمامة محمد علي العباسي لهم مخرجاً من المأزق الذي واجهوه بوفاة أبي هاشم ، دون أن يعقب ولداً من صلبه يلي الإمامة من بعده ، فتوجهوا بولائهم إلى من اتخذه إمامهم المتوفى ، فقبلوا إمامته ، وبايع أصحاب أبا هاشم إمامهم الجديد الذي عمل على استمالة

---

(1) ابن عبدربه : المصدر السابق 3/194-195 ، كذلك ابن قتيبة ، المصدر السابق 2-141.

(2) جاء عند أبي حاتم الرازي : أن محمد بن علي كان صغيراً عند وفاة أبي هاشم ، لذا أوصى أبوهاشم إلى أبيه علي بن عبدالله وأمره أن يدفع إلى ابنه إذا أدرك = كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، تح:عبدالله سلوم ، مطبوعات وزارة الإعلام (بغداد ، 1972م) 3/298 .

كما أن ابن حزم ذكر أن أباهاشم أسند وصيته إلى والد صاحب الدعوة العباسية علي بن عبدالله . ابن حزم ، أبي محمد علي : جمهرة أنساب العرب ، تح : عبدالسلام محمد هارون ، سلسلة ذخائر العرب (2) ، دار المعارف ط4 ، (القاهرة،1977م) ، ص66 .

وهكذا الأمر موضع نظر لأن محمد بن علي ولد سنة 60هـ وقيل 62هـ = ابن خلكان ، المصدر السابق ، 3/187 ، فيكون عمره عند وفاة أبوهاشم التي حدثت سنة 96هـ أو حوالي ذلك فوق الخامسة والثلاثين .

(3) الصفدي ، صلاح الدين خليل : الوافي بالوفيات ، دار صادر (بيروت ، 1984م) 4/103 . كذلك ابن خلكان : المصدر السابق، 4/188 .

(4) مؤلف مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، مكتب المثنى (بغداد ، 1869م) 3/181 .

الدعاة إلى نفسه[1]، وقال النويري في إيجاز : " فلما مات أبوهاشم قصدوا محمد وبايعوه " [2].

فبهذه المبايعة أصبحت بذرة الخلافة العباسية في النهوض لتثبت جذورها في باطن الساحة الإسلامية ولتبدأ في الظهور .

## ثالثاً : تنظيم الدعوة ومراكزها :

تُعد هذه الثورة نهاية الثورات الكثيرة التي نشبت ضد بني أمية ، حيث تعتبر الدعوة العباسية دعوة ثيوقراطية تمزج الدين بالسياسة[3]، ويذكر ابن الطقطقي في حديثه عن الدولة العباسية ، أنها "ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك" [4]، حيث بدأ العباسيون تلك الدعوة بالتنديد بالحكم الأموي ، واتهام الأمويين بالجور والخروج عن الإسلام ، ثم رفعوا شعار العمل بالكتاب والسنة كوسيلة للإصلاح المنشود ، ورفع الظلم عن المسلمين ، وإقرار العدل بينهم ، ودعوا إلى المساواة بين الأحرار والعبيد ، ولقد لخص الذهبي دعوة العبيد في أن أبا مسلم الخراساني قال لهم :"من يتبعني فهو حرّ" [5]، فأقبل الكثيرون على الدعوة خصوصاً في خراسان التي كانت متعطشة لمثل هذه الدعوة الإصلاحية ، فكانت جميع الفئات المتنازعة فيها ترفع شعار الإصلاح ، وتعلن الرغبة في العمل بالكتاب والسنة ، رداً على الدولة الأموية التي خالفت هذا المبدأ الإسلامي الأصيل، حينما حابت العرب دون الموالي ، فاختلفت نظرة الأمويين للعرب عن نظرتهم للموالي الذين لم يساووا بينهم ، فرأى الموالي أن ينتصروا للإسلام ولأنفسهم بمحاربة ولاة الجور وحكام السوء من الأمويين[6].

---

[1] محمد بركات : الدعوة العباسية ، ص15 .

[2] النويري ، شهاب الدين أحمد : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تح : علي محمد البيجاوي ، المكتبة العصرية (القاهرة ، 1986م) 458/1 .

[3] ضيف ، شوقي : تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول) ، دار المعارف ، ط15 (القاهرة ، 1966م) ، ص 6 .

[4] الطقطقي : الفخري ، ص 262 .

[5] الذهبي، شمس الدين محمد : أعلام النبلاء ، تح : عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط2 (بيروت ، 1991م) 337/1.

[6] أحمد العلبي : العهد السري ، ص 32 .

أخفى العباسيون طويلاً طموحاتهم السياسية ، وابتعدوا عن الثورات التي اندلعت ضد الأمويين ، حيث قامت في بدايتها على السرية المطلقة ، وظلت هذه السرية عماد تلك الدعوة حتى تمكنت وذاعت ، واكتفوا في البداية بدور الملاحظة وأنهم لم يتخلوا تماماً عن تلك الطموحات ، وإنما وعوا جيداً الدروس التي تعرض لها مُعارضو الحكم الأموي من شيعة وخوارج وغيرهم ، وأفادوا من تلك الدروس أجّل الفائدة في تنظيم دعوتهم تنظيماً دقيقاً ، واتخذوا لها المناسب من المبادئ والشعارات ، وانتهجوا فيها أصلح الأساليب وأنجح الوسائل ، فقد امتدت هذه الفترة من السرية لأكثر من ثماني وعشرين سنة أي أكثر من تسع أمثال من فترة بداية إعلان الثورة حتى الوصول إلى الحكم ، ومع ذلك احتفظ العباسيون بسرية الدعوة ، واتسموا بالصبر والأناة وحسن التخطيط ، وتحينوا الفرصة المناسبة للعمل المسلح وإظهار الدعوة ، وعندما سئل أبومسلم الخرساني عن سر قهره لأعدائه ، قال في ما ذكر :" ارتديت الصبر وآثرت الكتمان " [1].

لا ريب أن محمد بن علي كان أول من نظم الدعوة لبني العباس ، وهو أول من لُقب بالإمام ، ثم تبعه أبناؤه من بعده بحمل صفة الإمامة ، ويذكر الشهرستاني : أن أبا هاشم مات منصرفاً من الشام بأرض الشراة ، وأوصى إلى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، وأنجزت في أولاده الوصية حتى صارت الخلافة إلى بني العباس ، قالوا لهم في الخلافة حث لاتصال النسب ، وقد توفي رسول الله وعمه العباس أولى بالوراثة [2].

يعتبر محمد بن علي العباس العباسي الذي سعى لنول الخلافة ، حيث أرسى دعائمها وبثّ دعاتها[3]، غير أن التاريخ لبدايات الدعوة العباسية أمر يكتنفه كثير من الغموض ، لتفاوت الروايات فيما بينها بهذا الصدد تفاوتاً شديداً من مؤرخ لآخر ، بل وتتفاوت عند المؤرخ الواحد أحياناً ، فالطبري[4]– على سبيل المثال – الذي يعد تاريخه من أفضل الكتب التي صنفت في بابه إن لم يكن أفضلها، يذكر

---

[1] البغدادي، الخطيب : تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية (بيروت، د.ت) 208/10 . كذلك محمد بركات : الدعوة العباسية ، ص9.

[2] الغرامي ، عدنان علي : حركات المعارضة للخلافة الأموية ، المكتبة العالمية (بغداد ، 1990م) ، ص 61 .

[3] محمد بركات : المرجع السابق ، ص 10 .

[4] الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، 7/54-55 .

عدة بدايات للدعوة العباسية ، ومع ذلك فيمكن مقارنة العديد من النصوص ، وتتبع البدايات الصحيحة للدعوة العباسية .

كان نشاط الدعوة العباسية في سنوات حكم الخليفة عمر بن عبدالعزيز (99-101هـ/717-719م) أي (99 ، 100 ، 101هـ/ 717 ،718 ،719م) وبالذات سنة (100هـ/718م) ، وقد أسندوا ذلك إلى رواية مفادها أن محمد بن علي أوصى في خلافة سليمان بن عبدالملك أن يمسكوا عن الجد في الدعوة حتى تنقضي سنة مائة وهي سنو صاحب الحمار[1]، فهناك أظهروا أمرنا ، فامسكوا حتى انقضت المدة[2].

ويذكر الطبري أنه في سنة مائة "وجه محمد بن علي من أرض الشراة ميسرة العبدي إلى العراق ، ووجه محمد بن خنيس ، وأبا عكرمة السراج المعروف بأبو محمد الصادق ، وحيان العطار إلى خراسان" [3].

ويجعل الدينوري توجيه الدعاة في سنة (101هـ/719م) إذ فيها توافد الدعاة والأنصار على الإمام محمد بن علي بن عبدالله بن عباس[4].

لاشك أن محمد بن علي ، يوم وزع دعاته على العراق وخراسان ، لم يُظهر لهم أهدافه الحقيقة في الدعوة لنفسه ولبنيه دون العلويين ، وإنما أظهر أمامهم سعيه في تقلب نظام الحكم الأموي وإعادة الحق إلى أصحابه الشرعيين ، حتى يجتنب إليه الأنصار والمؤيدين[5].

اعتمدت قائمة بأسماء النقباء الاثنى عشر ، تم اختيارهم من قبل الدعاة الرئيسين وبالذات من قبل أبي محمد الصادق (السّراج) وبعث أسمائهم إلى محمد أبن علي العباسي في مقره بالحُمية وهم :

---

(1) إن لقب الحمار الشائع عن مروان بن محمد ، والذي يحمل السامعين له على الضحك والقهقهة ليس كما يتبادر إلى الذهن ، بمعنى الحيوان الذي يضرب به المثل بقلة القيمة وهبوط المستوى ، فقد لُقب مروان بالحمار ، وذلك لما اشتهر به من صلابة وصرامة على المكاره في الحرب ، ويقال في المثل فلان أصبر من حمار في الحروب فلذلك لقب به ، وقيل : أن العرب تسمي كل مائة سنة حماراً ، فلما قارب مُلك بني أمية مائة سنة لقبوا مروان بالحمار. أبوحيان التوحيدي: البصائر والذخائر ، 159/1. كذلك السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 205 .

(2) مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية ، تح : عبدالعزيز الدوري وأخرون ، دار الطليعة (بيروت ، 1971م) ص 193 .

(3) الطبري : المصدر السابق ، 562/7 .

(4) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص 332 .

(5) الدوري ، عبدالعزيز : العصر العباسي الأول ، دار الطليعة ، ط2 (بيروت ، 1988م) ، ص22 .

| | |
|---|---|
| سليمان بن كثير الخزاعي | القاسم بن مجاشع التميمي |
| لاهزبن قريظ التميمي | عمران بن إسماعيل |
| قحطبة بن شبيب الطائي | مالك بن الهيثم الخزاعي |
| موسى بن كعب التميمي | طلحة بن زريق الخزاعي |
| خالد بن إبراهيم (أبوداوود) | عمر بن أعين الخزاعي |
| عيسى بن أعين الخزاعي | شبل بن طهمان الهروي[1]. |

وبمقتضى هذا التنظيم السري توزع عدد من الدعاة في العراق ، وعدد آخر في خراسان فكان للعراق ثلاثة دعاة على التوالي هم ميسرة العبدي ، وبكير بن ماهان ، وأبوسلمة الخلال ، كانوا يتنكرون في ثيات التجار أو الحرفيين ، ثم يندسون بين الناس دون أن يعرفهم أحد ، أما دعاة خراسان فكانوا سبعة : أولهم أبوعكرمة السرّاج ، ويلي طبقة الدعاة في المرتبة ، طبقة النقباء المذكورة آنفاً يأتمرون بأمرهم ويجهلون إمامهم الذين يدعون لأجله [2].

كان محمد بن علي يوجه التعليمات للدعاة ويكتب كتاباً إليهم ، عن الطريقة التي يسيرون بها ، ولم يكن الدعاة يفصحون عن اسم الإمام الذين يدعون إليه وهو محمد بن علي ، فإذا سئلوا عن اسمه قالوا أُمرنا بكتمان اسمه حتى يظهر ، وكان عدد الدعاة الرئيسيين الذين يعرف الإمام قلة قليلة ، وما يعرف محمد بن علي بنسبه واسمه إلا أولئك الرهط القليل[3].

كان لكل داعية إثنا عشر نقيباً ، ولكل نقيب سبعون عاملاً يديرون الأقاليم، وكان الدعاة والنقباء يتميزون بإخلاصهم الشديد للدعوة ، وتفانيهم في نشرها ، كما كانوا يتصفون ببعد النظر والقدرة على فهم نفسيات الناس ، وتميز عناصرهم ، تمهيداً لاجتذابهم إلى دعوتهم ، وبالبراعة في التخفي والتنكر ، مع حظ كبير في الثقافة والعلوم الدينية واللغوية [4]، ويعتبر بكير بن ماهان داعي دعاة العباسيين في

---

[1] الطبري : المصدر السابق 562/6 .

[2] ابن الأثير : الكامل في التاريخ 322/4 . كنلك فدوي ، عبدالحميد مظاهري : الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، مكتبة الآداب (القاهرة ، 2005م) ، ص 148 .

[3] ابن الأثير : المصدر السابق 322/4 . كنلك الطبري : المصدر السابق 562/6 .

[4] عدنان علي : حركات المعارضة ، ص64 .

العراق ومن الشخصيات البارزة في تاريخ الدعوة العباسية ، وهو شيخ عظيم من شيوخ هذه الدولة وكان موسراً ، فلم يبخل بأمواله في النفقة على الدعوة [1].

إن الدعوة العباسية كانت دعوة مموهة ، استهدفت كسب العديد من الأنصار ، ورفعت شعارات متعددة ، إلاّ أن دعوتهم الرئيسية كان إلى الرضا من آل محمد ، وفي هذا يقول محمد بن علي العباسي موصياً داعيته أبا عكرمة السرّاج : " فلتكن دعوتك إلى الرضا من آل محمد ، فإذا وقعت بالرجل في عقله وبصيرته فاشرح له أمركم " ، وكأي ثورة أخرى فإن الثورة العباسية ظهرت في فترة التنظيم والإعداد بواجهات مختلفة ، ورفعت شعارات متعددة من أجل كسب كل العناصر المستاءة من الحكم القائم ، فنشروا الدعاة بين كل فئة ، والمبادئ التي تحملها ووعدوهم بتحقيقها [2].

لقد حدد الإمام محمد بن علي العباس مركزين للدعوة ، إحداهما في الكوفة، والآخر في خراسان ، كانت الكوفة قطراً للدعوة الهاشمية ، فاتخذها الإمام العباسي مركزاً لدعوته في العراق ، ومع أنه لم يأمن فيها الكثير على اعتبار أنها علوية الميول ، فقد اتخذها مقراً لداعي الدعاة ، ونقطة اتصال بالمركز الرئيسي للدعوة في خراسان التي فضلها الإمام العباسي على غيرها من الأقاليم ، لبعدها عن حاضرة الخلافة الأموية ، ولأن أحوالها كانت مهيأة لقبول الدعوة الإسلامية ، إذ كانت أقل الأمصار تأثراً بانقسامات الفرق الإسلامية والخلافات المذهبية ، وكان أهلها رغم ميلهم الطبيعي إلى آل البيت ، لا يتمسكون بإمام بذاته من آل البيت ، ومن ثمّ فقد كانوا على استعداد لقبول الدعوة لإمام من العباسيين ، باعتبارهم من بني هاشم ومن بيت النبوة ، وكان لأهل خراسان من العرب والعجم على السواء مشاكلهم السياسية والاجتماعية والمالية التي جعلتهم يسخطون أشد السخط على الحكم الأموي ، ومن ثمّ فقد وجد العباسيون في خراسان أصلح الأمصار الإسلامية لقبول دعوتهم[3].

---

[1] الخضري بك ، محمد : تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ، دار ابن رجب (المنصورة ، 2004م) ، ص21 .

[2] عنتاب علي : المرجع السابق ، ص 65 .

[3] محمد بركات : الدعوة العباسية ، ص13-14 .

## رابعاً : أحداث الدعوة والوصول إلى الحكم :

في ولاية سعيد بن عبدالعزيز على خراسان سنة (102هـ/720م) [1]، نشط الدعاة العباسيون ، وبدؤوا في التحرك لنشر دعوتهم في هذا الإقليم ، وكان منهم أبوعكرمة وحيان العطار ، حيث بداء يسيران من منطقة إلى أخرى ، يدعوان الناس إلى بيعة محمد بن علي ويزهدانهم في سلطان بني أمية [2].

فلما ظهر من أمر الدعوة وانكشف سرّهم ، جاء رجل من بني تميم يقال له عمر بن بجير بن ورقاء السعدي إلى الوالي سعيد بن عبدالعزيز ، فقال له : إن هاهنا قوماً قد ظهر منهم كلام قبيح ، وأعلمه حالهم ، فبعث سعيد إليهم فأتى بهم[3]، وينقل لنا الدينوري ما جرى من محادثات بينهم ، فقال لهم : (أي سعيد) من أنتم ؟ قالوا : نحن قوم تجار ، قال : فما الذي يلفق عنكم ، قالوا : وما هو ؟ قال : أخبرنا أنكم جئتم دعاةً لبني العباس ، قالوا : أيها الأمير إن لنا في أنفسنا وتجارتنا شغل عن مثل هذا فأطلقهما [4].

على أن الطبري وابن الأثير يذكران أن سعيد بن عبدالعزيز لم يطلق الدعاة إلا بعد أن شهد لهما الناس ببرائتهما ، حيث أنه سأل عنهم ، وقال : " من يعرف هؤلاء ؟ فجاء أناس من أهل خراسان أكثرهم من ربيعة واليمن فقالوا نحن نعرفهم، وهم علينا إن أتاك منهم شيء تكرهه ، فخلى سبيلهم " [5].

إن تدخل أناس من ربيعة واليمن له مغزى آخر ، فلربما قد انطووا تحت لواء الدعوة العباسية باعتبار أن هاتين القبيلتين من أهل القبائل العربية التي ساندت الدعوة ، وكان الدعاة بدورهم يركزون في دعوتهم على قبائل اليمن وربيعة .

إن الجنس العربي لعب دوراً نشطاً في تأييد الثورة العباسية وأنه ساهم مساهمةً فعّالة في القوة العباسية الضاربة التي حققت النصر لهذه الثورة ، وكذلك الدور الذي لعبته الكتل القبلية العربية وشيوخها في دعم الثورة ، وإيصالها إلى

---

[1] خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط 473/2.

[2] الدينوري : الأخبار الطوال ، ص 332 .

[3] عدنان علي : حركات المعارضة ، ص 67 . كذلك السيد محمد : تاريخ الدولة العباسية ، ص41 .

[4] الدينوري : الأخبار الطوال ، ص333 .

[5] الطبري : تاريخ الأمم 37/7 . كذلك ابن الأثير : الكامل في التاريخ 301/4 .

حسم الصراع مع الأمويين لصالحها، ومن وصية محمد بن علي إلى داعيته أبـــي عكرمة السّراج يقول له :"وإذا قدمت مرو فاحلل في أهل اليمن، وتألف ربيعة" [1].

يضاف إلى ذلك أن سعيد بن عبدالعزيز بما عرف من لينه وتســـاهله فـــي غضّ الطرف عن أمر الدعاة لمجرد تدخل جماعة من العرب القـــاطنين هنـــاك ، على أن الدعاة لم يتوقفوا عن الدعوة لإمامه محمد بـــن علـــي ، فالـــذين أطلـــق سراحهما وخرجا من عند الوالي سعيد بن عبدالعزيز ، أخذا يدوران مدن خراسان ورساتيقها في عداد التجار ، فيدعوان الناس إلى محمد بن علـــي ، فمكثـــا بـــذلك عامين ثم قدما إلى الإمام محمد بن علي بأرض الشام ، فأخبراه أنهما قـــد غرســـا بخراسان غرساً يرجوان أن يثمر في أوانه " [2].

ويذكر البعض من المؤرخين أن من أسباب عزل سعيد بن عبدالعزيز هـــو تهاونه مع الدعاة العباسيين وظهور أمرهم[3].

وهذا يعني أن الدعوة العباسية في خراسان قد أتت أكلها في فترة قصيرة لم تتجاوز الأربع سنوات من (101-104هـ/719-722م) ، ومن المناسب الإشارة هنا إلى أن ما ساعد على ذلك النشاط هو أن الدعاة أناس وصفوا بالقوة والحماس والإخلاص والمقدرة ، والكفاءة والسخاء ، وقد حصل تنسيق وتآزر بين الدعاة في العراق وخراسان وبين زعيم الدعوة في الحُميمة الذي كان على اتصال وثيق بهم، وأنه على إطلاع تام بنشاطهم في هذا المجال[4].

امتد نشاط الدعاة حتى وصل نشاطهم على السند ، واستطاعوا أن يجلبـــوا إلى صفوفهم الجنيد بن عبدالرحمن ، وكان الجنيد والياً على السند من قبل الخليفة يزيد بن عبدالملك (101-105هـ/719-723م) [5].

وعلى الرغم من السرية المحكمة التي تميزت بها الـــدعوة العباســـية فـــي بداياتها ، إلاّ أنها تعرضت لمحن شديدة ، وهذا حال كل دعوة انقلاب ضد الدولة ،

---

(1) عاقل، نبيه: الدعوة العباسية ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد التاسع والعاشر لسنة 1982م (دمشق ، 1982م) ، ص55-56.

(2) الدينوري : المصدر السابق ص331 . كذلك عدنان علي : حركات المعارضة ، ص69-70 .

(3) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي 55/2 . كذلك الطبري : تاريخ الأمم 37/7 . كذلك ابن الأثير : الكامل 308/4 .

(4) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص 331 .

(5) مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية ، ص201 .

ففي سنة (107هـ/725م) وذلك في ولاية أسد بن عبدالله القسري ، وشي إليه رجل من كندة بجمع من الدعاة العباسيين ، فاستقدمهم وفيهم أبوعكرمة السّراج ومحمد بن خنيس وعامة أصحابه ، ونجا عمار العبادي ، فقطع أسد أيدي من ظفر به منهم وصلبهم ، وأقبل عمار العبادي على بكير بن ماهان فأبلغه الخبر فكتب إلى محمد بن علي بذلك[1].

وفي سنة (109هـ/725م) أيضاً في ولاية أسد ، قدم داعية بعث به محمد بن علي العباسي يقال له زياد أبو محمد ، أقام بمرو ودعا لبني العباس ، فأخبره أسد ، فتخوف من جانبه فاستقدمه إليه وقتله وقتل معه عشرة من أهل الكوفة [2].

وفي سنة (117هـ/735م) ظفر أسد في بداية ولايته الثانية على خراسان بجماعة من دعاة بني العباس ، فقتل بعضهم ومثّل بالبعض الآخر وسجن البعض، وكان فيمن وقع بيده سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ولاهز بن قريظ وخالد بن إبراهيم وطلحة بن زريق[3].

تريث الإمام العباسي في إرسال دعاة جدد إلى خراسان بعد مقتل أبي عكرمة السّراج ورفاقه ، وذلك لانكشاف أمر الدعوة العباسية ولنشاط أسد بن عبدالله القسري في تتبع دعاة العباسيين والبطش بهم ، واعتمدت الدعوة العباسية في خراسان أثناء غيبة الدعاة الكوفيين اعتماداً رئيسياً على الدعاة المحليين من النقباء الذين اختارهم أبوعكرمة السّراج وسمعوا منه ، حيث كانوا أقرب على فهم عقول أهليهم ، وقد مارسوا نشاطهم في الدعوة في حماية عشائرهم وعصبياتهم ، فكانت الدعوة أدخر نجاحاً وأكثر أماناً [4].

لكن يبدو أن العباسيين خشوا أن يفقدوا السيطرة على الدعوة في خراسان ، أو أن تخرج من أيدهم إذا أغرقوا في الاعتماد على الدعاة المحليين إذ يمكن لأي طامع منهم أن يتقوى بعصبيته ، فاستأنف العباسيون توجيه الدعاة إلى خراسان بعد انقطاع ، ففي سنة (118هـ/736م) وجه بكير بن ماهان داعي الدعاة بالكوفة إلى

---

[1] ابن الأثير : المصدر السابق 5/136-137 .

[2] المصدر نفسه 5/137 .

[3] المصدر نفسه 5/137-138 .

[4] محمد بركات : الدعوة العباسية ص20-21 .

خراسان عمار بن يزيد المعروف باسم خداش[1]، داعياً لبني العباس ، فنزل مرو، وسارع إليه الناس وأطاعوه ، ولقت دعوته رواجاً كبيراً بين أهل خراسان وتبعه بعض النقباء وبعض مجلس السبعين ، غير أن خبره بلغ أسد بن عبدالله فظفر به وقتله [2].

تولى رئاسة الدعوة في خراسان بعد خداش سليمان بن كثير الخزاعي ، وفي هذه الأثناء توفي الإمام محمد بن علي في آخر سنة (125هـ/743م) [3]، فخلفه وفق وصيته ابنه إبراهيم بن محمد[4] ، الذي كان له سهم وافر في تنظيم الثورة العباسية ضد الأمويين ، وفي تعضيدها بالدعاة والرجال الأقوياء حيث انتشرت دعوتهم فبعث الدعاة وبالكتب إلى مشايخها فأجابوه ونصروه في الخفاء لأن الدعوة كانت ما تزال بعد في عهدها السري[5].

وفي الكوفة توفي كبير الدعاة بكير بن ماهان سنة (127هـ/744م) فخلفه في منصبه أبوسلمة حفص بن سليمان الخلال[6].

بعد هذه التغيرات التي طرأت على الدعوة العباسية ، تطلع الإمام الجديد إلى إحكام سيطرته على خراسان ، حيث كانت هذه المنطقة في نظره مطلع سراج الدنيا ومصباح هذا الخلق[7]، إذ أنه حثّ أنصاره على أن يجعلوها بمثابة دار الهجرة ، وخراسان عند إبراهيم الإمام معقد الرجاء ومطلع النور ، وأهلها موضع الثقة دون غيرهم من الأمصار ، يبذلون في سبيله الخراج والأموال والأنفس ،

---

[1] خاض الكثير من المؤرخين القدامى والمحدثين في شخصية خداش ودوره في الدعوة العباسية ، واتهم عمار بن يزيد المعروف بخداش بأنه غير اسمه وسمى خداش ، وأنه دعا إلى محمد بن علي العباسي في البداية ، فسارع الناس إليه ، ثم غير ما دعاهم إليه وأظهر دين الخرمية ، ودعا إليه ورخص لبعضهم في نساء البعض الآخر ، وأخبرهم أن ذلك عن أمر محمد بن علي - الطبري : المصدر السابق 109/7 .

كذلك اتهم بأنه قال لا صوم ولا صلاة ولا حج وأن تأويل الصوم أن يصام عن ذكر الإمام فلا ينادى باسمه ، والصلاة والدعاء له ، والحج والقصد إليه - النويري : نهاية الأدب 14/22 .

[2] عبدالمنعم الهاشمي : الخلافة العباسية ص26 .

[3] هناك رواية أخرى تذهب إلى أن محمد بن علي قد مات سنة 124هـ ، أي في خلافة هشام - مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية ، ص239 .

ولكن اليعقوبي يذكر أنه توفي آخر سنة 125هـ ، وكان في السابعة والستين من عمره - تاريخ اليعقوبي ، ص332 .

[4] البلاذري : أنساب الأشراف ، ص80-81 . كذلك مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص 238 .

[5] ابن الطقطقي : الفخري ، ص 144 .

[6] محمد بركات : الدعوة العباسية ، ص 24 -25 .

[7] مؤلف مجهول : العيون والحدائق ، ص 207 . كذلك أحمد العلي : المرجع السابق ، ص37 .

فرأى ضرورة إرسال شخصية جديدة لترأس الدعوة في خراسان ، لا ترتكز فيها على عصبية محلية ، وإنما تستمد سلطتها من الولاء التام للإمام العباسي وحده ، وبذلك يضمن إبراهيم الإمام أن يُحكِم قبضته على زمام الدعوة ، فاختار لهذه المهمة أبا مسلم الخراساني[1].

حاز اختيار أبي مسلم الخراساني إعجاب إبراهيم الإمام ، فصار موضع عنايته ، وراح يثقفه ويفقهه ، ثم بعث به إلى شيعته في خراسان ، وكان هذا الرجل يدعى إبراهيم بن حيكان[2]، فدعاة إبراهيم الإمام ، أو دعا نفسه بعبدالرحمن ، وكناه أبومسلم[3].

فوض صاحب الدعوة العباسية إليه شؤون الدعوة في خراسان ، وأطلق يده في العمل وهو في الواحد والعشرين من عمره[4]، وقد بلغ من المكانة[5]، عند إبراهيم بن محمد ، أنه أتى على ذكره في وصيته التي كتبها إلى أخيه أبي العباس، بعد أن تم القبض عليه،وفيها يقول "فاحفظ عبدالرحمن أميناً والساعي في أمورنا"[6]، ولهذا قال أبوالعباس السفاح عن أبي مسلم فيما بعد،عندما ولي السلطة: "وهو صاحب الدولة[7]، والقائم بأمرها" ، "وكان السفاح لا يقطع أمراً دونه"[8].

---

(1) أحمد العلبي : الدعوة العباسية ، ص 37 .

(2) ورد في بعض المصادر أنه إبراهيم بن عثمان ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي 327/2 . كذلك البغدادي : المصدر السابق 207/10 . وكذلك ابن خلكان : وفيات الأعيان 143/3 .

(3) جاء عند اليعقوبي أن محمد بن علي صاحب الدعوة العباسية هو الذي أسماه عبدالرحمن ، وإن كان اليعقوبي يذكر في الصفحة نفسها "وبعض أهل العلم بالدولة يقول : إن أبا مسلم لم يلحق محمد بن علي ، وإنما لقي ابنه إبراهيم بن محمد بن علي" - اليعقوبي : المصدر السابق 327/2 .

وجاء في كتاب وفيات الأعيان أن أبا مسلم سمّى نفسه عبدالرحمن - ابن خلكان : المصدر السابق 145/3 ، ويذكر الخطيب البغدادي أنه سمّى نفسه تزولاً عند رغبة إبراهيم الإمام عبدالرحمن بن مسلم وتكنى أبا مسلم - البغدادي : المصدر السابق 207/10 .

(4) وقيل في التاسعة عشر ، البغدادي : تاريخ بغداد 207/10 .

(5) قال المأمون ، وقد ذكر أبومسلم عنده : أجلّ ملوك الأرض ثلاثة ، وهم الذين قاموا بثقل الدول : الإسكندر ، وأردشير ، وأبومسلم الخراساني - ابن خلكان : وفيات الأعيان 147/3 .

(6) البلاذري : أنساب الأشراف 124/3 . كذلك أحمد العلبي : العهد العباسي ص41-42 .

(7) جاء لدى أبا حيان التوحيدي كتب عبدالحميد الكاتب عن مروان كتاباً إلى أبي مسلم صاحب الدعوة" - البصائر والذخائر 207/1 ، وترد في بعض المصادر "صاحب الدعوة" . الخطيب البغدادي ، المصدر السابق 207/10 ، وقد ذكر الجاحظ في صدد أصحاب النكتة من العجم ، أو من العرب الذين نشئوا بين العجم "ومنهم أبومسلم صاحب الدعوة" . أبو عثمر الجاحظ : البيان والتبيين ، دار الفكر العربي (بيروت ، 2000م) 73/1 . وذلك أن الدولة والدعوة هاهنا متماثلات كما نعتقد في المعنى ، على أي حال فالدعوة تنتهي بالإمساك بزمام الدولة ، والدولة لا تقوم لها قائمة بغير دعوة معينة .

(8) اليعقوبي : المصدر السابق 351/2 .

كان من المتوقع أن يلقى تعيين أبي مسلم لرئاسة الدعوة في خراسان معارضة القيادة المحلية فيها ، على نحو ما فعل سليمان بن كثير الخزاعي الذي لم يقبل أن يتخلى بسهولة عن مكانته لأبي مسلم، ورفض أن يرأس أبو مسلم الدعوة، بدعوى صغر سنه ، وحرض عدداً من زملائه النقباء ومن الدعاة أن يقفوا نفس موقفه ، فاحتاط الإمام العباس للأمر وأحاط شخص أبي مسلم بالغموض ، فاختلف الناس فيه : أهو حرّ أم عبد؟ أهو من العرب أم من العجم؟ وقد أريد بهذا الغموض واختلاف الشيعة العباسية في أمره ، ألا يقفوا في وجهه صفاً واحداً فيجد أبومسلم سبيلاً إلى نفوس بعضهم فيقوى مركزه ضد معارضيه، فأعلن إبراهيم الإمام أن أبا مسلم رجل من أهل البيت تعضيداً له وتأييداً ، وأمر شيعته في خراسان أن يسمعوا ويطيعوا[1].

وكتب إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم يرسم له السياسة التي ينبغي عليه اتباعها ، فأوصاه أن يفيد من العصبية القبلية بين العرب الخراسانيين ، وأن يضرب بيد من حديد كل من يتشكك في ولائه[2]، فأحسن أبومسلم التدبير والتنظيم، وبث الدعوة باسم "آل محمد" وآل بيت النبي – صلى الله عليه وسلم – من غير تحديد ، وذلك يعد إلى أن العباسيين ، والعلويين ، وكلاهما من بني هاشم ، جمعتهم المعارضة للأمويين الذين أصلوهم جراحاً وأذاقوهم تنكيلاً ، فكان أن اجتمع الفريقان في مكة ، خلال العهد الأخير من الدولة الأموية المضطربة الأحوال ، وتباحثوا بالأمر فاستقر رأيهم على مبايعة محمد بن عبدالله المحض الملقب بالنفس الزكية وهو علوي ، وكان ممن حضر هذا اللقاء وبايع فيه ، أبو العباس السفاح وأبوجعفر المنصور ، لهذا عندما نشطت الدعوة العباسية نادت بالخلافة إلى الرضا من آل محمد من غير تسمية أحد[3]، وكان أبومسلم يقول : "أني رجل أدعو إلى الرضا من آل محمد" ، فهو داعية إلى رجل من بني هاشم[4].

---

(1) الطبري : تاريخ الأمم 216/7 . كذلك محمد بركات : المرجع السابق ، ص 27-28 .

(2) ابن الأثير : الكامل 357/5 . كذلك ابن كثير : البداية والنهاية 55/10 ، النويري : نهاية الأرب 238/22 .

(3) ابن عبد ربه : العقد الفريد 482/4 . كذلك المسعودي : مروج الذهب 271/3 ، المقريزي : النزاع والتخاصم 130/3 .

(4) البلاذري : انساب الأشراف 355/2 . كذلك أحمد العلبي : العهد السري ، ص 40 .

جاءت كتب الإمام إلى أبي مسلم الخراساني وسليمان بن كثير ، يأمرهما بإظهار الدعوة لبني العباس ، فواعد أبومسلم شيعة العباسيين من قَرُبَ منهم أبو بعد ، على أن يظهروا أمرهم يوم الخامس والعشرين من رمضان سنة (129هـ/747م) [1].

وفي تلك الليلة ، بعث الإمام إبراهيم بلواء أسود كان يدعى الظل ، وتأويل هذا "إن الأرض كما لا تخلوا من الظلّ لا تخلوا من خليفة عباس إلى آخر الدهر"، وقد رفع أبومسلم هذا اللواء عند خروجه علانية على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً ، وتمثلت الظروف المواتية في عدد الثورات جميعها التي قامت ضد الدولة الأموية في سنة (129هـ/747م) ، وامتدت من المشرق الإسلامي إلى مغربه ، فانشغل الأمويون بهذه الثورات عند التصدي للثورة العباسية[2].

ارتاد أبومسلم معسكراً فسيحاً فأصاب حاجته بالماخوان[3]، ثم عدل عنها لأن ماءها كان في يد نصر بن سيار فخشي أن يقطعه عنه ، فتحول إلى قرية آلين[4]، وخندق بها ، لأنها تشرب من نهر يُدعى الخرقان ، لم يكن في استطاعة نصر بن سيار أن يقطع مياهه عن آلين[5].

كانت العصبية القبلية قد احتدمت بين اليمنية والربيعية من ناحية ، وبين المضرية من ناحية أخرى ، إلاّ أن استفحال خطر أبي مسلم جعلهم يتناسون خصوماتهم وتوادعوا على وضع الحرب ، وعلى أن تجتمع كلمتهم على حرب أبي مسلم ، لكن الخراساني تمكن من بثّ الفرقة في صفوفهم من جديد بتدبير سليمان بن كثير الذي أثار حفيظة علي بن جريع الكرماني زعيم اليمنية ضد نصر بن سيار الوالي الأموي وزعيم المضربة ، فانتقض صلح العرب واقتتل الفريقان فدخل أبومسلم مرو واستولى عليها دون عناء[6].

---

[1] ابن الأثير : المصدر السابق 358/5 .

[2] محمد بركات : المرجع السابق ص40 .

[3] ماخوان : قرية كبيرة من قرى مرو خرج منها أبومسلم صاحب الدعوة إلى الصحراء - ياقوت الحموي: معجم البلدان 33/5 .

[4] آلين : من قرى مرو على أسفل نهر خارقان - الحموي : المصدر السابق 56/1 .

[5] الطبري : المصدر السابق 217/7 .

[6] ابن خياط : تاريخ ابن خياط 586/2 . كذلك النويري : نهاية الأدب 240/22 .

كانت دعوة بني العباس محكمة في تكتمها وسريتها ، بحيث أن مروان بن محمد على فطنته وحدقة ، لم يكن يتبادر إليه أن الأمر صائر إلى إبراهيم الإمام ، وعندما فاتحه كاتبه الشهير عبدالحميد بن يحيى قائلاً له :" فإني أرى أموره تتبع عليك ، فأنكِه وأنكح إليه ، فإن ظهر كنت قد أعلقت بينك وبينه شيئاً ، وإن كيفيته لم تشن بصهره ، فقال : ويحك : والله لو علمته صاحب الأمر لسبقت إليه ، ولكن ليس هو بصاحبه ، فقال له : وما يضيرك من ذلك ، وهو من القوم الذين تعلم أن الأمر منتقل إليهم لا محالة ، ومن الصواب أن تعلق بينك وبينهم شيئاً ، فقال : والله لا أعلم أن الرأي فيما تقول، ولكني أكره أن أطلب النصر بإخراج النساء"[1].

إن هذه الرواية تفيدنا أن الدعوة العباسية كانت من القوة ، بحيث أن موضوع استلامها الخلافة حادث لا محالة ، وقد أورد مؤلف من القرن الثالث الهجري ، أن مروان بن محمد استشار خاصته في شأن إبراهيم الإمام ، فكان من رأي عبدالحميد الكاتب أن يزوجه بعض بناته ويوليه الجزيرة ، فدفع مروان هذا الرأي ، على اعتبار أنه جاء متأخراً ، بعد أن تفاقم أمر العباسيين وسفكوا الدماء في خراسان والعراق ، ثم إن إنفاذ رأي عبدالحميد بعد فوات الأوان ، سيفسر أنه جاء عن رهبة بني أمية من إبراهيم الإمام ، وسيحمل ذلك أهل الشام على أن يميلوا إليه دون الأمويين ، فالعباسيون في تقيّة ، وهم يسعون بالكتمان لتهيئة القوى الكفيلة بانتزاع السلطة ، ولهذا دُعوا " الكيفّة " ، لأن التوجيه إلى الدعاة كانت قائماً على أن يكفوا أيديهم ، فلا يشهروا سيفاً على الأعداء ، إلى أن حانت ساعة الصفر ، عندما كتب إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم بإظهار الدعوة ، فكانت الثورة التي أطاحت بمروان بن محمد " فرعون بني أمية " في نظر العباسيين [2].

كان استيلاء أبي مسلم على مرو قصبة خراسان ، خطوة مهمة على طريق نجاح الثورة العباسية ، فقد انهارت مقاومة نصر بن سيار عامل الأمويين ، وتساقطت مدن خراسان الواحدة تلو الأخرى في أيدي اتباع أبي مسلم إلى أن

---

[1] الجهشياري ، أبوعبدالله محمد بن عبدوس : كتاب الوزراء والكتاب تح : مصطفى السقا وآخرون ، الهيئة العامة لقصور الثقافة (القاهرة ، 2004/) ، ص 72 .

[2] مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية ، ص 397-402 .

خلصت له خراسان تماماً ، حتى غدت الدولة الأمويين ثوباً بالياً ، ولم يعد يجدي معه الترقيع نفعاً ، واستعصى إصلاحه على ذي الحيلة الصناع ، هذا مع التأكيد أن مروان بن محمد كان بمنزلة المنقذ للعرش الأموي ، لكنه أتى بعد فوات الأوان، وكم كان نصر بن سيار متبصراً ، وهو الذي مات بعدها كمداً ، وقد استبد به اليأس من نجدة مروان بن محمد، في سبيل الوقوف في وجه أبي مسلم الخراساني، وكان قد انقضى على ظهوره ثمانية عشر شهراً [1]، فقد ضمن نصر في كتاب له إلى مروان أبياتاً من الشعر :

إنا وما نكتم من أمرنا كالثّور إذ قُرّب للباخع[2]

أو كالتي يحسبها أهلها عذراء بكراً وهي في التاسع

كنا نداريها[3] فقد مُزقت واتسع الخَرقُ على الراقع

كالثوب إذ انهج فيه البلى أعيا على ذي الحيلة الصانع

بدأت مرحلة جديدة ومهمة في العمل العسكري العباسي ، إذ تولى قحطبة بن شبيب[4] الطائي قيادة الجيوش واستمراراً لسياسة الدعوة أقام أبومسلم بخراسان لضبط أمرها[5].

اندفع قحطبة بن شبيب نحو الغرب وحقق انتصارات كاسحة على القوات الأموية ، واستولى على كل المدن التي قابلته في طريقه حتى وصل إلى نهر الفرات ، والتقى بقوات يزيد بن هبيرة والي العراق عند نهر الزاب الكبير ، ودارت هناك رحى معركة كبيرة ، وعلى الرغم من مقتل قحطبة بن شبيب قائد الجيش العباسي في هذه المعركة ، فقد انهزم يزيد بن هبيرة وفرّ إلى واسط ، وتحصن بها إلى أن قتله فيما بعد أبوجعفر المنصور ، وأصبح الطريق مفتوحاً

---

(1) الحميري ، محمد بن عبدالمنعم : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح : إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2 (بيروت ، 1980م) ص199 . كذلك ابن كثير : البداية والنهاية 31/10 ، أحمد العلي : العهد السري ، ص39 .

(2) الباخع : الناحر ، وبخع الذبيحة إذا بالغ في ذبحها = ابن منظور ، أبوالفضل جمال الدين : لسان العرب المحيط ، تح : عبدالله العلايلي ، دار لسان العرب (بيروت،1988م) 5/8 .

(3) يذكر المسعودي "نرقيها" عوض "نداريها" = مروج الذهب 243/3 .

(4) يذكر خليفة بن خياط ، أن اسمه زياد بن شبيب وقحطبة لقبه = تاريخ ابن خياط 591/2 .

(5) الدينوري: الأخبار الطوال ص 360 . كذلك المسعودي : مروج الذهب 243/3، الحميري : الروض المعطار ص199-200 .

أمام القوات العباسية التي تولى قيادتها الحسن بن قحطبة – خلفاً لأبيه – فدخل العباسيون الكوفة واستدلوا عليها [1].

لاقى إبراهيم الإمام المصير الفاجع ، وذلك بعد أن ترامى أمره إلى مروان ابن محمد الذي كان يحتال ليتبين إلى من كان يدعوا أبومسلم ، لأن الدعاة العباسيين كانوا يكتمون في إعلان اسمه ، ثم تبدّى لمروان أنه إبراهيم الإمام ، وذلك أن أحد رُسل أبي مسلم القائمين بالدعوة ، وقع بين أيدي رجال مروان بن محمد الموكلين بالطرق ، فجيء به إلى الخليفة الأموي الذي قرأ رسالة أبي مسلم إلى إبراهيم الإمام، وأطلع على حقيقة الحال، فدعا الرسول بعد أن أجزل له المال، أن يأتيه بجواب إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم ، وقد كان جواب إبراهيم بخطه ، وفيه أوامره إلى أبي مسلم بمواصلة السعي والحيلة ضد العدو الممسك بزمام الحكم[2]، وقد كتب أيضاً نصر بن سيار ، وإلى الخليفة بخراسان يعلمه بحقيقة إبراهيم الإمام ، وذلك بعد بحث وتقصّ ، إذ دسّ رجلاً في صفوف أبي مسلم فعرف إلى من يدعو، كما أن إبراهيم الإمام برز في موسم الحج سنة (131هـ/748م) في أبهة وحُرمة ، فتناقل أمره إلى مروان بن محمد وقيل له " إن أبا مسلم يدعو الناس إلى هذا ويسمونه خليفة " [3].

عندما توفي محمد بن علي خلّف ستة أو سبعة آلاف جراب من متاع خراسان ، أبقاها في الخفاء ، لئلا يعرف الناس أمره ، فلما خلفه إبراهيم أظهر الشارة والبزة ، مما ميزه عن إخوته ، وساعد في إعلان حاله والقبض عليه [4].

كان إبراهيم الإمام حين القبض عليه قد عهد إلى أخيه أبي العباس عبدالله ابن محمد [5] ، من بعده ، وأمره بالسير وأهله إلى الكوفة ، حتى لا يقعوا في

---

[1] الأزدي ، أبوزكريا يزيد بن محمد : تاريخ الموصل ، تح : علي حبيبة ، دار الفكر العربي (القاهرة ، 1967م) ، ص 129 .

[2] مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية ص390 . كذلك الحميدي : الروض المعطار ، ص 200 .

[3] المسعودي : مروج الذهب 239/3 .

[4] ابن كثير : البداية والنهاية 90/10 . كذلك مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص229 .

[5] لم يكن أبو العباس عبدالله أكبر إخوته بعد إبراهيم الإمام ، بل كان أبوجعفر يكبره وربما كان أكثر منه كفاءة ، ومع ذلك فقد عهد إبراهيم الإمام إلى أبي العباس دون أبي جعفر ، وقد برزت الرواية العباسية ذلك بأن لها العباس هو ابن الحارثية الذي نص عليه أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية ، ولكن الصحيح أن أبا جعفر تأخر عن أخيه لأن والدته كانت أم ولد بربرية تدعى سلامة ولم يكن قد تولى الخلافة أحد من أبناء أمهات الأولاد حتى ذلك الحين – محمد بركات : الدعوة العباسية ، ص35 .

قبضة الأمويين ، فأخفاهم أبو سلمة الخلال ، وقيل أنه كان يميل إلى العلويين فأراد أن يسوق الخلافة إلى واحد منهم ، فكتم خبر أبي العباس وأهله مدةً طويلة راسل فيها ثلاثة من كبار العلويين : جعفر الصادق بن محمد الباقر ، وعبدالله المحصن بن الحسن المثنى ، وعمر الأشرف بن علي بن الحسين ، لكنهم تشككوا في الأمر ولم يقبلوا ما عرضه عليهم أبو سلمة الخلال ، ولم يستطع أبو سلمة أن يكتم خبر أبي العباس أطول من ذلك ، إذ اكتشف بعض شيعته مكانه وتوصلوا إليه، فاضطر أبوسلمة على إظهاره ومبايعته بالخلافة [1].

إن خاتمة الخلفاء الأمويين ، مروان بن محمد ، شخصية لا يستهان بنوعها ومضائها ، لكنه أتى بعد فوات الأوان فما أفلح حتى في إنقاذ رأسه ، ثم إن السلاح القبلي الذي اشتهر الأمويون بتعاطيه وتقليبه لما فيه صالحهم وبقائهم في السلطة ، هذا السلاح ذو شفرتين ، فقد مهر أبومسلم بدوره في التفريق بين اليمانية والنزارية بخراسان ، مما أربك وقضى على جهود واليها نصر بن سيار الذي قال متضمناً ، حينما جاشت خراسان بالمسودة ، وذلك قبل أن يمضي تصحبه امرأته ، هاربين من وجه الزحف الأسود إذا صح التعبير :

أرى بين الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالعودين تذكي ... وأن الحرب أولها كلام
أقول من التعجب ليت شعري ... أأيقاظُ أميّةُ أم نيامُ ؟ [2].

تولى أبوالعباس الخلافة في 3 ربيع الآخر سنة (132هـ/749م) ولقب بالسفاح[3] ، فندب عمه عبدالله ابن علي لقتال الأمويين ، الذي استطاع أن يهزم

---

[1] ابن الطقطقي : الفخري ص145 . كذلك المسعودي : المصدر السابق 246/3 .

[2] ابن كثير : المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفة (بيروت، د.ت) ص 209 . كذلك الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام ، تح : عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط2 (بيروت ، 1991م) ص 332 ، ابن كثير : البداية والنهاية 34/10 .

[3] يبدو أن هذا اللقب لصق بأبي العباس متأخراً منذ القرن الرابع الهجري وقد حاول العباسيون تحسين صورة أول خلفائهم فضروه على أنه بمعنى الكريم وأن العباس وصف نفسه بذلك لأهل الكوفة في أول خطبة لهم بعد بيعته ، ولكن يلاحظ أن لقب السفاح بمعنى سفاك الدماء كان يطلق أيضاً على عبدالله بن علي العباسي لكثرة قتلاه من الأمويين = ابن قتيبه : الإمامة والسياسة 145/12 .

مروان بن محمد هزيمة منكرة عند نهر الراب الأصغر ، ففر مروان إلى الموصل، لكن أهلها لم يسمحوا له بدخولها ، فبدأ مروان بن محمد عملية هروب طويلة من مدينة لأخرى من مدن الشام حتى نزل على نهر أبي فطرس بفلسطين ، فلما جاءته الأنباء بسقوط دمشق عاصمة الأمويين العريقة في يد العباسيين لوى مروان عنان فرسه غرباً متجهاً إلى مصر ليحاول استجماع قواه هناك ، لكن صالح بن علي العباسي لاحقه في مصر حتى أدركه عند قرية بوصير بصعيد مصر فقتله وبعث برأسه إلى أبي العباس السفاح في أواخر ذي الحجة سنة (132هـ/749م) [1].

إن العباسيين الأوائل لم يكونوا خلوا من الطموح السياسي ، لكن هذا الطموح لم يرق إلى حد التطلع إلى الخلافة إلاّ عند نهاية القرن الأول الهجري ، فنظم محمد بن علي العباسي دعوة بني العباس ، واختار لها البيئة الصالحة ، ورفع لها الشعارات الملائمة ، واعتمد على عصبة من الدعاة الأكفاء ، فتمكنت هذه الدعوة في ظل الظروف المواتية لها من أواخر العصر الأموي الذي جلس على عرشه مروان بن محمد بعد ضعف وتضعضع وانحلال من أن تحرز نجاحاً باهراً ، لكن الظروف الموضوعية للأحداث التاريخية المتوالية على مسرح الخلافة الأموية كانت أكبر من شخصيته ، حتى غطت الرايات السود الساحة ، وطغت آية الليل[2]، واستلم أصحابها زمام المُلك الجديد الذي ارتفع على ضفاف نهر دجلة ، وبدأ فصل جديد من حياة الأمة الإسلامية [3].

---

[1] الأربلي ، عبدالرحمن سنط فينتو : خلاصة الذهب المسبوك ، تح: مكي السيد جاسم ، مكتبة المثنى (بغداد،1984م) ، ص 58 . كذلك ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب 183/1 . كذلك محمد بركات : المرجع السابق ، ص 62 .

[2] جاء في رسالة بحث به عبدالحميد الكاتب ، على لسان مروان بن محمد إلى فرق العرب ، حينما اشتد ساعد الخراسانيين ، ناشرين أعلامهم السوداء التي عبر عنها عبدالحميد بأنها " آية الليل " إذ قال " فلا تمكنوا ناحية الدول العربية من يد القصة العجمية ، وأثبتوا ريثما تنجلي هذه الغمرة ، ونصحوا من هذه السكرة فروريداً حتى ينصب السيل ، وتمحي آية الليل . والله مع الصابرين والعاقبة للمتقين" = ابن نباته المصري : سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، تح: محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي (القاهرة ، 1964م) ، ص240 .

[3] أحمد العلبي : العهد السري ، ص 55 .

# الفصل الثاني

العلاقات بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية

أولاً : السفارات الشخصية المتبادلة بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية

ثانياً: المراسلات والاتفاقيات بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية

ثالثاً : صور أخرى من العلاقات بين العباسيين والبيزنطيين

قامت علاقات مختلفة مع بلدان العالم المعروفة آنذاك ، وكان للدولة العباسية علاقاتها مع بلدان الصين – الهند في آسيا ، كما كان لها أيضاً علاقات سياسية ذات أهمية بالدولة البيزنطية ودولة الفرنجة والدولة الأموية في الأندلس .

وقد تعدد صور الاتصال بين الدولة العباسية وبين تلك الدول في عدة مجالات سياسية واقتصادية وثقافية وأهم صورها في المجال السياسي الذي نحن في صدد دراسته .

إذا كانت العلاقات العدائية الحربية بين الدولتين العباسية والبيزنطية جلية بارزةً ، إلا أن صوراً متعددة من العلاقات السلمية قامت بين الدولتين إلى جانب العلاقات الحربية .

فالعلاقات بين المسلمين والبيزنطيين لم تكن دائماً سلسلة حروب متصلة الحلقات ، وإنما تخللتها فترات من الهدوء والعلاقات السلمية ، فكم من سفارة اجتازت حدود الدولتين لتوقيع معاهدة وعقد هدنة ، أو للاتصال الشخصي والتعرف على بعض ما يجرى من أمور إحدى الدولتين .

وثمة صور أخرى من الاتصال السياسي بين الدولتين كانت تقع خلال أوقات السلم ، لكنها أعمال في طبيعتها عدائية تقترن الحرب مثل عمليات التجسس وتدبير المؤامرات والفتن ، ومؤازرة الخارجين على الدولة ، لذلك يعرض هذا الفصل في إجمال لمثل هذا النشاط السياسي بحكم طابعه العدائي الذي يجعله ألصق بالمجال الحربي ، كذلك نجد ترتيب فداء الأسرى يقف في مجال الحرب والسلم في علاقات الدولتين ، فهو يتصل بشؤون الحرب من جهة ، لكنه يؤدي إلى تخفيف حدة التوتر وأحياناً إلى تصفية حالة العداء والقتال ، ومن ثم لا يعرض هذا الفصل لتلك الفدية تفصيلاً ، كما يقتصر البحث فيه على العلاقات السلمية بين الدولتين العباسية والبيزنطية في المجال السياسي .

## أولاً : السفارات الشخصية المتبادلة بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية:

شغل العباسيون خلال تلك الفترة بتأسيس دولتهم وإخضاع المناوئين لهم واستغرق ذلك سنوات حكم أبي العباس (132-136هـ/749-753م) ، كلها

والسنوات الأولى من حكم أبي جعفر المنصور (136-158هـ/753-774م) ، وفي هذه الأثناء كان عرش الدولة البيزنطية في يد أباطرة الأسرة الأيسورية (99-187هـ/717-802م) ، وكانوا في شغل شاغل بمشكلاتهم الداخلية وعلى رأسها مشكلة الأيقونات التي انقسمت أحزاب الدولة إزاءها بين مؤيد ومعارض ، وأصدرت كنيسة روما قرار الحرمان ضد الإمبراطور ليو الأيسوري عام (108هـ/826م) لمحاربته تقديس الأيقونات[1]، ولم يثن ذلك الإمبراطور عن عزمه في المضي في سياسته ، لكن كانت هناك معارضة وأنصار لتقديس الأيقونات داخل الدولة البيزنطية نفسها ، ولما خلف ليو الأيسوري على العرش البيزنطي ابنه قسطنطين الخامس (124-159هـ/741-775م) واصل سياسة أبيه[2].

وأسهمت هذه المشكلة الداخلية إلى حدما في فتح أبواب العلاقات السليمة مع الدولة البيزنطية ، إذ شغلت الدول البيزنطية عن شن أي حرب كبيرة ذات أهمية في النصف الأول من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي ، وعلى الرغم من أن السنين الأخيرة من حياة الدولة الأموية التي انتهت بسقوطها وقيام الدولة العباسية أتاحت للبيزنطيين ظرفاً مناسباً لهجوم واسع على الأراضي الإسلامية ، إلا أننا لا نجد من هذا القبيل إلا هجوماً محدوداً شنوه على مدينتي ملطية وقلقيلية في آسيا الصغرى في عامي (133-138هـ/750-755م) وقد أعقب الهجوم الأخير مباشرةً فداء للأسرى - بشكل محدود - بين الدولتين في العام التالي (139هـ/756م) [3].

ويبدو أنه أعقب ذلك إيفاد رسل في الدولة البيزنطية إلى الدولة العباسية في عهد أبي جعفر المنصور[4]، فقد تحدثت المصادر الإسلامية عن وصول أحد

---

(1) عاشور ، سعيد عبدالفتاح : أوروبا في العصور الوسطى (التاريخ السياسي) مكتبة الأنجلو المصرية ط5 (القاهرة ، 1972م) 132/1 .

(2) توفيق ، عمر كمال : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، دار المعارف (القاهرة ، 1967م) ، ص 91-93 .

(3) الطبري : تاريخ الأمم 500/7 .

يذكر المسعودي أن أول فداء تم في عهد الدولة العباسية كان في عهد هارون الرشيد سنة 189هـ ، ولعل الفداء الذي ذكره الطبري هنا كان محدوداً فأغفله - التنبيه والإشراف ، ص 161 .

(4) ابن الفراء ، أبوعلي الحسين بن محمد : رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة ، تح : صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، ط2 (بيروت ، 1972م) ، ص 75 .

هؤلاء السفراء إلى المنصور أثناء بناءه عاصمته بغداد سنة (145هـ/ 762م) ، وتذكر الرواية المشار إليها أن المنصور أمر أحد رجاله بمرافقه المبعوث حتى يريه معالم مدينته وعمارتها وبوقفه على أسواقها وسككها ، وقد أعجب المبعوث البيزنطي بما رآه ، لكنه أبدى ملاحظة الخليفة فيما يروي عندما سأله المبعوث عن رأيه في عاصمة الدولة الجديدة ، فقال : رأيت بناء حسناً ، إلا أني رأيت أعداءك معك في مدينتك ، قال : من هم ؟ قال : السوقة [1].

وتنسب رواية أخرى إلى المبعوث البيزنطي هذا القول : كل ما رأيت جليل نبيل ، إلا ثلاثة أشياء ، قال : – أي المنصور– ما هي ؟ قال : السنفس خضراء ولا خضرة لك، والماء حياة ولا حياة لك ، وعدوك معك يعني السوقة[2].

ويروى للمنصور ردّ على المبعوث البيزنطي يقول : أما الخضرة فإني خلقت للجد لا للهزل ، وأما الماء فحسبي منه ما بل الشفة وروى الصدر ، وأما مجاورة العوام فما أبالي أن يطلع على سري خاصتي وعامتي[3].

ولكن على الرغم من ذلك فقد أدرك المنصور صواب رأي الرجل فيما يبدو ، فقد أمر المنصور بعد عودة المبعوث بإجراء المياه إلى داخل بغداد ، كما أمر بإخراج الأسواق منها إلى خارج باب الكرخ عام (157هـ/773م) ، وحضر وجود الأسواق داخل المدينة الذي فطن إليه المبعوث البيزنطي ولفت انتباه الخليفة إليه ، لأنه قد يكون وسط التجار والصناع جواسيس مستخفون في هيئة تجار وصناع ، وقد يندس بينهم من يثير الفتن داخل المدينة وهم بحكم تجمعهم تنتشر بينهم نيرانها بسرعة بالإضافة إلى ما تسببه الأسواق من تزاحم بالقرب من قصر الخلافة[4]، وقد عمل المنصور فعلاً على نقل الأسواق إلى خارج بغداد ، كذلك يروى عن رسول للدولة البيزنطية في عهد المنصور أنه قال لمرافقه عمارة بن حمزة عن بعض أهل السؤال الذين شاهدهم على أحد الجسور " أني أرى عندكم قوماً يسألون وقد كان يجب على صاحبك أن يرحم هؤلاء ويكفيهم مؤنهم

---

[1] الطبري : المصدر السابق 652/7 . كذلك الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد 80/1 .

[2] ابن الفراء : المصدر السابق ، ص 75-76 .

[3] الطبري : المصدر السابق 653/7 ، 52/8 . كذلك الخطيب البغدادي : المصدر السابق 80/1 .

[4] ابن الفراء : رسل الملوك ، ص 76 .

وعيالاتهم " فقال له عمارة " إن الأموال لا تسعهم " فبلغ المنصور ذلك فلم يعجبه جواب عمارة ، فاستدعى السفير وقال له[1] : " قد بلغني ما قلته لصاحبنا وما قاله لك كذب ، لأن الأموال واسعة ولكن أمير المؤمنين يكره أن يستأثر أحد من رعيته وأهل سلطانه بشيء من حظ أو فضل في دنيا وأخره وأحب أمير المؤمنين أن يشركوه في ثواب السؤال ، الزمني وأن يسألوهم من ذوات أيديهم مما أعطاهم الله عز وجل من الرزق ليكون ذلك نجاة لهم في أخرتهم وتمحيصاً لذنوبهم" ، فاستحسن السفير الرومي ذلك وقال : " الحق ما قاله أمير المؤمنين" [2] ، ولا نستطيع أن نتبين ما إذا كنا إزاء مبعوثين مختلفين في وقتين متباينين ، أم أن ثمة مبعوث واحد رويت عنه أخبار متعددة .

ويبدو أن برنامج زيارة أي مبعوث في ذلك الوقت كان يشتمل على جولة لرؤية أهم معالم العاصمة ، وكان هذا يجري في بغداد والقسطنطينية على السواء.

ولم تحدد المصادر الإسلامية تاريخاً لزيارة المبعوث البيزنطي صاحب الملاحظة عن أسواق بغداد ولابد أنها جرت بين عام (145هـ/762م) الذي شهد بناء مدينة بغداد ، وعام (157هـ/773م) الذي جرى فيه إخراج الأسواق إلى ضاحية الكرخ .

ويذكر البيروني أن المنصور بعث بعض الهدايا إلى الكعبة المشرفة وفيها لوح عظيم من الفضة كان قد أهداه إليه ملك الروم[3] ، ولا نعرف تفاصيل السفارة التي حملت هذه الهدية إلى المنصور .

ولا تذكر المصادر الإسلامية أيضاً مقاصد معينة لإيفاد الروم لمبعوثهم وهداياهم إلى البلاط العباسي وقتذاك ، وقد يكون البلاط البيزنطي قصد مجرد المجاملة للدولة العباسية الناشئة ، وإبعاد خطر الحرب في وقت لم تكن بيزنطة مستعدة لها بحكم ما كانت تعانيه من مصاعب داخلية .

وقد مرت فترة ليست بالقصيرة خلت فيها المصادر من ذكر أخبار السفارات الشخصية من قبل البيزنطيين إلى بغداد طيلة عهدي الخليفتين المهدي

---

[1] الجهشياري : الوزراء والكتاب ص 133 .

[2] ابن الفراء : المصدر السابق ، ص 76 .

[3] البيروني ، أبوالريحان محمد بن أحمد: الجماهر في معرفة الجواهر، تح: سالم الكرنكوي ، مطبعة حيدر اباد (د.م، 1355هـ).

وابنه هارون الرشيد (158-193هـ/774-804م) ، ولكن هذا لا ينفي وجود اتصالات بصور أخرى مثل المكاتبة ومنها ما جرى حول أمور كالهدنة والفداء وغيرها ، وسوف يأتي ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل .

وقد يرجع ذلك التوقف في السفارات الشخصية بين الدولتين في تلك الأونة إلى الصراع الحربي الحدودي الذي اشتد بينهما في عهدي المهدي وابنه هارون الرشيد ، فجاء اتصال الجانبين مقصوراً على المكاتبة التي دارت حول عقد الهدنة أو إجراء الفداء .

وخلف المأمون (198-218هـ/ 813-833م) أباه الرشيد بعد نزاع مع أخيه الأمين على الخلافة استمر أربع سنوات (194-198هـ/809-813م) ، وفي خلافة المأمون جرت اتصالات متعددة بين الدولتين ، نذكر منها فيما يلي ما يتعلق بالسفارات الشخصية ، وكانت الدولة البيزنطية هي الأخرى تعاني أزمات متعاقبة ، فقد تسلم عرشها عدد من الأباطرة الضعاف خلال الفترة من سنة (196-205هـ/ 811- 820م) ، وقد أختتم هؤلاء الأسرة الأيسورية وأعقبتها الأسرة العمورية على العرش البيزنطي (205-253هـ/820-867م) ، وأول أباطرتها ميشيل الأول (205-214هـ/820-829م)، الذي أخذ يحاول التوفيق بين الفريقين المتعارضين في شأن الأيقونات لكي يتفرغ لإخماد ثورة داخلية كبيرة قادها ضده توماس الأرمني أو الصقلبي عام (205هـ/820م) [1]، كما نزل أهل الربض المسلمون الذين خرجوا من الأندلس إلى جزيرة اقريطش سنة (210هـ/825م) ، وجد الأغالبة التابعون للدولة العباسي للدولة في فتح جزيرة صقلية في هذه الأثناء[2]، وقد خلف ميشل الأول على العرش البيزنطي الإمبراطور تيوفيل (214-228هـ/829-842م) الذي عاصر السنوات الأربع الأخيرة من عهد المأمون ، ويرى فازيليف تشابهاً بين الإمبراطور والخليفة في الاهتمام بالنواحي الدينية والأدبية[3]، ويبدو ذلك واضحاً في اختيار تيوفيل لمبعوثه

---

[1] فازيليف : العرب والروم ، تر : محمد عبدالهادي شعيره (القاهرة ، دت) ، ص 21 .

[2] ابن الأثير : الكامل في التاريخ 399/6 .

[3] فازيليف : المرجع السابق ، ص23 .

يوحنا النحوي (John The Egnkllos) إلى الخليفة المأمون فقد كان رجلاً حاذقاً ، وقد بلغ من أثار هذه السفارة على الخيال الشعبي البيزنطي أن الروايات التي عرضت تفاصيلها اتخذت طابعاً أسطورياً [1].

وصل يوحنا النحوي إلى بغداد واستطاع تحقيق أهداف السفارة التي جاء من أجلها ، ومنها إعلام الخليفة المأمون بارتقاء الإمبراطور تيوفيل العرش البيزنطي وتقديم هداياه بهذه المناسبة للخليفة العباسي[2]، كما يبدو أن يوحنا النحوي وكما تروي المصادر الإسلامية نجح في الالتقاء سراً بالقائد البيزنطي مانويل الذي كان قد خرج على دولته ولجأ إلى الدولة العباسية منذ عهد ميشيل الأول ، واستطاع المبعوث البيزنطي إقناع مانويل بالعودة إلى بلاده ، ونقل إليه تأكيدات الإمبراطور تيوفيل بالعفو والأمان ، وكان يحمل خطاباً إمبراطورياً مختوماً بخاتم ذهبي ومعه صليب الإمبراطور الذي يضعه على صدره بغية إقناع مانويل بالعودة فتعهد مانويل بذلك[3] ، وقد عاد فعلاً [4].

إن اضطلاع المبعوث البيزنطي بأمر الاتصال بمانويل يمكن أن يفسر بعض ما روي عنه من أنه كان ينثر الذهب كالرمل ويبذل الهبات لكل زائر له في مقره بسخاء[5]، ولعل بيزنطة أرادت كذلك أن تباهي بعظمة الملك وما يشهد بذلك من ثراء وسخاء وطالما حرصت على ذلك في تلك العصور[6].

وتشير المصادر الإسلامية على سفارات شخصية أخرى من قبل البيزنطيين إلى الخليفة المأمون ، فقد روت أنه اجتمع مرةً في مجلس الفضل ابن سهل (202هـ/817م) وزير المأمون مبعوثان لإمبراطور الروم ، وكان وقتذاك ليو الخامس ، وملك الحبشة ، ولم تذكر الرواية وقت حدوث ذلك ، ويبدو أن

---

[1] عثمان ، محمد فتحي : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ، دار الكتاب العربي (القاهرة ، 1966م) ، 398/2 .

[2] مصطفى ، شاكر : دولة بني العباس ، وكالة المطبوعات (الكويت ، 1974م) 343/1 .

[3] العدوي ، إبراهيم أحمد : التمثيل السياسي بين الخلافة العباسية والدولة البيزنطية ، المجلة التاريخية المصرية العدد الثاني لسنة 1952م ، (القاهرة ، 1952م) 122/4 .

[4] اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي 199/3 .

[5] محمد فتحي عثمان : المرجع السابق 398/2-399 .

[6] جروتهاوم ، غوستاف فون : حضارة الإسلام ، تر عبدالعزيز جاويد ، مكتبة مصر (القاهرة ، 1956م) ، ص 45-46 .

المبعوث البيزنطي كان حسن البيان والجواب ، فعندما سأله الوزير العباسي الفضل بن سهل عن سيرة ملكه قال: " قد بذل عرقه وجرد سيفه فاجتمعت عليه القلوب رهبةً ورغبةً لا ينصر جنده ولا يحوج رعيته ، الرجاء والخوف معقودان في يديه" ، ولما سأله عن حكمه فيهم قال:"يتصور في القلب فتغضي له العيون"[1]، وأجاب المبعوث الحبشي قريباً منه[2] ، ويروى أن المأمون عندما أخبر بإجابة المبعوثين أعجب ببلاغتهما وأجازهما بعشرين ألف دينار ، وتمنى أن يكون لديه من البلغاء من يصف الخلفاء الراشدين بهذه الصفة[3].

ومع أن المبعوث البيزنطي قد بالغ في وصف الإمبراطور ليو الخامس إلا أنه في الصورة التاريخية يعد من أقوى الأباطرة البيزنطيين إذ اشتهر بإصلاحاته الداخلية وصده لخطر البلغار على بيزنطة في الخارج .

ولا نستطيع القطع بما إذا كانت هذه الإجابة الحاذقة قد صدرت من المبعوث البيزنطي يوحنا النحوي الذي سبق ذكره أو غيره ؟

ولا توجد إشارة في المصادر الإسلامية إلى ذهاب مبعوث شخصي من قبل الخلافة العباسية إلى البلاط البيزنطي طيلة عهود الخلفاء العباسيين الماضية عدا عهد المأمون ، علماً أن المكاتبات التي جرت بين الدولتين ومن يحملها خلال تلك العهود لم تنقطع ، وقد يحملها بطبيعة الحال مبعوث تكون مهمته مقصورة على اتصال الكتاب وتسلم رده ، إلا أن ثمة إشارة إلى أن الخليفة المأمون بعث رسولاً إلى إمبراطور الروم ، ويبدو أنه تيوفيل الذي تسلم العرش البيزنطي في عام (215هـ/829م) .

ويروي ابن الفراء أنه لما وصل إلى الملك "وأوصل ما صحبه من الكتب وأقام أياماً واستأذنه في الدخول على الأسرى فأذن له فدخل إليهم وسألهم عن أخبارهم فأعلموه ما هم عليه " [4].

---

[1] الحصري ، أبو إسحق إبراهيم بن علي : زهر الآداب وثمر الألباب ، تح: زكي مبارك ، دار الجيل ، ط4 (بيروت ، 1972م) 252/1 .

[2] لا نعرف شيء عن اسم المبعوث الحبشي أو الملك الذي بعثه ، وما هي مهمته ، وهل وجوده في بلاد المأمون في الوقت الذي كان فيه مبعوث بيزنطي كان نتيجة مقصد مشترك بينهم أو مصادفة فحسب ، والاحتمال الأخير أقرب .

[3] الحصري : المصدر السابق 253/1 .

ويذكر ابن الفراء أن هذه السفارة كانت في عهد المعتصم مع اختلاف في اسم وزير الخليفة ، رسل الملوك ص 63 .

[4] ابن الفراء : رسل الملوك ص 87-88 .

ثم يذكر ابن الفراء أن الرسول حين رجع إلى المأمون ونقل إليه أخبار الأسرى وطُرفاً من أشعارهم تستحث همته لاستنقاذهم نهض المأمون إلى ذلك[1].

وقد تكون هذه السفارة ذات أهمية خاصة بحكم مانيط بها من مهام تشابه ما أسند إلى مبعوثين للخلافة العباسية في سفارات مشهورة إلى القسطنطينية مثل سفارة نصر بن الأزهر في عهد الخليفة المتوكل سنة (246هـ/860م) .

ولا تذكر المصادر الإسلامية زمن سفارة المأمون إلى بلاد الروم ، أو الشخصية البيزنطية التي قابلت مبعوث المأمون، وقد تكون وقت تلك السفارة بين عامي (215-216هـ/ 830-831م) في عهد الإمبراطور تيوفيل (214-228هـ/829-842م) إذ شهد هذان العامان غزو المأمون للروم ، فقد فتح في سنة (216هـ/831م) أكثر من ثلاثين حصناً[2]، إذ ربما يكون قد أودع البيزنطيون أولئك الأسرى المسلمين في تلك الحصون قرب الحدود الإسلامية البيزنطية تيسيراً لمفاداتهم عند اتفاقهم مع العباسيين على ذلك وإن كان الأسرى المسلمون في الغالب يرسلون إلى القسطنطينية ، حيث يبدو أن رسول المأمون قد زراهم هناك ، وأبلغ الخليفة بعد عودته استغاثة الأسرى به لاستنقاذهم ، وربما أطلق سراح أولئك الأسرى من معتقلهم في القسطنطينية أو غيرها باتفاق ترتب على غزوات المأمون للأراضي البيزنطية الممتدة إزاء حدود الدولة الإسلامية ، ويؤيد الرأي بأن تلك السفارة كانت قبل عام (216هـ/831م) ، أن المأمون ذهب بعد أن خلص أولئك الأسرى إلى مصر كما يشير ابن الفراء نفسه[3]، وتجمع المصادر الإسلامية على أن المأمون بعد غزوة الروم عام (216هـ/831م) سار إلى مصر لإخماد ثورة نشبت فيها[4].

---

[1] ابن الفراء : رسل الملوك ، ص 89 .

[2] اليعقوبي : المصدر السابق . كذلك ابن الأثير : الكامل 419/6 .

[3] ابن الفراء : المصدر السابق ، ص89 .

[4] اليعقوبي : المصدر السابق 468/1 . كذلك الطبري : تاريخ الأمم 625/8 ، ابن الأثير : المصدر السابق 419/6 .

وفي السنتين التاليتين قصد المأمون – أيضاً – بلاد الروم مجاهداً وتوفي في الأخيرة قرب مدينة طرموس[1].

وثمة سفارة عباسية أخرى تشابه أخبارها السفارة السابقة وقد ذهبت إلى القسطنطينية في عهد الخليفة المعتصم (218-228هـ/833-842م) ، والمعلومات التي توردها المصادر الإسلامية عنها محدودة جداً ومقصورة على إعجاب ملك الروم تيوفيل الأول بمبعوث الخليفة لما رأى فيه من وقار وتجمل ، وقد سأله عن سبب اختيار الخليفة له مبعوثاً من قبله ، فأجابه بأن هناك رجالاً يعدون لقيادة الجيوش وآخرون للقضاء وثمة من يعدون – مثله – للوفادة على الملوك[2].

ويدل هذا على اهتمام العباسيين باختيار مبعوثين وإعدادهم لأداء مهامهم ولا تذكر الرواية شيئاً عن وقت تلك السفارة وهدفها وتفاصيل اللقاء الذي تم ، ومع من الشخصيات البيزنطية الأخرى غير الإمبراطور ، وما نتائجه .

والإمبراطور البيزنطي تيوفيل (214-222هـ/829-842م) هو المعاصر للخليفة المعتصم ، وقد تبودلت بينهما عدة مكاتبات في شؤون الحرب والسلم ، لكن تبقى أهداف هذه السفارة وتفاصيل وقائعها مع ذلك مجهولة ، وهناك حقيقة يجب تأكيدها إذ ينبغي ألا يَغْرب عن البال أن اتصالات متعددة كانت تجرى بوساطة المبعوثين بين ولاة الأقاليم البيزنطية في آسيا الصغرى وبين بعض الخلفاء العباسيين أثناء غزوهم الأراضي البيزنطية ، أو بين الولاة من الجانبين ، وربما اعتبرها بعض المؤرخين المسلمين اتصالات بين الخلفاء والأباطرة ، لاسيما أن القواد والولاة في ذلك العصر إنما كانوا يمثلون حكام دولتهم ، ولا تخرج اتصالاتهم عن إطار السياسة العامة لمن كان يقوم على رأس الدولة العباسية أو الدولة البيزنطية على السواء[3].

---

[1] الطبري : المصدر السابق 646/8 .

رغم حروب المأمون للبيزنطيين إلا أنه كان له ذكر حسن لديهم ، بسبب ما بلغته الدولة العباسية في عهده من قوة وعزة، واهتمامه بالعلم والعلماء إذ نجد أن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع (434-446هـ/1042-1054م) الذي عاش في عصر متأخر يهتم بقبره في مدينة طرسوس ويشيد عليه قبة كبيرة = الصابي ، محمد بن هلال الصابي : الهفوات النادرة ، تح : صلاح الأشقر ، المجمع العلمي العربي (دمشق ، 1387هـ) ، ص 117 .

[2] ابن الفراء : رسل الملوك ، ص 64-65 .

[3] بيوض ، حسن : الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول ، وزارة الثقافة (دمشق ، 1996م) ، ص127 .

وفي أعقاب انتصار الخليفة المعتصم على الإمبراطور تيوفيل في عمورية سنة (223هـ/837م) وصلت إلى الخليفة المعتصم سفارة من قبل الإمبراطور البيزنطي برئاسة البطريق[1] باسيل الخرشني[2] الذي طلب مقابلة الخليفة المعتصم المنتصر فأخبره بأنه مشغول، ثم سمح له بعد ستة أشهر بمقابلة الخليفة[3]، وعندئذ أدى إليه رسالة من تيوفيل تذكر رواية المصادر الإسلامية أنه جاء فيها "أن الملوك لم تزل يغزو بعضها بعضا ، ويعلو بعضها على بعض ، وربما أتيت من وزراء السوء ، وقد كان منا بزبطرة ما كان وتبينت وجه الخطأ فيه وقد كلت الصاع أصوعاً فيما فعلت في عمورية ، وأنا أسألك بالطينة المباركة التي أنت منها أن تنعم عليّ بإطلاق بطارقتي فإنه مائة وخمسون بطريقاً وأنا أفتدي كل واحد منهم بمائة من المسلمين ، وقد تهادنت الملوك قبلنا ، وقد وجهت رسولي من الثياب الديباج المذهبة أربعين ثوباً طول كل ثوب منها أربعون ذراعاً في عرض عشرين" ويروي أن المعتصم قال لمبعوث تيوفيل :" أرانا قد أضررنا بك لطول مقامك ، قال : كلا إن طول المقام أوجب لي الزمام ، ولم نزل نسمع من حكمائنا أن إبطاء الرسول يؤذن بالنجاح وما ضرني مقام قرب منك وأشد في نعم الله عندك " ، فأعجب المعتصم بما ترجم له من كلام المبعوث وقبل هديته[4].

لم يوفق المبعوث البيزنطي في مهمته إذ لم يجب الخليفة المعتصم تيوفيل إلى ما عرضه عليه وطلب منه ، ويبدو أنه أرسل له كتاباً اشترط عليه فيه تسليم

---

[1] يوجد في الدولة البيزنطية منصبان يطلق عليهما لقب بطريق أحدهما ديني والآخر عسكري ، والمقصود هنا الثاني – فازلييف ، العرب والروم ، ص 155 .

[2] باسول الخرشني نسبة إلى مدينة خرشنة في آسيا الصغرى التي كان بطريقاً عليها في هذا الوقت ، ميشيل السوري 96/3 ، نقلاً عن فازلييف : العرب والروم هامش (2) ، ص 155 .

[3] ابن الفرات : المصدر السابق ، ص 68 .

[4] المصدر نفسه ، ص 68-69 .

ويذكر ابن الفرات ص 67-68 أن الذي أرسل هذه السفارة هو الإمبراطور باسيل بن ليون ، ولم يكن هذا الإمبراطور معاصراً للمعتصم فقد ولي العرش البيزنطي سنة (253هـ/867م) أي بعد وفاة المعتصم بحوالي 27 عاماً ، وربما خلط ابن الفرات في اسم مبعوث الإمبراطور وكان باسيل فظن أن الإمبراطور الذي أوفده هو باسيل بن ليون والحقيقة أنه كان من قبل الإمبراطور تيوفيل (214-228هـ/829-842م) المعاصر للمعتصم (218-228هـ/833-842م) ولاسيما أنه ورد في رسالة الإمبراطور للخليفة ذكر معركتي زبطرة وعمورية وكلاهما وقعتا في عهد الخليفة المعتصم وتولى تيوفيل للإمبراطورية – رسل الملوك ، ص 66 .

نصر الكردي ومانويل[1] القائدين الذين لحقا بالإمبراطور البيزنطي من قبل بعد أن كانا لاجئين إلى الدولة العباسية[2]، ويروى أن المعتصم ذكر في كتابه – أيضاً – للإمبراطور " أنني سألت صاحبك عن خراج أرضك فذكر أنه كذا وكذا وأخذ ناحية من مملكتي خراجها أكثر من خراج أرضك فكيف تنابذني" [3].

ولقي المبعوث البيزنطي محمد بن حسن الزيات وزير المعتصم ، وفي خلال حديثهما ومناقشتهما سأل الوزير العباسي مبعوث الإمبراطور البيزنطي عن خراج بلده فقال " أقل من مائة ألف دينار ، فقال محمد هذا غلة بعض ضياع أمير المؤمنين" [4]، ولعل وزير المعتصم قصد إلى معرفة حقيقة الأحوال الاقتصادية في الدولة البيزنطية ، فضلاً عن المباهاة المعروفة بين الكبراء في شأن ثراء ممالكهم وعظمتها ، ولكن المبعوث البيزنطي أجاب الوزير العباسي بقوله " نحن أحزم وأحكم في باب الخراج منكم ، أنتم تستخرجون من الناس مالاً ، فتكسبون عداوتهم، وتوغرون صدورهم ، ويسرق المال عمالكم ويعطون عليه الأرزاق ثم يحمل من بلد إلى بلد آخر ، فيذهب ويتخرم في الطريق ، وتحتاجون أن يسلم إلى خزنة وحراس ، ثم تخرجه إلى رجالكم ، ونحن جعلنا خراجنا رجالاً ، فكفينا هذه المؤنة وصيرنا هذا المقدار الذي ذكرته لك رسماً للخراج لئلا يبطل اسمه فأمنا عداوة الناس وحفظنا المال وكفينا ما أنتم فيه" [5].

ويذكر ابن الفراء أن الوزير العباسي لم يجد جواباً إلى المبعوث البيزنطي ، وإن كان المعتاد ألا يسكت على مثل هذا الكلام ، ومن جانب آخر يمكن أن هذا الموقف من المبعوث البيزنطي ساهم في فشل مهمته المشار إليها آنفاً ، فرد عليه ابن الفراء – فيما بعد – ومما قال "وقد كان الجواب ممكنا والحجة متوجهة عليه والخطأ في القول لازماً له وذلك أن رجال الحرب بمثابة الجوارح التي لا يجوز

---

[1] يحيط بترجمة هاذين القائدين غموض واضح في المصادر الإسلامية والمراجع البيزنطية ولا نعرف عن نصر الكردي أكثر من أنه انشق على الدولة العباسية ولجأ إلى البيزنطيين في حين انشق مانويل على البيزنطيين ولجأ إلى الدولة العباسية ثم هرب منها ولحق بهم ، وكان الاثنان مع الإمبراطور البيزنطي تيوفل في وقعة عمورية = فازليف العرب والروم ، ص 155 .

[2] المرجع نفسه ، ص 155 .

[3] المقدسي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشر دي غويه ، بريل ، ط2 ( ليدن،1909م)، ص64.

[4] ابن الفراء : المصدر السابق ، ص 69 –70 .

[5] المصدر نفسه ، ص 69 .

أن تمرن بعمل من الأعمال ولا مهنة من المهن غير اختطاف الأرواح وصيد الرجال وأعمال الحيلة في التسليم من اللقاء والكر والفر وفي الإقامة والتحيز ....، وقد كنت أعرف من الروم أن أخس الرتب والمنازل عندهم رتبة الكاتب ، وأن الشاكري (الخادم) أجلّ رتبة منه حتى علمت الآن قلة احتياجهم إلى من يحفظ الارتفاع ويحمل أعباء الملك ، وتساوى كافتهم في البلاد ، وقلة العلوم ، ولعمري أن نوازع الروم وأغراضهم ودواعيهم وأوطارهم أقل من نفقات المسلمين ودواعيهم....»[1].

ثم مرت على الدولتين العباسية والبيزنطية فترة من الزمن قلت فيها مصادماتهما الحربية ، وذلك بعد أن افتقدت الدولة العباسية شخصيات من الخلفاء العظام أمثال الرشيد والمأمون والمعتصم ، وارتقى عرش الدولة البيزنطية طيلة السبعة والعشرين عاماً الإمبراطور الضعيف ميخائيل الثالث (228-253هـ/842-867م) وعرف بالسكير لسوء سيرته[2]، وأتيحت الفرصة خلال تلك الفترة لعلاقات المسالمة والمصالحة ، فأجرى خلاله فداء من أكبر ما جرى بين المسلمين والروم ، وقد سبقته – فيما يبدو – اتصالات بين الطرفين للاتفاق على أسس الفداء وترتيب إجراءاته[3].

واستمرت العلاقات العباسية البيزنطية في تدرجها نحو السلم وكان إجراء عمليات فداء الأسرى يمثل مظهراً هاماً في إرساء قواعد السلم بين الدولتين ، وقد وضع هذا المظهر في سياستها ابتداءً من عهد الخليفة العباسي الواثق (228-232هـ/ 842-846م) وكان إجراء الفداء في عام (231هـ/845م) شاهداً على تلك الوجهة السليمة تعززت بإيفاد الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث مبعوثاً إلى الخليفة المتوكل (232-247هـ/846-861م) في عام (245هـ/859م) كان من أعظم رجال السياسة البيزنطية معه 77 رجلاً من الأسرى المسلمين عند الروم

---

[1] ابن الفراء : رسل الملوك ص69 – 70 . كذلك أحمد ، منى حسن : دراسات في العلاقات بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية، دار الفكر العربي (القاهرة ، 1990م) ، ص 52 .

[2] فازلييف : العرب والروم ، ص 24 .

[3] العدوي ، إبراهيم أحمد: السفراء العرب إلى أوروبا ، مجلة المجلة ، العدد 32 ، السنة الثالثة (القاهرة ، 1959م) ، ص69 .

الذين أطلقوا وأعيدوا إلى الأراضي الإسلامية تأكيداً لاتجاه بيزنطة نحو المسالمة والمودة [1].

ويبدو أن هذا الموقف من جانب الدولة البيزنطية قد نال تقدير الدولة العباسية ولاسيما أن ظروف كلتا الدولتين وقتذاك كانت لا تساعد على قيام صراع حربي بينهما،وبعث الخليفة المتوكل مبعوثاً إلى القسطنطينية عام (246هـ/860م) هو نصر بن الأزهر الذي كان قد سبق له أن زار البلاد البيزنطية في عام (241هـ/ 855م) لترتيب إجراء فداء الأسرى في ذلك العام[2]، وهكذا صار خبيراً في الجانب البيزنطي ، وإذا كانت سفارة نصر ابن الأزهر تخرج زمنياً عن نطاق هذا البحث إلا أن التصاقها زمنياً بالفترة محل البحث ولأهمية المعلومات التي اشتملت عليها أخبارها في مجال السفارات الشخصية ، فقد يكون من المفيد التعرض لها وعدم إغفالها ، يقول نصر بن الأزهر واصفاً لسفارته في القسطنطينية : " لما صرت إلى القسطنطينية حضرت دار ميخائيل الملك بسوادي وسيفي وخنجري وقلنسوتي فجرت بيني وبين خال الملك بطرناس المناظرة وهو – القيّم بشأن الملك – وأبو أن يدخلوني بسيفي وسوادي فقلت أنصرف فانصرفت فَرُددتُ من الطريق ومعي الهدايا نحو من ألف نافجة[3] مسك وثياب حرير وزعفران كثير وطرائف ، وقد كان أذن لوفود برجان وغيرهم ممن ورد عليه ، وحملت الهدايا التي معي فدخلت عليه فإذا هو علي سرير فوق سرير ، وإذا البطارقة حوله قيام ، فسلمت ثم جلست على طرف السرير الكبير ، وقد هيئ لي مجلس ووضعت الهدايا بين يديه ، وبين يديه ثلاث تراجمة : غلام فراش كان لمرور الخادم وغلام لعباس بن سيعد الجوهري وترجمان له قديم يقال له سرحون، فقالوا لي : ما تبلغه ؟ قلت : لا تزيدون على ما أقول لكم شيئاً ، فأقبلوا يترجمون ما أقول فقبل الهدايا ولم يأمر لأحد منها بشيء وهيأ لي منزلاً بقربه ، فخرجت

---

(1) عبداللطيف ، أحمد توني : العلاقات الدبلوماسية للخلافة العباسية ، مركز الإسكندرية للكتاب (الإسكندرية، 2004م)، ص18 . كذلك علي حسن أحمد : المرجع السابق ، ص42 .

(2) الطبري : المصدر السابق ، 202/9 .

(3) نافجة : لفظة أعجمية معربة ، ونافجة المسك أي الجلد الوعائي المرتفع الذي يتجمع فيه المسك في الغزال – ابن منظور : المصدر السابق 48/12 .

فنزلت في منزلي ، وأتاه أهل لؤلؤة برغبتهم في النصرانية وأنهم معه ووجهوا برجلين ممن فيها رهينة للمسلمين ، فتغافل عني نحو من أربعة أشهر حتى أتاه كتاب مخالفة أهل لؤلؤة ، وأخذهم رسله واستيلاء العرب عليها ، فراجعوا مخاطبتي وانقطع الأمر بيني وبينهم في الفداء على أن يعطوا جميع من عندهم وأعطي جميع من عندي ، وكانوا أكثر من ألف قليلاً ، وكان جميع الأسرى الذين في أيديهم أكثر من ألفين ، منهم عشرين امرأة معهن عشرين من الصبيان ، فأجابوني إلى المخالفة فاستحلفت خاله ، فحلف عن ميخائيل ، فقلت : أيها الملك قد حلفت لي خالك ، فهذه اليمين لازمة لك ؟ فقال برأسه : نعم ، ولم أسمعه يتكلم بكلمة منذ دخلت بلاد الروم إلى أن خرجت منها ، إنما يقول الترجمان وهو يسمع فيقول برأسه : نعم أو لا ، ولا يكتم وخاله المدبر أمره ، ثم خرجت من عنده بالأسرى بأحسن حال" [1].

وتتيح أخبار السفارات الشخصية المتبادلة بين الدولتين السبيل لمعرفة ما جرت عليه كل منهما في اختيار المبعوث ، ومراسم استقبال مبعوث الدولة الأخرى ومعاملته ، وإذا كانت بعض السفارات الشخصية قد جرت وقائعها في زمن لاحق للفترة محل الدراسة فأن القواعد المرعية في مثل تلك المناسبات لم تكن وليدة طارئة ، وإنما كانت في غالب الأمر تقاليد متبعة لزمن طويل في كلتا الدولتين ، ولاشك أن كُلاً منهما قد تأثرت بالأخرى وأثرت فيها فيما يتعلق بهذه السفارات ، بل قد يكون ما جرى عليه استقبال السفراء ومحادثتهم فيما قدموا لأجله ومعاملتهم تقاليد قد سرت بين دول العالم الكبرى وقتذاك [2].

وقد ظهر جلياً أن كلتا الدولتين العباسية والبيزنطية اعتنتا بانتقاء مبعوثيهما خير انتقاء كما عملت كل منهما على إكرام مبعوثي الدولة الأخرى ، ذلك أن المبعوث إنما يمثل عاهل دولته ، وينبغي أن يكون في شخصيته وسلوكه مشرّفاً لمن أرسله وهو الخليفة أو الإمبراطور [3].

---

[1] الطبري : المصدر السابق 9/219-220 .

[2] أحمد توني : المرجع السابق ص21 . كذلك حسن بيوض : الرسائل السياسية ، ص29 .

[3] فتحي عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية ، ص388 .

ويشهد اختيار الإمبراطورية البيزنطية لسفيرها يوحنا النحوي أو أطروبيليس ، واختيار الدولة العباسية لسفيرها نصر بن الأزهر وإيفاد الأمويين للشعبي من قبل لبيزنطة بأهمية تلك السفارات واقتدار الشخصيات التي تختار لها وما يناط بها من مهام ، كما حرصت الدولتان – وتحرص غيرهما من الدول عادة في كل زمان ومكان – على أن تظهر عظمتها وهيبتها وقوتها أمام السفراء الوافدين عليها لينقلوا تلك الصورة لملوكهم وبلادهم عند عودتهم ، ولدينا صورة واضحة الملامح والتفاصيل لاستقبال الخليفة العباسي مبعوث بيزنطة سنة (305هـ/917م)، وذلك في عهد المقتدر العباسي (295-320هـ/907-932م) [1]، ولا يحسن إغفال تلك الصورة التي ترجع إلى وقت لاحق للفترة محل البحث لأنها زاخرة بالتفاصيل في تصوير مراسم الاستقبال وهي مما لا يتغير في مجمله في أي دولة على نحو سريع كما سلف الذكر .

فقد ازدانت بغداد لاستقبال السفارة البيزنطية ولبست حلة قشيبة ورتبت الحُجاب والحواشي في الدهاليز والطرقات وصحون الدور والمجالس وأصطف الجند في صفين امتدا من محلة الشماسية[2]، حتى دار الخلافة في وسط المدنية ، وقد امتطوا صهوات الجياد المسرّجة وتوشحوا بالعدد والأسلحة المختلفة ، وبعدهم الغلمان والخدم والخواص بالبزة الرائعة والسيوف والمناطق المحلاة بالذهب والفضة ، وامتلأت أسواق الجانب الشرق وشوارعه وسطوحه ومسالكه بالعامة النظارة[3]، كما صفت أنواع مختلفة من السفن في نهر دجلة بأفضل زينة وعلى أحسن تعبئة ، كما عُرضت أيضاً على شط النهر مجموعة من الفيلة والزرافات والفهود والسباع حتى أنه وسط هذه المظاهر الرائعة حسب السفير البيزنطي عندما دخل على الحاجب نصر القشوري والوزير علي بن محمد بن الفرات قبل دخوله على الخليفة ، حسب أن كل واحد منهما هو الخليفة فأُفهِم أن الأول حاجبه والثاني

---

[1] لسترنج ، جي : بغداد في عهد الخلافة العباسية ، تر : بشير فرنسيس ، المطبعة العربية ( بغداد ، 1936م ) ص ص 173-175.

[2] الشماسية : لفظة عربية منسوبة إلى وظيفة شماس (الشماس وظيفة دينية عند النصارى) ، وهي محلة تقع في أعلى بغداد ناحية الشمال ، وكان يوجد بها عدد من الديارات ، كما أنها مجاورة لدار أسرى الروم ، وتوجد بالقسطنطينية دار مشابهة للأسرى المسلمين هناك – ياقوت الحموي : معجم البلدان 361/3 .

[3] المقدسي : أحسن التقاسيم ص147 . كذلك لسترنج : المرجع السابق ، ص185 .

وزيره ، وذلك من فرط ما هما فيه من بهاء وزينة ، ثم استدعى بعد ساعات إلى حضرة الخليفة المقتدر بالله في وسط مجلس عظيم مهيب ، وبعد مقابلة الخليفة انصرف السفير البيزنطي إلى دار قد أعدت له تسمى دار صاعد وقد هيئت بالفرش والخدم المناسبين في مثل هذا المقام [1].

أما بالنسبة لاستقبال الإمبراطور البيزنطي لمبعوث الخلافة العباسية فقد سبقت الإشارة إلى ما كان من استقبال نصر بن الأزهر الموفد من قبل الخليفة المتوكل مبعوثاً إلى القسطنطينية عام (246هـ/860م) لمفاداة الأسرى المسلمين هناك ، وقد أبدى بطرناس خال الإمبراطور ميخائيل الثالث (228-253هـ/842-867م) والقيّم بأمره اعتراضاً في أول الأمر على توشح المبعوث العباسي بالسيف والسواد أثناء مقابلته للإمبراطور ، فلما هدد نصر ابن الأزهر بالعودة أو السماح له بالدخول على هيئته ، سمح له بالمقابلة وقدم للإمبراطور هدايا الخليفة العباسي المتوكل ، ثم أُنزل في قصر بالقرب من دار الإمبراطور ومكث في القسطنطينية أكثر من أربعة أشهر كما سلف الذكر [2].

وقد كان السفراء العباسيون وكذلك الفاطميون فيما بعد يشغلون مكانةً أرفع في البلاط البيزنطي ، مما كان يتمتع به سفراء الفرنجة أو سفراء الدولة الأموية في الأندلس [3].

وقد اعتاد البيزنطيون أن يهيئوا للسفراء برنامجاً من الاحتفالات والزيادات والعروض العسكرية ، فكانوا يقصدون ميدان (الهيبدروم Hippodrome) ، وهو من أهم الميادين في القسطنطينية لمشاهدة المباريات المختلفة التي تعقد فيه ، كما كانوا يزورون كنيسة أيا صوفيا ويشهدون عروض القوات العسكرية التي تحرص بيزنطة على إبراز نظامها وقوتها أمام السفراء الوافدين [4].

---

[1] المقدسي : المصدر السابق 147 -148 .

[2] الطبري ، المصدر السابق 219/9 . كذلك إبراهيم أحمد العدوي : السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى ، دار المعارف (القاهرة ، 1957م) ، ص18 .

[3] العدوي: السفارات الإسلامية ، ص 18 – 19 .

[4] المرجع نفسه ، ص 19 .

إن احتفال كل من الدولتين العباسية والبيزنطية بمبعوثي الدولة الأخرى ليقدم صورة جلية للعلاقات الدبلوماسية بين دول العالم البارزة آنذاك على اختلافها ويدخل ضمنها دول الفرنجة والدولة الأموية في الأندلس .

## ثانياً : المراسلات والاتفاقيات بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية :

قد يؤدي المبعوث نفسه رسالة يكلف بإبلاغها للعاهل الذي أوفد إليه إذا كان شخصية قوية ، على أن الخليفة أو الإمبراطور قد يرى أن يكتب بما يريده اهتماماً بالأمر وتدقيقاً في اختيار كلماته ، ويحمل الرسالة مبعوث قد تجري معه محادثات جانبية أو تفصيلية .

وكانت الصلة وثيقة بين مثل هذه المكاتبات والسفارات التي سبق الحديث عنها لأن القصد من وراء الأمرين واحد ، وهو إعلام أحد العاهلين للآخر بشيء يريده مشافهة عن طريق مبعوثه إليه أو مكاتبته برسالته التي يحملها إليه مبعوث خاص أيضاً ، وقد تجتمع الرسالة المكتوبة والسفارة الشخصية إذا كان المبعوث الذي يحملها مفوض من قبل من أوفده للحديث فيما تضمنته الرسالة وزيادة موضوعها بياناً وتفصيلاً .

وكثيراً ما تمت مكاتبات في أقاليم الثغور على الحدود بين الدولتين بشأن عقد الصلح أو تجديد الهدنة أو فداء الأسرى .

ولا نجد فيما بين أيدينا من المصادر الإسلامية أخبار مكاتبات بين الخليفة أبي العباس ومعاصره الإمبراطور قسطنطين الخامس بشأن حرب أو سلم ، فلما تولى الخلافة أبوجعفر المنصور جرت بينه وبين الإمبراطور قسطنطين الخامس مكاتبات بشأن فداء الأسرى بين الدولتين في عام (139هـ/756م) وفي عام (155هـ/771م) عقدت بينهما معاهدة للصلح تقرر فيها أن يدفع الإمبراطور البيزنطي إتاوة للمنصور ، والمعلومات عن هذه المعاهدة محدودة للغاية في المصادر الإسلامية [1].

---

[1] الطبري : الأمم والملوك 46/8 . كذلك ابن الأثير : الكامل في التاريخ 5/6 .

حين أخذت الدولة العباسية تقوى وتشتد وبدت بوادر عظمة الدولة وقوتها مع بداية عهد الخليفة المهدي، كان العرش البيزنطي في ذلك الوقت مضطرباً أثناء وصاية إيرين على ابنها القاصر قسطنطين السادس (164-181هـ/780-797م) وقد ارتأت إيرين مخالفة سياسة الأباطرة السابقين من الأسرة الأيسورية ، فشرعت في العودة إلى ما كان من تقديس الأيقونات من قبل[1]، وكانت الحملات الإسلامية قد توغلت وقتذاك في آسيا الصغرى وبلغ هارون – في عهد أبيه المهدي – سنة (165هـ/781م) خليج القسطنطينية الأسيوي ، فاضطرت إيرين إلى مكاتبة هارون في طلب الصلح والموادعة مع الدولة العباسية وإعطائهم الفدية ، وجاءت رسلها إلى هارون لهذا الغرض فقبل ذلك منها وشرط عليها الوفاء بما أعطت له ، وأن تقيم له الأدلاء والأسواق في طريقه[2]، وذلك أنه دخل مدخلاً صعباً مخوفاً على المسلمين فأجابته إلى ما سأل ، والذي وقع عليه الصلح بينه وبينها تسعون أو سبعون ألف دينار وتؤديها في نسيان الأول في كل سنة ، وفي حزيران فقبل ذلك منها ، فأقامت له الأسواق في منصرفه – لضمان مؤنة جيشه – ووجهت معه رسولاً إلى المهدي على أن تؤدي ما يتسر من الذهب والفضة وكتبوا الهدنة إلى ثلاث سنين[3].

واستمرت معاهدة الصلح مرعيةً من الجانبين طيلة اثني وثلاثين شهراً حتى نقضها البيزنطيون عام (168هـ/784م) ، ولم يراعوا خطر نقض الاتفاقيات المكتوبة [4].

على أن نقض البيزنطيون للهدنة مع الدولة العباسية لم يكن يعني قيام حرب واسعة النطاق بين الجانبين ، لأن الإمبراطورة إيرين ظلت مشغولة بمشكلات

---

[1] العريني ، السيد الباز : الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية (القاهرة،1965م) ص 224-225 . كذلك منى حسن أحمد : العلاقات بين الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية ، ص 47 .

[2] عنان ، محمد عبدالله : مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، مؤسسة الخانجي ، ط4 (القاهرة ، 1962م) ، ص 210 .

[3] الطبري : تاريخ الأمم 163/8 . كذلك ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر 211/3 .

[4] منى حسن : المرجع السابق ، ص 48 .

دولتها الداخلية[1]، كما أن حملات العباسيين كانت مقصورة على الصوائف والشواتي[2].

فلما تولى العرش البيزنطي نقفور[3] (186-196هـ/802-811م) كتب للخليفة هارون الرشيد كتابه المعروف في المصادر الإسلامية ، فقد جاء فيه "من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتكم مقام الرخ[4] وأقامت نفسها مقام البيدق[5] – وفي رواية وضعتك وأباك وأخاك موضع الملوك ووضعت نفسها موضع السوقة – فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثالها إليها ، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن ، فإذا قرأت كتابي فأردد ما حصل قبلك من أموالها وافتد نفسك بما يقع به المصادرة لك وإلا السيف بيننا وبينك"[6].

ولا تذكر المصادر من قدم بهذا الخطاب ، والراجح أنه قد حمله مبعوث بيزنطي خاص ولم يحمله صاحب البريد كالرسائل العادية للحكام والولاية ، إذ إن رسائل الخلفاء والأباطرة كان يحملها مبعوثون من قبلهم وهم يتولون نقل الردود إلى الطرف الآخر[7].

وقد استفزت الصيغة الملتهبة لكتاب نقفور الخليفة هارون الرشيد ، وتعطي المصادر الإسلامية صور دقيقة لانفعاله كما تسجل رده المشهور إذ " لما قرأه لم يستطيع أحد أن ينظر إليه دون أن يخاطبه وتفرق جلساؤه خوفاً من زيادة قول أو

---

(1) إلى جانب انشغال الإمبراطورة إيرين بمشاكلها الدينية وهجوم المسلمين على أراضي الدولة البيزنطية انشغلت في هذه الفترة أيضاً سنة 167هـ/ 783م بإرسال حملة لمحاربة الصقالبة في مقدونيا وبلاد الإغريق تحت قيادة القائد القوطاشي ستاوراكيوس قائد الجيوش- وليم لانجر: موسوعة تاريخ العالم، تر: محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1959م) ص 485 .

(2) لوسان : الإمبراطورية البيزنطية ، تر: مصطفى طه بدر (القاهرة،1953م) ، ص 156 .

(3) يعد نقفور من أولاد جفنة من غسان ، وكان لأصله الشرقي أثر واضح في عدم تشجيعه إعادة عبادة الأصنام ، ودام في الحكم تسع سنوات من سنة (187-196هـ/802-811م) وقد واجه نقفور عدة حروب مع هارون الرشيد وأيضاً مع كرمن ملك البلغار وتوفي أثناء إحدى معاركه ضد البلغار في سنة 196هـ/811م ، منى حسن أحمد: الملاكات السياسية ، ص 49 .

(4) من أحجار الشطرنج يسميه اللاعبون في الوقت الحاضر : القلعة = الدروبي ، محمد محمود: الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، دار الفكر (عمان ، 1999م) ، ص 187 .

(5) من أحجار الشطرنج يسميه اللاعبون الوقت الحاضر : جندي المشاة = المرجع نفسه ، ص 187 .

(6) الطبري: تاريخ الأمم 8/307-308. كذلك صفوت أحمد: جمهرة رسائل العرب ، دار الكتب العلمية (بيروت،د.ت) 3/274 .

(7) حمادة، محمد ماهر: الوثائق السياسية الإدارية العائدة للعصر العباسي الأول، مؤسسة الرسالة، ط4 (بيروت،1985م)،ص 203.

فعل يكون منهم" ، ولم يستطع أحد أن يشير عليه بشيء فدعا بدواة وكتب على ظهر صحيفة كتاب نقفور ما يأتي :

"بسم الله الرحمن الرحيم . من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون أن تسمعه والسلام" ، ثم شخص إلى بلاد الروم في جمع لم ير مثله وفتح مدينة هرقلة البيزنطية في عام (190هـ/805م) [1].

على أن غضب الرشيد لم يحجب نبله وكرمه وعواطفه الإنسانية ، فقد كتب إليه نقفور عقب المعركة كتاباً مع بطريقين من بطارقته يرجو إعادة خطيبة ابنه وكانت ضمن سبي هرقلة[2].

وجاء في كتابه " لعبدالله هارون أمير المؤمنين من نقفور ملك الروم ، سلام عليكم أما بعد أيها الملك فإن لم يكن إليك حاجةً لا تضرك في دينك ولا دنياك ، هينة يسيرة أن تهب لابني جارية من بنات أهل هرقلة كنت قد خطبتها على ابني ، فإن رأيت أن تسعفني بحاجتي فعلت ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[3].

وقد استجاب هارون الرشيد لرجاء الإمبراطور ، وبعث له بالفتاة مع مجموعة من الهدايا كما سيأتي .

وحين تولى الإمبراطور تيوفيل بعد عدد من الأباطرة الضعاف قاد الخليفة المأمون بنفسه عدة حملات في آسيا الصغرى ، وقد سار إلى الروم في عام (216هـ/ 831م) ، وكان قد بلغه أن تيوفيل أغار على مدينتي طرسوس والمصيصة ، على أن تيوفل ما لبث أن كتب إلى المأمون يطلب المهادنة ، ويروى أن المأمون رد كتاب تيوفيل هذا لبدئه فيه بنفسه ، فكتب له تيوفيل خطاباً آخر جاء فيه :

"إلى عبدالله غاية الناس في الشرق ملك العرب من تيوفيل ملك الروم" ، وقد عرض فيه دفع مائة ألف دينار ورد سبعة آلاف أسير مسلم كانوا بيده إذا رد

---

(1) الطبري : تاريخ الأمم 308/8 . كذلك ابن الأثير : الكامل 118/5 ، وابن خلدون : العبر 325/3 .

(2) محمد الدروبي : الرسائل الغزلية ، ص188 .

(3) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي 200/3 مؤلف . كذلك مجهول : العيون والحدائق 312/3.

له المأمون ما أخذ من الحصون وقبل مهادنته خمس سنين ، فلم يجبه الخليفة المأمون[1].

ولما وقع حصن لؤلؤة الهام في أيدي المسلمين في عام (217هـ/832م) ورأي تيوفيل أن الموقف الحربي أصبح في صالح المأمون ، بعث إليه رسالة بليغة كان فيما جاء فيها :

" أما بعد فإن اجتماع المختلفين على حظهما أولى بهما في الرأي مما عاد بالضرر عليهما ولست حرياً أن تدع الحظ يصل إلى غيرك خطأ تحسوزه إلى نفسك، وفي علمك كاف عن أخبارك ، وقد كنت كتبت إليك داعياً إلى المسالمة راغباً في فضيلة المهادنة ، لتضع أوزار الحرب عنا ، ونكون كل واحد لكل واحد ولياً وحزباً مع اتصال المرافق والفسح في المتاجرة ، وفك المستأجر وأمن الطرق والبيضة ، فإن أبيت فلا أدب لك في الخمر[2]، ولا أزخرف لك في القول ، فإني لخائض إليك غمارها آخذ عليك سدادها ، شأن خيلها ورجالها ، وإن أفعل فبعد أن قدمت المعذرة وأقمت بيني وبينك علم الحجة والسلام " [3].

وهذا الخطاب الذي أرسله تيوفيل في صدر حكمه يوضح ما يختلج في نفس الإمبراطور الجديد وفكره في ذلك الوقت الذي أحدقت فيه الأخطار الخارجية بالدولة البيزنطية سواء في الشمال ، حيث جثم خطر البلغار والصقالبة ، أو في الغرب حيث تعرض الأسطول البيزنطي في بحر الروم لهجوم الأغالبة ومسلمي جزيرة أقريطش ، فلا يحجب أن يرغب تيوفيل في مهادنة الدولة العباسية في الجنوب ، وقد أوضح كتاب الإمبراطور ما يمكن أن تجنيه الدولتان نتيجة للمسالمة من اتصال المرافق ، وأمن الطرق ونشاط التجارة بينهما ، فضلاً عن إطلاق أسارى الطرفين ، ومع ذلك فلم يخل خطاب الإمبراطور من التهديد بخوض الحرب إذا لم يكن غير الأسنة مركباً على الرغم من ظروف الإمبراطورية غير المواتية[4].

---

[1] اليعقوبي : المصدر السابق 200/3 . ، كذلك الطبري : المصدر السابق 626/8 ، محمد الدروبي: المرجع السابق ، ص189 .

[2] أي لا أخادعك – الدروبي : المرجع السابق ، ص 189 .

[3] الطبري : المصدر السابق 629/8 .

[4] حسن بيوض : الرسائل السياسية ص 132 . كذلك أحمد توني : العلاقات الدبلوماسية ، ص 21 .

ويروى أن الخليفة المأمون قد رد على الإمبراطور تيوفيل بالكتاب التالي :

" أما بعد فقد بلغني كتابك فيما سألك من الهدنة ودعوت إليه من الموادعة ، وخلطت فيه من اللين والشدة مما استعطفت به من شرح المتاجر واتصال المرافق، وفك الأسارى ودفع القتل والقتال فلولا ما رجعت إليه من أعمال التؤدة والأخذ بالحظ في تقليب الفكر ، وألا أعتقد الرأي في مستقبله إلا في استصلاح ما أوثره في معتقبه لجعلت جواب كتابك خيلاً تحمل رجالاً من أهل البأس والنجدة والبصيرة ينازعونكم عن ثكلكم[1] ويتقربون إلى الله بدمائكم ، وستقلون في ذات الله ما نالهم من ألم شوكتكم ، ثم أوصل إليهم من الإمداد وأبلغ لهم كافياً من العدة والعتاد ، هم أظمأ إلى موارد المنايا منكم إلى السلامة من مخوف معرتهم عليكم[2]، موعدهم إحدى الحسنيين : عاجل غلبه أو كريم منقلب ، غير أني رأيت أن أتقدم إليك بالموعظة التي يثبت الله بها عليك الحجة ، من الدعاء لك ولمن معك من الوحدانية والشريعة الحنفية فإن أبيت ففدية[3]، توجب ذمة ، وتثبت نظرة وأن تركت ذلك ففي يقين المعاينة لنعوتنا ما يغني عن البلاغ في القول والأغراق في الصفة ، والسلام على من اتبع الهدى " [4].

وبالرغم من أن في الكتابين مزجاً واضحاً بين الشدة واللين إلاّ أن كتاب تيوفيل يعكس ناحية هامة عند انتفاء الحرب بين الدولتين واتصال السلم بينهما وما يتبعه من فك الأسرى وتأمين الطرق واتصال المتاجر ، ومن الملاحظ أن الإمبراطور هو البادئ بطلب الموادعة وتقديم مزاياها في كتابه على التلويح بالشدة، وقد يرجع ذلك إلى الأخطار المحدقة به آنذاك في الداخل والخارج ، في

---

(1) ثكلكم : أي ملاككم = ابن منظور : لسان العرب 366/1 .

(2) أي من مخوف ملاككم وفنائكم وشدة حصرهم عليكم = ابن منظور : المصدر السابق 503/3 – 504 .

(3) تختلف هذه الفدية – أو الجزية كما يعبر عنها المؤرخين أحياناً – التي كانت تنص عليها بعض المعاهدات مع الروم عن الجزية التي يدفعها أهل الذمة في داخل الدولة الإسلامية ، وإن اتفقا في المعنى العام، فالجزية عبارة عن المال الذي يعقد الكتابي الذمة عليه مع الحاكم المسلم في حين تكون الفدية بين الدول وليس على رؤوس الأفراد، وتكون في فترات الموادعة والمصالحة بين المسلمين وأهل دار الحرب، إلا أنها تتفق مع الجزية والخراج في عدم وجوب الخمس فيها ، فهي ليست فيئاً أو غنيمة = ابن الحسن الشيباني، محمد : شرح كتاب التفسير الكبير ، تـح : محمد عزالدين ، دار النهضة العربية (القاهرة ، 1986م) 1703/5-1713.

(4) الطبري : المصدر السابق 629/8 – 630 . كذلك صفوت أحمد زكي: جمهرة رسائل العرب 448/3 ، محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية والإدارية ، ص 365 – 366 .

حين كان جواب المأمون أشد وأقوى في رفض مطالب تيوفيل ، وكاد أن يجعل الرد عليه دون غيرها فهو لم يعد يخش الحرب بعد استقرار حكمه وإزدهار دولته، ولكنه آثر تخييره بين الإسلام أو الفدية أو القتال على نهج ما كان يعرضه المسلمون في فتوحهم الأولى[1].

وهكذا رفض المأمون جميع مطالب تيوفيل ، وعندما علم تيوفيل أن المأمون يستعد لحصار مدينة عمورية في عام (218هـ/833م) أرسل خطاباً إليه يعرض فيه أن يرد له نفقات حملته ويسلم ما لديه من أسرى المسلمين ، ويصلح ما خرب الروم من ثغور المسلمين على أن يضع المأمون الحرب عنه ، وطلب إجراء الصلح والمهادنة بينهما بدلاً منها أو التهديد بها كما سبق[2].

وحين قدم رسول الإمبراطور البيزنطي بكتابه إلى المأمون قام فدخل خيمته حيث صلى ركعتين واستخار الله فيها ثم خرج فقال لمبعوث تيوفيل :

" قل له ، أما قولك ترد على نفقتي فإني سمعت الله يقول في كتابنا – أو في كتابه العزيز – حاكياً عن بلقيس " وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ"[3]. وأما قولك : إنك تخرج كل أسير من المسلمين في بلد الروم، فما في يدك إلا أحد رجلين : أما رجل طلب الله عز وجل والدار الآخرة ، فقد صار إلى ما أراد ، وأما رجل يطلب الدنيا ، فلافك الله أسره"[4].

وأما قولك : إنك تعمر كل بلد للمسلمين قد خربته الروم ، فلو أني قلعت أقصى حجر في بلاد الروم ما اعتضت بامرأة عثرت في حال أسرها فقالت : وامحمداه وامحمداه ، عد إلى صاحبك فليس بيني وبينه إلا السيف يا غلام اضرب الطبل[5].

---

[1] محمد الدروبي : الرسائل الفنية ، ص 192 .

[2] اليعقوبي : المصدر السابق 469/3 . كتلك المسعودي : مروج الذهب 455/3 .

[3] سورة النمل ، الآية 36 .

[4] المسعودي : المصدر السابق 456/3 . كتلك محمد ماهر حمادة : المرجع السابق ، ص 339 .

[5] حسن بيومي : المرجع السابق ، ص 134 .

وتتجلى هنا صورة المأمون وهو يؤدي صلاة الاستخارة ، ويتحمس للجهاد،ويستشهد بآيات القرآن على مواقف أعدائه ومراوغتهم ، ومشيداً بعلو همة جنده وحرصهم على الاستشهاد ومبرزاً حرصه هو على الدفاع عن دار الإسلام وأهله ومكانة ذلك عنده لاسيما في ظل استقرار حكمه وازدهار دولته الذي يساعده على تحقيق ذلك[1].

ويفهم من مقتضى هذه الرواية أن رد المأمون كان شفوياً وهذا من صور الرد على المكاتبات ويكون غالباً عند الانفعال وإعلان الحرب ، إذ يكفي في ذلك الرد الشفوي أو الرد الكتابي الموجز على نحو ما سبق من رد الرشيد على نقفور.

وظل موضوع طلب الهدنة ، ووضع أوزار الحرب ، وفداء الأسرى بين الدولتين من أهم ما قصدت إليه المكاتبات بين الخلفاء العباسيين والأباطرة البيزنطيين نتيجة للموقف المتوتر على حدودهما ، وتزايد هذه السمة في مكاتبات الجانبين ، عندما تولي الخلافة المعتصم وكان معاصره على عرش بيزنطة الإمبراطور تيوفيل ، وكان للرجلين شأن في تاريخ دولتهما وعلاقتهما الحربية ، فقد عادت صيغة المكاتبات القوية والتي عرفها هارون الرشيد ونقفور فترددت بين المعتصم وتيوفيل ، فقد كتب الإمبراطور للخليفة يتوعده ويتهدده ، ويبدو أن هذا الأسلوب بدر من تيوفيل في غمرة نشوة نصره في معركة زبطرة سنة (223هـ/837م) ، فكتب إليه المعتصم بنفسه "بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع به وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار"[2].

فلما ترامت إلى مسامع الإمبراطور البيزنطي استعدادات المعتصم للانتقام لمعركة زبطرة وإصراره على خوض غمار الحرب ضده عرض على الخليفة اعتذاره عن تخريب زبطرة ورغبته في الصلح وكتب إليه ما معناه "أن الذين فعلوه بزبطرة ما فعلوه تعدوا أمري وأنا أبينها بمالي ورجالي وأرد من أخذ من

---

[1] محمد محمود الدروبي : الرسائل الفنية ، ص 190 – 191 .

[2] ابن الفرات : رسل الملوك ص 82 . كذلك الخطيب البغدادي : تاريخ 344/3 .

أهلها وأخلي من في بلد الروم من الأسارى وأبعث إليك بالقوم الذين فعلوه بزبطرة على رقاب البطارقة"[1].

فرفض المعتصم عرض الإمبراطور ولم تكن له نتيجة إيجابية وسار المعتصم على رأس حملة ضربت عمورية سنة (223هـ/837م) التي ينتمي إليها البيت الحاكم في بيزنطة ، إلا أن هذه العلاقات العدائية المتوترة لم تستمر طويلاً ولم تلبث الاتصالات باختلاف صورها ومنها المكاتبات بطبيعة الحال فقد استؤنفت بشأن فداء الأسرى وغيره مما يربط الجانبين في العهود التالية[2].

## ثالثاً : صور أخرى من العلاقات السياسية بين العباسيين والبيزنطيين :

هناك من الصلات السياسية بين الدولتين العباسية والبيزنطية ما يمكن أن يوضع في مقام وسط بين السلم والحرب لعلاقتهما بكليهما مثل فداء الأسرى ، وإن كان هذا الفداء قد يخفف التوتر ويعزز المصالحة والمسالمة ، وإلى جانب ذلك فإن بث الدولة للعيون والجواسيس في أراضي الدولة الأخرى عمل عدائي يقترن بالنشاط الحربي وإن كان هؤلاء يقومون بمهمتهم في سكون دون أن يمتشقوا سلاحاً أو يُسفكوا دماً ، وقد تؤدي تقاريرهم إلى إبراز قوة الدولة التي يتجسسون عليها وتعزيز جانب العلاقات السلمية معها ، كما أن ثمة صور لعلاقات عدائية وإن كانت سياسية في طبيعتها مثل استثارة القوى المعادية داخل الدولة للخروج عليها أو دعم الخارجين .

وتعتبر هذه الصور من النشاط السياسي في مجموعها من قبل العلاقات الحربية أو العدائية بين دول وأخرى ، وإن كان هذا النشاط العدائي أو المتصل بالجهود الحربية يقوم على أعمال ليست حربية بصورة مباشرة .

وأوضح صور هذا النشاط السياسي وأقربها للعلاقات السلمية بين الدولتين العباسية والبيزنطية عمليات فداء الأسرى التي كانت تُعين على تصفية الجو وتعزيز المسالمة والمصالحة .

---

(1) اليعقوبي : المصدر السابق 210/3 .

(2) أحمد زكي : جمهرة رسائل العرب 449/3 . كذلك حسن بيومي : الرسائل السياسية ، ص 135 .

وقد حفظت لنا المصادر الإسلامية صورة واضحة عن الفداء ، فقد أجريت الأفدية عدة مرات خلال العصر العباسي الأول بسبب اتصال الحرب الحدودية بين الدولتين وقتذاك من وقت لآخر ، وما نتج عنها من وقوع أسرى بين الطرفين لدى الأخر ، وقد كانت تسبق الفداء في العادة سفارات شخصية توفد من قبل العباسيين إلى الروم البيزنطيين لترتيب أسسه ، وتحديد مكانه وزمانه ، وكان يجري غالباً على نهر اللامس في مقاطعة سلوقية على بعد خمسة وثلاثين ميلاً من مدينة طرسوس في اتجاه الشمال الغربي منها[1].

وقد تم أول فداء للأسرى في العصر العباسي بعد حرب نقفور في سنة (189هـ/805م) وبلغ من فودي به من المسلمين اثنى عشر ألفاً وقيل أقل من ذلك، فقال مروان بن أبي حفصة في ذلك :

وفكت بك الأسرى التي شيدت لها  محابس ما فيهما حميم يزورها
على حين أعيا المسلمين فكاكها  وقالوا سجون المشركين قبورها[2].

ويذكر المسعودي أن هذا الفداء هو أول فداء تم في عهد الدولة العباسية ، بينما يشير الطبري إلى إجراء فداء في عهد المنصور في عام (139هـ/756م) ، ويبدوا أن هذا الفداء – وإن كان صحيحاً – قد جرى مبكراً في وقت لم يكن قد اشتد فيه ساعد الدولة العباسية ، أو نشطت حملاتها على الحدود الإسلامية البيزنطية ، وقد يكون فداء لعدد قليل كان قد أسر من قبل في معارك سابقة ، وأراد الروم تقديم مبادرة بإطلاقهم إلى الدولة العباسية لإثبات النوايا الطيبة والرغبة في المسالمة[3].

ومن الأفدية المشهورة بين المسلمين والروم فداء عام (192هـ/807م) ، واستمر سبعة أيام فودي خلالها من المسلمين ألفان وخمسمائة أسير ، ومنها فداء

---

(1) نهر لموس Lamos وسماه العرب اللامس وهو على مرحلة من طرسوس ويلي هذا النهر بلدة الروم تعرف بسلوقية أو سلوقية قليقية وعلى هذا النهر كان يجرى في أيام العباسيين تبادل الأسرى بين المسلمين والبيزنطيين = ابن الأثير : الكامل 275/5 . كذلك زيان ، حامد : الأسرى المسلمين في بلاد الروم ، دار الثقافة (القاهرة ، 1989م) ، ص 30

(2) ابن الأثير : المصدر السابق 275/5 . كذلك منى حسن أحمد : العلاقات بين الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية ، ص84 .

(3) الطبري : تاريخ الأمم 500/7. كذلك المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص 160.

عام (231هـ/845م) في عهد الواثق واستمر عشرة أيام ، وبلغ من فودي به من المسلمين أربعة آلاف وثلاثمائة ونيف [1].

وكانت أيام الفداء مشهورة في تاريخ الثغور بين الدولتين إذ يحضرها كبار قادة الثغور وولاتها من الجانبين ويشهده أهلها في جموع كبيرة بلغت أكثر من خمسمائة ألف في فداء عام (189هـ/804م) بالإضافة إلى حضور الجند للأفدية في أحسن هيئة من الاستعداد والقوة ويكون البيزنطيون بمثل هذه الحال وربما حضرت مراكبهم في أحسن هيئة من الزينة والعرض أيضا[2].

ويعسكر المسلمون في الجانب الشرقي من النهر ويعسكر الروم في الجانب الغربي ويعقد كل منهما جسراً ليعبر عليه أسراه ، فيرسل كل منهما رجلاً من أسرى الآخر واحد بواحد ، وقد يدل هذا على أن عدد الأسرى من الدولتين يكون متكافئاً أو قريباً من ذلك في أغلب الأحيان ، فإذا ما وصل أسير المسلمين إليهم هتفوا بالتكبير ، وإذا ما وصل أسير الروم إليهم هتفوا بصيحاتهم المناسبة للمقام[3].

أما بالنسبة لبث العيون والجواسيس فإنما تكفي الإشارة إلى النشاط السري الذي عنى به كل من الجانبين العباسي والبيزنطي للتعرف على الجانب الآخر ، ولاسيما مما يتعلق بالقوات والاستعدادات العسكرية مما يعين على إحراز نصر أو تجنب مكيدة ، وهو نشاط عدائي في طبيعته وثيق الصلة بشئون الحرب ، وإن كانت تقارير الجواسيس قد تؤدي إلى الاقتناع بقوة الطرف الآخر أو عزوفه عن الحرب مما يعزز جانب المسالمة والمصالحة .

ويروى أن الرشيد أنفذ أحد رجاله ويدعى يحيى بن الشخير وأمره أن يتطارش عند نقفور ويظهر علامات الصمم ويدخل معسكره ويأتيه بأخباره وأخبار قواده[4].

---

[1] فتحي عثمان : الحدود الإسلامية 418/2 . كذلك حامد زيان : المرجع السابق ، ص 30 .

[2] المسعودي : المصدر السابق ص 161 . كذلك ابن الأثير : المصدر السابق 276/5 .

[3] الطبري : تاريخ الأمم 143/9-144 . كذلك ابن خلدون : العبر 372/3 .

[4] المسعودي : مروج الذهب 371/1 .

وقد استعان الخلفاء العباسيين الأوائل في نظامهم الدقيق للعيون والجواسيس بالتجار والأطباء والنساء والغلمان للتوغل في البلاط البيزنطي والتعرف على ما يريدون معرفته دون أن يكونوا مثار شك أو ريبة تكشف مهمتهم[1].

وقد واجه البيزنطيون ذلك النشاط السياسي في التجسس بمثله ، وربما قام بعض سفرائهم بشيء من هذه المهام ، وتروي المصادر الإسلامية أن الروم عمدوا إلى تصوير كثير من قواد الثغور المسلمين من ذوي البأس في كنائسهم مثل الحسين بن قحطبة وعبدالله البطال وعمر الأقطع ليسهل على رعاياهم التعرف عليهم ومقاتلتهم أو القبض عليهم إذا دخلوا أرض الروم[2].

ويبدو أنه نتيجةً لمتابعة كل من الدولتين العباسية والبيزنطية لأحوال الأخرى بمختلف الوسائل ، فقد تعرفت كل منهما على المصاعب الداخلية للأخرى وعملت على استثارة المعارضين ودعم الخارجين كل ما كان ذلك ممكناً ، وهو نشاط سياسي عدائي بطبيعة الحال يستهدف قتال العدو ولكن بأسلحة أخرى[3].

وتروي المصادر البيزنطية أخبار دعم الخليفة المأمون لثورة توماس التي نشبت في أقاليم الإمبراطور الأسيوية في عام (205هـ/820م) ضد الإمبراطور ميشيل الثاني (205-214هـ/820-829م) ، وتذكر تلك المصادر أن المأمون رتب احتفالاً بتتويج توماس إمبراطوراً على بيزنطة في كنيسة أنطاكية وقد وضع التاج على رأسه بطريركها أيوب[4].

ويرى فازيليف في ذلك محاولة إقامة تحالف حقيقي كامل بين توماس والمسلمين وصل إلى تأييد جيش توماس بمقاتلين من المسلمين[5].

وتروي المصادر الإسلامية خبر لجوء أحد القواد البيزنطيين إلى الدولة العباسية في عهد الخليفة المأمون بسبب خلافه مع الإمبراطور ميشيل الثاني[6]،

---

(1) محمد عبدالله عنان : مواقف حاسمة ، ص 216 .

(2) البلاذري : فتوح البلدان، تح : صلاح الدين المنجد (القاهرة، 1956م) 226/1 . كذلك فتحي عثمان : المرجع السابق 209/2.

(3) محمد عبدالله عنان : المرجع السابق ، ص 217

(4) فازيليف : العرب والروم ، ص 37 .

(5) المرجع نفسه ، ص 37 .

(6) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي 199/3 . كذلك الطبري : تاريخ الأمم 624/8 .

وأواه العباسيون حتى تمكن مبعوث بيزنطة يوحنا النحوي من الاتصال بالقائد البيزنطي مانويل سراً وإقناعه بالعودة إلى دولته إذ كان حمل إليه وعوداً موثقة من الإمبراطور بالعفو عنه[1].

وهرب مانويل فعلاً والتحق بالإمبراطور تيوفيل في عهد الخليفة المأمون في رمضان عام (215هـ/830م) ، لهذا نرى أن المعتصم اشترط تسليم مانويل فيما بعد ، عندما طلب منه الإمبراطور تيوفيل الصلح ومفاداة الأسرى بعد وقعة عمورية[2]، ربما لأن المعتصم ظن أن مانويل جاسوس لبيزنطة لمعرفة خطط المسلمين الحربية إزاءها ، فلما انتهت مهمته ، أو أنه تيسر له خلال إقامته بينهم معرفة كثير من أمورهم فرغب المعتصم في عدم عودته حتى لا يفشي للبيزنطيين ما يساعدهم في حربهم ضد المسلمين ، ولاسيما أنه بعد هربه خرج مع الإمبراطور تيوفيل في وقعة عمورية[3].

وكذلك آزر العباسيون البيالقة[4] (Paulicians) ، وهم فرقة من نصارى إقليم الثغور الجزرية واختلفوا عن بيزنطة في مذهبهم الديني وخرجوا عليها في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ، وكان يتوافر للمسلمين المعونة بهم في غزواتهم ضد البيزنطيين ، ويقدمون لهم المساعدة[5].

وبنفس الأسلوب اتجه البيزنطيون من ناحيتهم إلى استغلال الانتفاضات على الدولة العباسية في عصرها المبكر ، إما بالهجوم على ثغورها الحدودية في نفس الوقت الذي تكون فيه مشغولة بقمع الخارجين ، أو بمعاونتهم أو بالتحالف مع أولئك الخارجين أنفسهم بطريق مباشر[6].

---

[1] فتحي عثمان : الحدود الإسلامية 400/2 .

[2] اليعقوبي : المصدر السابق 199/3 . كذلك فازيليف : المرجع السابق ، ص 155 .

[3] منى حسن أحمد : المرجع السابق ، ص88 .

[4] البيالقة أو البيالصة : فرقة غريبة من نصارى كانوا على مذهب بولس الشمشاطي الذي يقوم على التفريق بين آلهة الخير وآلهة الشر ، وعارض البيزنطيون هذا المذهب واضطهد أباطرتهم ، واشتهر معقل البيالقة باسم تفريق في إقليم الثغور الجزرية = جي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، تر: كوركيس عواد ، المجمع العلمي العراقي (بغداد ، 1954م) ، ص 148 .

[5] منى حسن أحمد : العلاقات بين الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية ، ص 89 .

[6] لسترنج : المرجع السابق ص 151 . كذلك فتحي عثمان : المرجع السابق 312/2 .

ومن هذا القبيل ما جرى من الاتصال بين البيزنطيين في عهد الإمبراطور تيوفيل وبابك الخرمي الخارج على الدولة العباسية في عهد المعتصم ، وقد روت المصادر الإسلامية أن بابك كاتب الإمبراطور يستعينه ويحرضه ، وقد يكون ذلك هو ما أدى بتيوفيل إلى مهاجمة ثغر زبطرة في عام (223هـ/837م) [1].

وقد حاول بابك حين تحقق من هزيمته في سنة (223هـ/837م) الدخول إلى بلاد الروم لكن قبض عليه قبل أن يتم له ذلك[2].

ويكفي هذا الإجمال لتلك الصور من النشاط السياسي الذي يقترب من علاقات العداء والحرب بين الدولتين .

---

[1] الطبري : المصدر السابق 56/9 . كذلك ابن الأثير : المصدر السابق 479/6 .

[2] مؤلف مجهول : العيون والحدائق 389/2 – 390 .

# الفصل الثالث

## العلاقات بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة

أولاً : السفارات الشخصية المتبادلة بين الخلفاء العباسيين وملوك الكارولنجيين

أ- السفارات المتبادلة بين أبوجعفر المنصور وبين الملك بيبين القصير .

ب- السفارات المتبادلة بين هارون الرشيد وشارلمان .

ج- السفارات المتبادلة بين عبدالله المأمون ولويس التقي .

ثانياً : الهدايا المتبادلة بين العباسيين والفرنجة .

ثالثاً : أهداف العلاقات بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة .

## أولاً : السفارات الشخصية المتبادلة بين الخلفاء العباسيين وملوك الكارولنجيين :

أوردت المصادر الفرنجية وحدها ذكر عدد من السفارات التي تبودلت بين بعض الخلفاء في العصر العباسي الأول وملوك الفرنجة في العهد الكارولنجي ، كما ذكرت بعض هدايا الخلفاء إلى ملوك الفرنجة ، وفيما يلي بيان تلك السفارات مرتبة على عهود الخلفاء والملوك ، تعقبه دراسة للهدايا المتبادلة بين الدولتين ، ثم يعقب ذلك دراسة لما يبدوانه من قصد تلك العلاقات، ومناقشة أراء الباحثين فيها :

### أ- السفارات المتبادلة بين الخليفة أبو جعفر المنصور والملك بيبين القصير:

أرسل بيبين القصير (135-151هـ/752-768م) ملك الفرنجة سفارة إلى أبي جعفر المنصور عام (148هـ/765م) ، هي أولى السفارات الشخصية بين البلاطين الفرنجي والعباسي ، ونجد إشارة ترد عند من يدعي بتلميذ فريد غارو (Frede Garu) الذي كان معاصراً للملك بيبين والخليفة المنصور[1].

كما يرد ذكر هذه السفارة عند عودتها عام (151هـ/768م) بعد أن مضى على إيفادها ثلاث سنوات ، ولا تشير المصادر الفرنجية إلى زمن مقابلة هذه البعثة للخليفة المنصور أو مكان اللقاء أو الغرض الذي ذهبت من أجله ، كما لا تبين الطريق الذي سلكته البعثة إلى أرض الخلافة،وإنما تذكر تلك المصادر فحسب أن البعثة الفرنجية عادت إلى بلادها في 10 أبريل سنة (151هـ/768م) [2].

أما الرد العباسي على تلك السفارة فقد صحب بعثة بيبين القصير في طريق عودتها مبعوثين من الخليفة المنصور يحملون هداياه للملك الفرنجي ، وقد نزل السفراء جميعاً في ميناء مرسيليا وقضوا الشتاء في تلك السنة في مدينة متز على أحد فروع نهر الراين (شرق فرنسا حالياً) ثم قابلوا ملك الفرنجة في 10 أبريل سنة (151هـ/768م) في مدينة سيلوس على نهر اللوار – في فرنسا حالياً –

---

[1] بارتولد : دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى ، تر: غريد حداد ، مركز الدراسات الفلسطينية بجامعة بغداد (بغداد، 1973م) ، ص 78 ، ولا نعرف عن هذا التلميذ شيئاً أكثر من ذلك .

[2] المرجع نفسه ، ص 79 .

وقدم له مبعوثو الخليفة هداياه المتعددة التي لم تذكر أنواعها ، وقد لقوا منه حفاوةً كبيرةً وودعهم إلى مدينة مرسيليا ومنها عادوا إلى بلادهم عن طريق البحر[1].

ولا تصرح المصادر الفرنجية التي ذكرت تلك السفارات بشيء عن أهدافها أو تذكر أي نتائج ترتب عليها ، ويبقى ما ذكره الباحثون من أهداف محتملة هو مجرد احتمال في ضوء دراستهم للظروف السياسية في الوقت الذي تمت فيه تلك السفارة ، حيث أرجع عدد من الباحثين مثل فازلييف وبكلر والباز العريني بواعث هذه السفارات إلى العداء القائم بين الدولتين العباسية والأموية في الأندلس ، فقد غلب عبدالرحمن الداخل على الأندلس واستقل بها وأقام فيها دولة أموية عام (138هـ/755م) ، وفشلت حملة أبي جعفر المنصور على الأندلس بقيادة العلاء بن مغيث اليحصبي من ولاية إفريقية سنة (146هـ/763م) فهزمه عبدالرحمن الداخل قرب إشبيلية وقتله مع بعض أصحابه ، ويبدو أن المنصور هالته الهزيمة التي لقيها العلاء ، ويروى أنه حمد الله أن جعل البحر بينه وبين عبدالرحمن الداخل وتأسّى على العلاء وأصحابه[2].

فهل أدى فشل هذه المحاولة إلى أن يفكر المنصور في الاستعانة بالفرنجة الذين يشاركونه عداء الأمويين في الأندلس ، وإلى أن يرى بيبين القصير الظروف مواتية لإنشاء علاقات مع الخليفة المنصور على حساب دولة عبدالرحمن الداخل في الأندلس ؟

إن أول سفارة بين الفرنجة والعباسيين في هذا العصر بعث بها بيبين القصير إلى أبي جعفر المنصور عام (148هـ/765م) أي بعد سنتين من حملة العلاء إلى الأندلس ، ويقول فازلييف أن " كلا الطرفين وخاصةً الخليفة كانا قلقين لنمو قوة الأمويين في إسبانيا (الأندلس) ، ويرى أنه بعد تبادل السفارات بين الطرفين – فيما يبدو – أصبح بيبين القصير حليفاً نافعاً للمنصور [3].

---

[1] محمد عبدالله عنان : مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ص 211 . كذلك بارتولد : المرجع السابق ، ص 80 .

[2] ابن عذاري المراكشي ، أبو العباس أحمد بن محمد : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تح : كولان وبروفنسال ، دار الثقافة (بيروت – 1948م) 52/2 . كذلك ابن الأثير : الكامل في التاريخ 575/5 .

[3] فازلييف : هارون الرشيد وشارلمان ، نقلاً عن بارتولد: دراسات في تاريخ فلسطين ، ص 126 .

ويسير الأستاذ بكلر (Buckler) في نفس الاتجاه فيرى من المحتمل وصول خبر محاولة العباسيين الفاشلة للقضاء على عبدالرحمن الداخل إلى بيبين القصير ، وأن فشل تلك المحاولة ، ربما جعل المنصور أكثر ترحيباً بالسفارة الفرنجية[1]، ويقول الدكتور الباز العريني " ولم يكن المقصود بسفارة بيبين سوى إقامة حلقة من المحالفات ضد أمويي الأندلس والإمبراطور البيزنطي" [2].

وكانت قد وصلت في هذا الوقت إلى ملك الفرنجة رسالة من كوسماس (Cosmas) بطريك الإسكندرية ، ويقول بكلر " بأنه لا يبدو مستحيلاً بأن الرسالة كانت تحتوي على اقتراح بإرسال سفارة إلى بغداد " [3].

وقد كان كوسماس من أنصار تقديس الأيقونات ، وكان الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس (124-189هـ/741-775م) في هذه الأثناء يشدد في محاربة الأيقونات ، وقد عارضه في سياسته البابوات وملوك الفرنجة ، ويبدو أن كوسماس أراد أن يبلغ معارضي الإمبراطور البيزنطي رأيه وتأييده لتقديس الأيقونات[4].

ويفسر بارتولد عدم وضوح أهداف السفارات الفرنجية إلى الدولة العباسية ، وعدم ذكر المصادر الفرنجية لها إلاّ عند عودتها بأن ذلك من الأمور العادية إذا وضعنا في الاعتبار أن هؤلاء السفراء ليسوا في الواقع إلا تجار[5].

ومن الممكن أن يكون هذا الاتجاه الفرنجي قد وجد تأييداً من نصارى الدولة العباسية مما دعم فكرة إيفاد تلك السفارة ، كما عززتها ما حظيت به التجارة مع الشرق من صيت ذائع ، ووجود تجار من أهل الشام (السوريين) واليونانيين واليهود في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي في مرسيليا -

---

(1) بكلر : شارلمان وهارون الرشيد ، نقلاً عن الرحيلي، سليمان ضفيدع : العلاقات السلمية بين الدولة العباسية وأوروبا ، مكتبة كلية الآداب (القاهرة ، 1981م) ، ص 97 - 98 .

(2) السيد الباز العريني: بعض معالم عهد شارلمان ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد الثالث (القاهرة ، 1959م) ، ص 143.

(3) بكلر : شارلمان وهارون الرشيد ، نقلاً عن سليمان ضفيدع : المرجع السابق ، ص 98 .

(4) المرجع نفسه ، ص 98 .

(5) بارتولد : دراسات في تاريخ فلسطين ، ص 113 .

جنوبي غاله – ، فتطلع ملوك الفرنجة إلى الحصول على السلع الثمينة عن طريق إقامة علاقات مع خليفة المشرق الإسلامي[1].

على أن كل ذلك لا يعدو مجرد احتمالات مادامت المصادر الفرنجية التي ذكرت تلك السفارات أو غيرها من المصادر ، وفي مقدمتها المصادر الإسلامية لا تصرح بما يؤيد شيئاً منها ، ولكن من المؤكد أنه لم يكن لهذا الاتصال أي نتائج ملموسة بمثل قيام تحالف بين العباسيين والفرنجة كما يرى بكلر.

ويلاحظ أن نشاط الملك بيبين في إيفاد السفارات كان كبيراً ولم يكن مقصوراً على المنصور وحده ، فقد أرسل سفارةً إلى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس في عام (140هـ/757م) ، وفي عام (148هـ/765م) – وهو العام الذي أرسل فيه بيبين سفارته إلى المنصور – وصلت إليه سفارة من الإمبراطور قسطنطين الخامس[2]، ويبدوا أن مهمة هذه السفارة تناولت مشكلة الخلافة في تقديس الأيقونات، وكان البابا بولس الأول (140-150هـ/757-767م) قد حثّ الملك بيبين القصير على مراعاة آراء البابوية فيها ، ولعل دعوة البابا إلى عقد مجمع ديني في روما في ذلك الوقت الذي كانت فيه سفارة قسطنطين الخامس عند بيبين إنما دفعت إليها الرغبة في مناقشة ما طرحته السفارة البيزنطية[3].

وفي ضوء هذه الاتصالات البيزنطية الفرنجية التي عاصرت تبادل السفارات الفرنجية مع العباسيين يمكن استبعاد الاحتمال بأن يكون هدف هذه السفارة هو حصول الفرنجة على مساندة العباسيين ضد البيزنطيين الذين كان لهم مبعوث أو أكثر في بغداد في هذا الوقت كما سبق بيانه .

**ب– السفارات المتبادلة بين الرشيد وشارلمان :**

وفيما يلي عرض للسفارات الشخصية المتبادلة بين الإمبراطور شارلمان والخليفة هارون الرشيد كما أوردتها المصادر الفرنجية المعاصرة لها .

---

(1) لبكر العريني : بعض معالم عهد شارلمان 144/8 .

(2) الداية ، زهدي: هارون الرشيد وشارلمان هل بينهما علاقة ، مجلة الهلال ، السنة الرابعة (القاهرة ، 1982) ، ص 77 .

(3) سليمان ضفيدع : العلاقات السلمية ، ص 99 .

**1- سفارة شارلمان الأولى إلى الرشيد (181هـ/797م) :**

بلغت الدولة العباسية في عهد هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م) أوجهاً من الاتساع والرخاء والتقدم كما هو معروف وطبق ذكرها الآفاق وغدت بغداد حاضرة عصرها وفاقت قرطبة في الأندلس وناقست القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ، ووفد إليها العلماء من أنحاء المعمورة كما جُلبت لها السلع التجارية المختلفة من أقصى الصين في الشرق ومن بلاد الفرنجة في غرب أوروبا[1].

وفي هذه الأثناء كانت دولة الفرنجة في غاله (فرنسا) قد بلغت أوج مجدها أيضاً تحت حكم شارلمان (151-199هـ/768-814م) الذي يذكر انيهارد أن من سمات عظمته ومجده كسب احترام العديد من الملوك والسعي إلى مصادقتهم بمراسلتهم والتحالف معهم ويغلب أن تكون الشهرة التي ذاعت عن عظمة هارون الرشيد ودولته قد ترامت إلى مسامع شارلمان فعقد الاتصال به وخطب وده[2] .

وتتحدث المصادر اللاتينية عن إرسال شارلمان أولى سفاراته إلى الخليفة هارون الرشيد في سنة (181هـ/797م) ، وكان مبعوثوه هم (لانفريد Lantfrid)، (وسيجموند Sigimund) وإسحاق وهو تاجر يهودي تولى الترجمة في هذه السفارة[3].

ويرجح فازلييف أن هذا المترجم (أي إسحاق) كان تاجراً كثيراً ما عمل من قبل في جلب بعض السلع الثمينة من فلسطين إلى شارلمان[4].

ولا نعرف من المصادر الفرنجية ما إذا كان هذا المترجم من يهود الأندلس ولهم صلاتهم ببلاد الفرنجية ، أو من يهود المشرق الإسلامي ، أومن التجار الراذانية اليهود – القادمين إلى الدولة العباسية من بلاد الفرنجة – الذين ذكر ابن خرداذبة عنهم أنهم يسافرون بين الغرب والشرق وبالعكس لأجل التجارة، وقد

---

(1) العبادي ، عبدالحميد : صور وبحوث من التاريخ الإسلامي ، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة ، 1953م) ، ص 33 – 34 .

(2) انيهارد : سيرة شارلمان ، نقلاً عن سليمان مشيدع ، المرجع السابق ، ص 104 .

(3) المرجع نفسه ، ص 104 .

(4) فازلييف : شارلمان وهارون الرشيد ، نقلاً عن بارتولد : المرجع السابق ، ص 144 .

حملوا المتاجر وقتذاك إلى كل من بغداد ومدينة اكس لاشابل (آخن) عاصمة الفرنجة[1].

وكذلك لا تزودنا المصادر الفرنجية بشيء عن مكانة الرجلين الآخرين في البلاط الفرنجي ، كما أننا لا نعرف بالضبط وقت مغادرة تلك السفارة بلاد الفرنجة ، أو وقت مقابلتها للخليفة ، وإنما نعرف سنة إرسالها فحسب ، كما نعرف أن رجوع السفارة إلى شارلمان كان في سنة (185هـ/801م) أي بعد أربع سنوات من مغادرتها بلاد الفرنجة[2].

وتحدثنا الحوليات الإسلامية ضمن أخبار الرشيد سنة (181هـ وتقابلها سنة 797م التي ذهبت فيه السفارة الفرنجية) ، وخروجه في آخرها لأداء فريضة الحج،وقد عاد بعدها إلى العراق فنزل مدينة الرقة في أول سنة (182هـ/798م)، وأقام بها حتى جمادى الأخرة من سنة (184هـ/800م) أي ما يزيد على سنتين ثم انصرف إلى بغداد ورجع إلى الرقة في السنة التالية (185هـ/801م) [3] ، وتخلو المصادر الفرنجية من ذكر مكان مقابلة مبعوثي شارلمان للرشيد ، وما إذا كان في بغداد أو في الرقة ، كما تخلو المصادر الإسلامية من أي ذكر لهذه السفارة .

فإذا كانت هذه السفارة قد استغرقت نصف المدة التي أمضتها خارج مملكتها – وهي أربع سنوات في الذهاب ومثل ذلك في العودة – وقد استغرقت سفارة أخرى من شارلمان للرشيد أربع سنوات أيضاً فإنها تكون قد وصلت إلى الخليفة في عام (183هـ/799م) أو في النصف الأول من عام (184هـ/800م) وكان وقتها مقيماً في مدينة الرقة ، وقد انتقل في السنة التالية إلى بغداد .

ويذكر اينهارد أن غرض هذه السفارة هو الحصول على فيل من عند الخليفة[4].

---

[1] ابن خرداذبة : أبوعبيدالله بن أحمد : المسالك والممالك ، نشر : دي غويه ، (ليدن ، 1889م) ، ص 153-154 .

[2] سالم ، السيد عبدالعزيز: دراسات في تاريخ العرب (العصر العباسي الأول) مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية،1398هـ) 248/3 .

[3] الطبري: تاريخ الأمم والملوك ، 268/8 – 273 .

[4] اينهارد: سيرة شارلمان ، نقلاً عن سليمان ضفيدع : العلاقات السلمية ، ص 105 .

**2- سفارة الرشيد الأولى إلى شارلمان سنة (185هـ/801م) :**

تذكر المصادر الفرنجية أن شارلمان ظل يجهل أخبار سفارته الأولى حتى يونيو عام (185هـ/801م) حين أتاه رسولان من قبل الخليفة هارون الرشيد وأخبراه أن اثنين من أعضاء سفارته قد ماتا في الطريق وهما لانتفريد وسيحموند، أما إسحاق فهو قادم بصحبة الفيل[1].

ولم تذكر (الحوليات الملكية Annalea Regni francorum)التي انفردت بخبر سفارة الرشيد إلى شارلمان وأسماء رسولي الخليفة وإنما ذكرت أن أحدهما فارسي من الشرق يمثل الخليفة وعربي من إفريقية يمثل الأمير بن الأغلب واليها من قبل الخليفة ، ويبدو أنها كانت رداً على سفارة شارلمان الأولى [2].

**3- سفارة شارلمان الثانية إلى الرشيد سنة (186هـ/802م) :**

أرسل شارلمان إلى الرشيد سفارة أخرى كما تذكر المصادر الفرنجية في عام (186هـ/802م) وهي لا تبين كعادتها شيئاً عن غرض هذه السفارة أو زمن مقابلتها للخليفة ، وكان أحد أعضائها يسمى (رادبيرت Redoert)وتكتفي الحوليات الملكية بالقول "إن السفراء زاروا الخليفة فقط وعادوا عام (191هـ/806م) متجنبين الحصار البحري البيزنطي في بحر الأدرياتيك ، ويبدو أن هذا الحصار كان مفروضاً على مدخل هذا البحر في إبان التنافس البيزنطي والفرنجي على السيطرة على البندقية[3].

وتذكر الروايات خبر وفاة رادبيرت عضو هذه السفارة في طريق العودة إلى بلاط شارلمان في أوائل عام (192هـ/807م) وقد يكون رادبيرت توفي بعد وصوله إلى أراضي دولة الفرنجة وقبل مقابلته لشارلمان . [4].

**4- سفارة الرشيد الثانية إلى شارلمان سنة (192هـ/807م) :**

ينقل بارتولد عن الحوليات الملكية أنه في سنة (192هـ/807م) وصل عبدالله سفير (ملك فارس) ، وهو الوصف الذي تستعمله معظم المصادر الفرنجية

---

(1) بكلر: شارلمان وهارون الرشيد، نقلاً عن سليمان ضفيدع ، المرجع السابق ، ص 104 .

(2) خدوري ، مجيد : العلاقات الدبلوماطيقية بين هارون الرشيد وشارلمان ، المطبعة الأهلية (بغداد ، 1939م) ، ص 25 .

(3) ديفيز ، كارلس : شارلمان، تر : الياز العريني (القاهرة ، 1955م) ص302 . كذلك مجيد خدوري : المرجع السابق ،ص 26.

(4) عبدالعزيز الدوري : العصر الجاسي الأول ، ص 118 – 119 .

للخليفة الرشيد ، ذلك أن كتّاب الحوليات الغربيين لم تكن رؤيتهم للشرق الإسلامي واضحة أو معلوماتهم عنه كافية ، وهي لا تميز بين العهود أو البلدان المختلفة ، وقد عرفوا دولة فارس من قديم باعتبارها القوة التي كانت تواجه الإغريق ثم الرومان ، ولذلك سمّوا الدولة الإسلامية التي خلفت دولة فارس على أراضيها باسم فارس ووَصَفوا الخليفة رأس تلك الدولة بأنه ملك فارس ، وقد يكون لذلك اللبس في تصوّر الكتّاب الغربيين للشرق ومعلوماتهم عنه أثره في تصور ما وصلنا من كتاباتهم عن الصلات بين العباسيين والفرنجية بوجه عام[1].

ولكن يبدو أن سفارة الرشيد كانت رداً على سفارة شارلمان الثانية التي ذهبت إلى الرشيد في عام (186هـ/802م) ، وقد وصلت سفارة الرشيد إلى شارلمان في وقت مقارب لرجوع سفارة شارلمان بعد مقابلة الرشيد ، وإن كانت كل سفارة أخذت طريقها إلى شارلمان ووصلت إلى بلاطه على حده ، فالمصادر الفرنجية لم تربط بين مجيئهما .

وتدل أخبار هذه السفارات المتبادلة بين الجانبين على أن الطريق بين الدولتين العباسية والفرنجية كانت تقطعه السفارات بينهما ذهاباً وإياباً في أربع سنوات تقريباً سواء عن طريق موانئ البحر المتوسط الشرقية أو عن طريق مصر وإفريقية[2].

ويلاحظ أن سفارات شارلمان إلى هارون الرشيد لا يرد ذكرها في المصادر الفرنجية المعاصرة لها إلاّ عند عودتها ، ولا تذكر المصادر تاريخ ذهاب السفارة إلى الخليفة وإنما يُستنتج ذلك من ذكر تلك المصادر لتاريخ عودة السفارة وعدد السنوات التي قضتها في الخارج ، وهذا ما جرت عليه تلك المصادر أيضاً في شأن سفارة الملك بيبين إلى الخليفة المنصور عام (148هـ/865م) .

---

[1] السيد عبدالعزيز سالم : العصر العباسي الأول 249/3 .

[2] ذهبت سفارة شارلمان الثانية إلى هارون الرشيد عام (186هـ/802م) وعادت في أواخر عام (191هـ/806م) ، ومن المحتمل أنها وصلت إلى بغداد عام (188هـ/804م) ثم عادت ، ولوفد الخليفة سفارته إلى شارلمان في وقت رجوع سفارة شارلمان من عنده أو بعدها بقليل ، فوصلت سفارة الرشيد إلى بلاط شارلمان عام (192هـ/807م) بعد أن مضى على خروجها من عند الخليفة قرابة عامين = سليمان ضفيدع : المرجع السابق ، ص 104 .

كما يلاحظ أن شارلمان كان هو المبادر إلى إرسال السفارات إلى الخليفة الرشيد على عكس وخلافاً لما جرى عليه شارلمان مع بطريك بيت المقدس ، وإنما جاءت سفارتا الرشيد إلى شارلمان رداً على ما سبق إليه من إيفاد مبعوثيه في كل مرة .

كذلك يلاحظ أن عدداً من سفراء شارلمان إلى الرشيد قد ماتوا في طريق عودتهم وقد يكون ذلك بسبب مخاطر الحرب بين الدولة العباسية وبيزنطة في البحر المتوسط (بحر الروم) ووجود الأسطول البيزنطي مما يهدد المسافرين في ذلك البحر ، حتى دفع ذلك الخطر التجار القادمين من بلاد الفرنجية وقتذاك إلى أن يسلكوا طريق سواحل الأندلس وإفريقية ومصر في طريقهم إلى المشرق[1].

وقد تكون وفاة أولئك المبعوثين بسبب انتشار الأوبئة ، ويذكر ثيوفانس أن الطاعون انتشر في القسطنطينية في القرن الثامن الميلادي عن طريق جزيرة صقلية ، كما قد يكون لطول الرحلة واختلاف المناخ بين أراضي دولة الفرنجية والعراق مقر الخلافة العباسية أثر في ذلك[2].

وربما كان موت أولئك السفراء الذين قابلوا الخليفة مباشرةً من العوامل التي أدت إلى ضآلة النتائج التي حققتها هذه السفارات إن لم تكن ثمة نتائج لها على الإطلاق .

**جـ- السفارات المتبادلة بين المأمون ولويس التقي :**

بالنسبة للعهود التالية لعهد الرشيد وشارلمان تنفرد المصادر الفرنجية أيضاً بذكر سفارة شخصية أوفدها الخليفة المأمون (198-218هـ/813-833م) إلى الإمبراطور لويس التقي (199-226هـ/814-840م) فتذكر المصادر أنه في سنة (216هـ/831م) وصل إلى مدينة سيم[3] سفراء (أمير المؤمنين) ومعهم

---

(1) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص 153 - 154 .

(2) سليمان ضفيدع ، العلاقات السلمية ، ص 108 .

(3) مدينة سيم : شرحها بارتولد بأنها مدينة ريدنهوفن التي تقع في المانيا حالياً ولا توجد مدينة بهذا الاسم في بعض أطالس العصور الوسطى الأوروبية = المرجع السابق ، ص 126 .

هدايا و(رجاء يطلب السلم) ، وقد لبيت رغبتهم ثم عادوا إلى وطنهم واثنان من هؤلاء السفراء مسلمون وثالثهم نصراني[1].

( ويرى فازلييف أن علاقات المأمون مع لويس التقي التي جاءت متابعةً لعلاقة سلفيهما الرشيد وشارلمان[2]، ويشير الخبر المقتضب عن هذه السفارة كسوالفها من السفارات عدداً من الأسئلة ، فهل بعث المأمون نفسه أولئك المبعوثين من العاصمة بغداد ، وما دافع مسالمته ملك الفرنجة من هناك؟ أو هل أوفدهم أمراء الأغالبة من ولاية إفريقية باسمه ؟ وإذا كانت السفارة من قبل الأغالبة فهل كانت بتكليف الخليفة أو بعلمه على الأقل ؟ )

وتصرح المصادر الفرنجية بأن هدف السفارة كان طلب مسالمة لويس التقي ، ولعل هذا يرجح أنها أوفدت من قبل الأغالبة في إفريقية الذين تعرض ساحلهم لهجوم بحري فرنجي سنة (213هـ/828م) ، أي قبل ثلاث سنوات من هذه السفارة [3].

وأنما تكلم المبعوثين باسم الخليفة الذي يدين له الأغالبة بالولاء حتى يكون للسفارة قيمتها لدى الإمبراطور الفرنجي وتتناسب مع مركزه [4].

ويذكر أن الأغالبة وقّعوا معاهدة مع جريجوري بطريق جزيرة صقلية البيزنطي في عام (198هـ/813م) باسم الخليفة مع أن التوقيع في الحقيقة كان من أمير ولاية إفريقية الأغلبي[5]، ويذكر مصنفو الأحكام السلطانية الإسلامية أنه يجوز لولاة الأطراف عقد الصلح مع أهل الحرب المجاورين لهم بشأن إقليم محدود فإن كانت مهادنة عامة بين الدولتين فإنه لا يجريها إلاّ الخليفة أو نائبه[6].

---

[1] سليمان ضفيدع: العلاقات السلمية ، ص 131 .

[2] فازلييف : هارون الرشيد وشارلمان ، نقلاً عن بارتولد : دراسات في تاريخ فلسطين ، ص 126 .

[3] لرشيبالد لويس:القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط،تر: أحمد عيسى،مكتبة النهضة المربية (القاهرة، 1960م) ، ص 212 .

[4] المرجع نفسه ، ص 212-213 .

[5] بارتولد : المرجع السابق ، ص 127 .

[6] الماوردي ، أبوالحسن علي بن محمد : الأحكام السلطانية ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط3 (القاهرة ، 1973م) ص 51 .

ولم تكن هناك مجابهة قط بين الخليفة المأمون وملك الفرنجة حتى يطلب منه المسالمة والمهادنة ، وكان قد أحرز انتصارات متعاقبة على جبهة آسيا الصغرى في عامي (216-217هـ/831-832م) ، عندما وصلت تلك السفارة إلى بلاط لويس التقي ، كما أنه من جانب آخر لم تخرج في ذلك الوقت مراسلات بين الإمبراطور البيزنطي تيوفيل ولويس التقي ضد المأمون ولم تظهر أية علامة للتعاون العسكري بينهما حتى يقوم المأمون بمراسلة لويس بغرض المسالمة ، وإنما كان الأغالبة هم الذين يحتاجون إلى طلب المسالمة والمهادنة من الملك لويس التقي بعد مهاجمة أسطوله لشواطئهم ، وقد كانوا في تلك الأثناء يقومون بفتح جزيرة صقلية الذي أثار مجابهة عنيفة بينهم وبين الأسطول البيزنطي[1].

## ثانياً : الهدايا المتبادلة بين العباسيين والفرنجة :

تذكر مصادر الفرنجة مثل الحوليات الملكية وأينهارد أن عدداً من الهدايا تبادلها الطرفان ، وتخلو المصادر الإسلامية من أخبار تلك السفارات كلية .

وتستحق تلك الهدايا إفرادها ببعض النظر والتأمل بعيداً عن سياق الكلام عن السفارات وأهدافها .

ويذكر إينهارد أن سفارة شارلمان إلى الرشيد عام (181هـ/797م) كانت لطلب فيل ، وقد حصلت تلك السفارة فعلاً على فيل الرشيد الوحيد ذاته هدية إلى شارلمان[2].

على أن الدولة العباسية كانت تجلب الفيلة من بلاد السند[3]، وكان أبوجعفر المنصور – الخليفة العباسي الثاني – يقتني عدداً من الفيلة [4].

ويذكر الجهشياري أنه في عهد الرشيد كانت تأتي ثلاثة فيلة من إقليم السند للخراج في كل عام [5].

---

(1) الطبري : تاريخ الأمم 625/8 – 629 .

(2) إينهارد: سيرة شارلمان ، نقلاً عن سليمان صفيدع : المرجع السابق ، ص 131 .

(3) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص 481 .

(4) أبو عمر الجاحظ: كتاب الحيوان، تح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط2 (القاهرة ، 1966م) 100/7.

(5) الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص 281 – 283 .

كذلك يروى أن يحيى بن يحيى الليثي – أحد علماء الأندلس قد شاهد فيلاً في الدولة العباسية في هذا الوقت[1] ، كما كان يوجد عند الخليفة المأمون فيل يعرف بالأشهب أهداه إليه أحد ملوك الهند[2] ، ويشير ذلك إلى أن التهادي بالفيلة كان معروفاً بين الملوك في ذلك الوقت .

وقد عاش فيل المأمون حتى عهد المعتصم ، ولما قبض المعتصم على بابك الخرمي[3] عام (223هـ/838م) أمر أن يدار به في سامراء على ظهر هذا الفيل[4] ، وهكذا من المتصور أن لدى الرشيد أكثر من فيل واحد ، ولعل ندرة وجود الفيلة في أوروبا حتى أرسل ملك الفرنجة سفارة خاصة لطلبها من خليفة المشرق الإسلامي هي التي أوحت إلى أينهارد أو من روى له الخبر أن الرشيد قد أهدى فيله الوحيد إلى شارلمان ، وإن كان قد فعل – مع استبعاد ذلك – فلم يكن على الخليفة أن يصبر طويلاً في ضوء ما سبق حتى يحصل على فيل بديل .

وقد عاد إسحاق – مترجم تلك السفارة – عن طريق ولاية إفريقية مصطحباً ذلك الفيل حسب رواية أينهارد[5].

وعلى الرغم مما تفيده تلك الرواية من مقابلة الرشيد للسفارة واستجابته لطلب شارلمان فإن من المعروف وقتذاك وجود عدد من التجار اليهود الذين كانوا يتاجرون في سلع الشرق ، ويذكر ابن خرداذبة أن التجار اليهود الراذانية كانوا

---

(1) الحُميدي ، محمد بن فتّوح : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (القاهرة ، 1966م) ص 282–283 ، كذلك ابن خلكان : وفيات الأعيان 144/6 .

ولم تذكر المصادر أين شاهد يحيى هذا الفيل ، وسياق الخبر يفيد أنه شاهده في المدينة حيث كان في حلقة الإمام مالك – نزيل دار الهجرة – فوصل فيل فانطلق الناس لرؤيته وبقي عنده يحيى ، ولما سأله مالك عن سبب عدم خروجه لمشاهدته أجابه بأنه جاء من الأندلس ليستفيد من علمه وليس لمشاهدة الفيل فلقبه بمالك الأندلس ، والإمام مالك مشهور عنه أنه لم يترك دار الهجرة إلاّ حاجاً ، ولم أعثر على إشارة أو خبر يفيدان أنه قد ذهب إلى بغداد حتى يحتمل أن يكون يحيى قد شاهده فيها . ثم إن أهل بغداد في هذا العصر قد لا يعنون بمشاهدة فيل إذ لم يكن بالأمر المستغرب لديهم ، وكان يصل إلى العاصمة ثلاثة فيلة كل عام ضمن خراج السند ، أما أهل المدينة فمن الممكن أن يثير الفيل دهشتهم ، ولكن يبقى السؤال عن المناسبة التي جيء فيها بهذا الفيل إلى المدينة ؟ في حين ينتفي هذا السؤال بالنسبة لوصوله إلى بغداد .

(2) المسعودي : مروج الذهب 469/3 .

(3) بابك الخُرّمي : من أصل فارسي خرج ثائراً على الدولة العباسية منذ أواخر عهد المأمون ، وفي عهد المعتصم اشتدت ثورته واعتصم بإقليم الجبال ، فبعث له المعتصم عدة جيوش للقضاء عليه ولم يتم ذلك حتى جرد له جيشاً كبيراً بقيادة الأفشين فقبض عليه وأحضره إلى سامراء فقتل فيها في عام 223هـ – اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي 208/3 .

(4) المسعودي : المصدر السابق 469/3 . كذلك ابن الأثير : الكامل في التاريخ 477/6 .

(5) اينهارد : سيرة شارلمان ، نقلاً عن سليمان ضفيدع: المرجع السابق ، ص 135 .

يصلون إلى بغداد بل إلى الصين والهند[1] ، وربما كان إسحاق وهو يهودي أحد هؤلاء التجار ، ويقول فازلييف " أن إسحاق الذي أحضر الفيل هو التاجر اليهودي نفسه الذي كان يجلب الأشياء الثمينة والنادرة من فلسطين إلى شارل" [2] ، وقد يكون ذلك التاجر زعم لشارلمان أن الفيل الذي جلبه هدية الخليفة إليه ، ويذكر بارتولد أنه " من المحتمل تماماً أن يكون إسحاق لم يخدم بلباقته شارل وحده بل والخليفة أيضاً ، ومن الممكن قد قام بوساطة تجارية لشراء فيلة الخليفة من الهند فطلب منه السماح بأخذ أحدها إلى ملكه شارل" [3].

وعندما حملت أول سفارة من الرشيد إلى شارلمان على أثر وصولها في عام (185هـ/801م) خبر وصول إسحاق ومعه الفيل أرسل الملك سفنه إلى إفريقية لنقل الفيل ، ووصل إسحاق ومعه الفيل إلى إيطاليا في أكتوبر من نفس العام ، وأمضى الشتاء فيها ثم وصل إلى شارلمان في يوليو (186هـ/802م) ، وعاش هذا الفيل عنده حتى عام (195هـ/810م) [4].

وقد حملت سفارة هارون الرشيد الثانية إلى شارلمان على أثر وصولها عام (192هـ/807م) مجموعة من الهدايا ، وتذكر الحوليات الملكية أنها كانت تضم سرداقاً كبيراً مع عدد خيام مصنوعة من القطن ذات ألوان متعددة وأشكال جميلة ، وأقمشة حريرية ، وعطوراً وبلسماً[5] ، وساعة مائية [6].

---

[1] ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص 153 – 154 .

[2] فازلييف : هارون الرشيد وشارلمان ، نقلاً عن بارتولد : المرجع السابق ، ص 135 .

[3] المرجع نفسه ، ص135 .

[4] المرجع نفسه ، ص 134 .

[5] البلسم: مادة صمغية تستخرج من بعض الأشجار لها رائحة زكية ولذا تستخدم في البخور = عبدالسلام ، حسن : ذخيرة العطار ، مطبعة المعارف (القاهرة ، 1942م) ص 123 .

[6] الساعة المائية : برع المسلمون في صناعة آلات الحيل أي الآلات الحركية منذ وقت مبكر ، ومن أبرزها الساعة المائية وهي عبارة عن مجموعة دوائر تمثل البروج والشمس والقمر تدور متناوبة بسرعة ثابتة ، عليها عصافير تطلق من منقارها كرات صغيرة تقع على صنوج فتسمع دقات الساعة كل ساعة . أما ما يدير حركة الساعة المائية فكانت في العادة عوامة تغطس بسرعة ثابتة في خزان ماء وقد ربط بأعلاها خيط يدور حول بكرة كبيرة هي المحرك الرئيسي للساعة ، وهي تقوم عن طريق بكرات أخرى بتحريك دائرة البروج ساحبةً معها خلف قرص الساعة ، مركبة صغيرة ذات دواليب ثبت عليها قضيب عمودي هو الذي يحرك الشظايا الصفائح ، وكان النجاح في تشغيل الساعات المائية يتوقف على جعل الماء ينطلق بمعدل ثابت = هايز ، جون : التكنولوجيا الميكانيكية ، بحث في كتاب عبقرية الحضارة العربية بإشراف جون هايز ، ترصلاح جلال وآخرون ، معهد ماساتشوستس (الولايات المتحدة ، 1978م) ، ص 190-191 .

ولم يذكر انيهارد منها سوى العطور والتوابل وأشار إلى أن هذه الأنـــواع كانت ضمن هدايا أخرى عظيمة من المنتجات الشرقية إلا أنه لم يذكرها[1].

ويورد بعض الباحثين اعتماداً على مصادر متأخرة – فيما يبدو – أصـــنافاً أخرى من هدايا الرشيد وشارلمان منها شطرنج وقرن من العاج ، وشمعدانات من البرونز محلاة بقطع من الزجاج المختلفة الألوان عليهـــا صـــورة كســـرى الأول بتاجه[2].

وقد عرف الشرق الإسلامي هذه المنتجات منذ القرن الثـــاني الهجـــري / الثامن الميلادي فصاعداً ، والمتتبع لكتب الحسبة وأحكام السوق وكتـــب البلـــدان الإسلامية يجد ذكر هذه السلع فيها في مواضع متعددة ، كما توردهـــا المصـــادر الإسلامية ضمن ما كان يتهادى به الملوك في ذلك الوقت كالهدايا المتبادلـــة بـــين بعض الخلفاء العباسيين والأباطرة البيزنطيين ، وقد أهدى الرشـــيد الإمبراطـــور البيزنطي نقفور بعد معركة هرقلة عـــام (190هـــ/805م) ســـرادقاً وعطـــوراً وأصنافاً أخرى كما مر من قبل[3].

وينبغي الحذر في نسبة أي صنف من الأصناف السابقة إلى هدايا الرشـــيد إلى شارلمان ما لم توردها الحوليات الملكية أو أينهارد حتى ولـــو تجاوزنـــا عـــن تفاوتهما في ذكرها ، وما عداهما من مصادر فرنجية قد يكون من نســـج كتـــاب القصص الخيالة في العصور الوسطى ومبالغتهم في أنواعها .

وقد أضاف راهب القديس جال في سيرة شارلمان في أواخر القرن التاسع الميلادي لما أورده أينهارد والحوليات الملكية عن هدايا الرشيد إلى شارلمان سائر السلع الشرقية المعروفة على سبيل المبالغة ولأجل تعظيم قدر شـــارلمان المُهـــدى

---

(1) سليمان ضنيدع: مرجع سابق، ص137، نقلاً عن اينهارد: سيرة شارلمان.

(2) بارتولد : دراسات في تاريخ فلسطين ص 73 . كذلك :

- أحمد أمين : هارون الرشيد ، دار الهلال (القاهرة ، 1951م) ، ص 202 .
- المدور ، جميل نخلة : حضارة الإسلام في دار السلام ، المطبعة الأميرية (القاهرة ، 1936م) ، ص 214 .
- منقريوس ، رزق الله : تاريخ دول الإسلام ، مطبعة الهلال (القاهرة ، 1907م) 104/1 .
- الجومرد ، عبدالجبار : هارون الرشيد ، المكتبة العربية (بيروت ، 1956م) 383/2 .

(3) الطبري : تاريخ الأمم 321/8 .

إليه ، بل كتب أحد الرهبان قصة خيالية في سنة (313هـ/925م) ذكر فيها أن ما يوجد من قطرات (الدم المقدس) في ديره جلبها إليه أحد المسلمين[1].

وتعرض بعض المتاحف والأديرة الأوروبية في أيامنا تحفاً تذكر أنها كانت ضمن هدايا هارون الرشيد إلى الإمبراطور شارلمان ومنها :

- قرن من العاج على شكل بوق وثمان شوكات من الإكليل الذي وضع على رأس المسيح عليه السلام عند صلبه - كما يزعم النصارى - وهذه كلها محفوظة الآن في مدينة آخن (اكس لاشايل) في ألمانيا الاتحادية[2].

- وتعرض مدينة فينا سيفاً وشمعدان عليهما صورة كسرى بتاجه مرسوماً على زجاج في شكل بلوري وشطرنج وهما محفوظان في دير القديس ديونيس ، وإبريق من الذهب يوجد في دير بالقرب من فاليس[3].

والإكليل المشار إليه سابقاً اكتشف في مدينة القدس في أواسط القرن السادس الميلادي أي قبل مولد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وشاهده الراهب بيرنارد عندما زارها في عام (251هـ/865م) أي بعد وفاة الخليفة الرشيد والإمبراطور شارلمان ، ويبدو أنه وصل إلى أوروبا بعد أن انتقل إلى القسطنطينية في القرن الحادي عشر الميلادي[4]، ومثل هذه الهدية لو صح خبرها لكان من الأولى أن تكون ضمن هدايا بطريرك بيت المقدس على شارلمان لا ضمن هدايا الخليفة المسلم .

ومن تلك الهدايا أيضاً آلة أرغن ، وقد كتب (ستفاني دي جينليز Stephanie de Genlis) في روايتها (فرسان العراق) في القرن الثامن عشر الميلادي أن آلة أرغن كانت ضمن هدايا الرشيد إلى شارلمان[5].

وقد درس الأستاذ (روبيز بارترمان Robbins Bittermann) ما تناقله البعض عن هذه الهدية ، وانتهى إلى أنها من نسج الخيال وأكد أن جميع المصادر

---

(1) بارتولد: دراسات في تاريخ فلسطين ، ص140 . كذلك السيد الباز العريني : بعض معالم عهد شارلمان ، 150/8 .

(2) وهناك حكاية خيالية أيضاً حول هذه الشوكات وضعت في القرن الحادي عشر الميلادي مفادها أن شارلمان زار بيت المقدس والقسطنطينية وأحضر معه شوكات الإكليل المشار إليه أعلاه = بارتولد : المرجع السابق ، ص 77 .

(3) المرجع نفسه ، ص 77 - 78 .

(4) المرجع نفسه ، ص 78 .

(5) سليمان ضفيدع : العلاقات السلمية ، ص 139 .

الفرنجية مثل الحوليات الملكية وكتاب أينهارد لم ترد فيها أدنى إشارة إلى الأرغن، وأن جينليز قد اختلط عليها لفظ الساعة المائية في المصادر الفرنجية بلفظ الأرغن المائي[1].

ويبدوا أن الأرغن لم يعرف في الشرق الإسلامي إلا بعد ذلك الزمن ، لكنه كان معروفاً في أوروبا والدولة البيزنطية في وقت مبكر من القرون الوسطى ، ويذكر ابن النديم (ت380هـ/990م) أن من الكتب التي ترجمت عن اليونان كتب الآلات الصوتية المسماة بالأرغن الزمري ، ولم يحدد تاريخاً لترجمتها[2].

ومن المؤكد أن البلاط الفرنجي كانت توجد فيه آلة أرغن قبل أن تصل إليه أية هدية من الخليفة ، وكان الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس قد أهدى آلة أرغن إلى الملك الفرنجي بيبين القصير ، كما أمر شارلمان نفسه من بعد بصنع أرغن لابنه لويس التقي[3].

على أنه من الممكن أن يكون التجار – ولاسيما اليهود منهم الذين عرفوا بنشاطهم في ذلك الوقت – قد جلبوا إلى بلاد أوروبا كثيراً من سلع الشرق الثمينة منذ وقت مبكر ، ومنها ما قد يظهر ضمن معروضات بعض المتاحف والأديرة الأوروبية حالياً ، فكلها معروفة في منتجات الشرق الإسلامي ، لكن هذا لا يعني أنها كانت ضمن هدايا الرشيد على شارلمان .

وقد كان إسحاق – مترجم سفارة شارلمان الأولى إلى الرشيد – أحد أولئك التجار اليهود قد جلب إلى شارلمان قبل إيفاده في السفارة إلى الرشيد بعض السلع النادرة الثمينة من فلسطين[4].

ومهما يكن فإن هذه الهدايا تدل بوضوح على قيمتها الفنية الرفيعة التي تناسب مقام الملوك ومتطلبات بلاطاتهم ، كما تدل على ما بلغه المشرق الإسلامي في العهد العباسي من شأن بعيد في التقدم الحضاري ، وما كان يقدمه إلى الأسواق العالمية من صناعات ومنتجات راقية تهاداها الخلفاء والأباطرة ، أو حرصوا على اقتنائها بطريقة من الطرق لنفاستها وإعجابهم بها ، ولا تذكر المصادر الفرنجية

---

(1) روبيز ، بارترمان: هدية شارلمان الة أرغن إلى هارون الرشيد ، نقلاً عن سليمان ضفيدع : العلاقات السلمية ، ص 140 .

(2) ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق : الفهرست ، تح : رضا حداد (بيروت ، 1978م) ، ص 329 .

(3) سليمان ضفيدع: المرجع السابق ، ص 140 .

(4) فازلييف : شارلمان وهارون الرشيد ، نقلاً عن بارتولد : المرجع السابق ، ص 135 .

شيئاً عن هدايا شارلمان إلى الرشيد مقابل ما تلقى من هدايا الخليفة مما يبعث على الحيرة أيضاً .

وربما كانت السيوف الفرنجية المشهورة في جملة هدايا شارلمان لهارون الرشيد ، فقد اشتهرت بلاد الفرنجة بسيوفها ، وأشار إلى ذلك ابن خرداذبة عند ذكر السلع المجلوبة من بلاد الفرنجة[1]، وقد ذكرت المصادر الإسلامية أن برتابنت فيليب الأوتاري[2] أهدت إلى الخليفة العباسي المكتفي بالله (289-295هـ/902-908م) في عام (293هـ/905م) خمسين سيفاً مع مجموعة من التروس والرماح[3].

والإشارة السابقة هي أول ما اشتملت عليه المصادر الإسلامية من ذكر علاقات الدولة العباسية مع دول الفرنجة فيما هو معروف منها حتى الآن .

## ثالثاً : أهداف العلاقات بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة :

سكتت المصادر الفرنجية عن ذكر أهداف تلك العلاقات أو بالأصح تلك السفارات ، فاختلف الباحثون في محاولاتهم الاجتهادية في هذا الصدد .

فمنهم من رأى أن أهداف تلك السفارات كانت دينية ، ومنهم من رآها سياسية ، ومنهم من جمع هذه إلى تلك ، وهناك فريق آخر ارتأى إلى أنه مجرد مجاملات شكلية بين البلاطين العباسي والفرنجي لا أكثر[4].

وإلى جانب هؤلاء جميعاً ، اتجه بعض الباحثين إلى نفي وقوع تلك السفارات أصلاً وعدم قيام أية علاقات سياسية بين الدولتين ، وقصر صلاتهما

---

(1) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص 153 .

(2) برتابنت الأوتاري : أو برتاقليب لوتاري أو فيودورا ، ولدت سنة (246هـ/860م) ، وتوفيت سنة (313هـ/925م) عاشت في روما وذكر بعضهم أنها كانت ملكة فيها وتنتسب إلى البيت الكارولنجي = بارتولد : المرجع السابق ص129.

(3) ابن الزبير ، القاضي الرشيد : كتاب الذخائر والتحف ، تح : محمد حميدالله (الكويت ، 1959م) ص 48 – 49 .كذلك الغزولي، علي بن عبدالله : مطالع البدور ومنازل السرور ، مطبعة دار الوطن (القاهرة ، 1299هـ) 135/2 . كذلك ابن النديم : الفهرست ص 22 .

(4) يقول جب "إن كل من تصدي لتقديم صورة جامعة عن إحدى المسائل التاريخية في القرون الوسطى أن يقوم بجمع كل النتف المتناثرة من المعلومات ثم يسد الثغرات المتبقية بالاستنتاج المنطقي" = جب ، هاملتون : دراسات في حضارة الإسلام ، تر: إحسان عباس وآخرون ، دار العلم للملايين ، ط2 (بيروت ، 1974م) ، ص 62 .

على الناحية التجارية ، وبذلك تكون العلاقات القائمة بين الأفراد العاديين من رعايا الدولتين لا بين الخلفاء والملوك[1].

ولم تشر المصادر الإسلامية إلى أي نوع من الصلات بين ملوك الفرنجة وخلفاء العباسيين الأوائل ، كما سكتت عن ذلك المصادر النصرانية المعاصرة في الشرق سواء في ديار الإسلام أو في الدولة البيزنطية ، وإنما ورد ذكر تلك السفارات في المصادر الفرنجية وبصورة مقتضبة أحياناً وفيها خلط أحياناً أخرى مع أهمية الموضوع ولاسيما في العصر الحديث ، ومن هنا اختلفت وجهات نظر الباحثين .

ويذكر (أينهارد Einhard) أن هدف سفارة شارلمان الأولى إلى الرشيد عام (181هـ/797م) هو الحصول على فيل[2]، ولم تشر (الحوليات الملكية Annalea Regni Francorum) أيضاً إلى غير ذلك ، ولم تشر هذه المصادر إلى بحث أي موضوع آخر أو طلب الحصول على شيء عدا الفيل[3].

ويرى كثير من الباحثين أن دوافع تلك السفارات بين شارلمان والرشيد هي محاولة عقد حلف بينهما يرمي إلى وقوف شارلمان ضد الدولة الأموية في الأندلس ووقوف الرشيد ضد الدولة البيزنطية ، بحكم عداء كل من الفرنجة والعباسيين للأمويين في الأندلس وللبيزنطيين معاً ، فاتجه العباسيون إلى الاعتماد على الفرنجة لمحاربة الأمويين في الأندلس مقابل أن يقوم العباسيون بشن الحملات ضد الدولة البيزنطية[4]، وهذا سيتم توضيحه في الفصل الرابع المخصص في العلاقات بين العباسيين والدولة الأموية في الأندلس .

---

(1) يقول الدكتور فاروق عمر – تعقيباً على مقالة جب – : "ولكن المشكلة التي تواجهنا عند البحث في طبيعة العلاقات الدولية بين الشرق والغرب أعقد من ذلك بكثير ، فالنصوص التي لدينا في هذا المجال غامضة ومقتضبة وقد حملها المؤرخون أكثر من طاقتها ولم يعد بعض ما استنتجوه يدخل في باب الاستنتاج الذي أشار إليه جب" . بحوث في التاريخ العباسي ، دار القلم (بغداد،1977م) ، ص 182 .

(2) أينهارد: سيرة شارلمان ، نقلاً عن سليمان ضفيدع: المرجع السابق ، ص140 .

(3) السيد عبدالعزيز سالم : العصر العباسي الأول ، ص 248 – 249 .

(4) جميل نخلة المدور : حضارة الإسلام ، ص 211 – 213 . كذلك السيد الباز العريني : بعض معالم شارلمان 141/8 . كذلك مجيد خدوري : العلاقات الدبلوماطيقية بين هارون الرشيد وشارلمان ، ص 15 .

قام بكلر بدراسة حول العلاقات بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة ، وأدت هذه الدراسة إلى ظهور نتائج ، منها رأيه بأن تحالف الخليفة العباسي هارون الرشيد والملك الكارولنجي شارلمان قد ترتب عليه أن يصبح شارلمان تابعاً للخليفة وأمير فتح له في الأندلس ، ويقول "أن شارلمان أصبح أميراً للفتح على إسبانيا (الأندلس) ووالياً على القدس ضمن سيادة الخليفة العباسي "[1].

ويعزز بكلر مزاعمه بأن شروط إمارة الفتح عند الماوردي تنطبق على شارلمان فهو يذكر أن مهام أمير الفتح هي الغزو خارج دار الإسلام وأنه يجوز إسناد مثل هذه الإمارة إلى غير المسلمين[2].

وقد وهم بكلر في ذلك فالإسلام على رأس شروط إمارة الفتح عند الماوردي سواء أكانت تلك الإمارة عامة أو خاصة ، يقول الماوردي "والإمارة على الجهاد مختصة بقتال المشركين وهي على ضربين : أحدهما أن تكون مقصورة على سياسة الجيش وتدبير الحرب فيعتبر فيها شروط الإمارة الخاصة"[3]، ويقول بشأن الإمارة الخاصة "ويعتبر في ولاية هذه الإمارة الشروط المعتبرة في وزارة التنفيذ وزيادة شرطين عليها هما الإسلام والحرية"[4].

أما الضرب الثاني من الإمارة على الجهاد فيقول عنه الماوردي " أن يفوض إلى الأمير فيها جميع أقسامها من قسم الغنائم وعقد الصلح ، فيعتبر فيها شروط الإمارة العامة"،وتعتبر في الإمارة العامة شروط الإمامة وأهمها الإسلام[5].

وقد انبرى الدكتور مجيد خدوري لمعارضة نظرية بكلر هذه ، وقرر أنها ضعيفة من الناحيتين التاريخية والفقهية ، فهو يقول "أما من الناحية التاريخية فالمصادر والمستندات الأولى لا تسوغ للباحث أن يقرر حوادث لا تذكر ولا تشير ليها المصادر المعاصرة إلى حادثة أو حقيقة تاريخية ، فكيف يصح للباحث أن

---

(1) بكلر : شارلمان وهارون الرشيد ، نقلاً عن سليمان ضفيدع: العلاقات السلمية ، ص 108 .

(2) مجيد خدوري : المرجع السابق ص 53 . كذلك سليمان ضفيدع : المرجع السابق ، ص 109 .

(3) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص35 .

(4) المصدر نفسه ، ص 35 . كذلك ابن الفراء، أبو يعلي محمد بن الحسين : الأحكام السلطانية، ط3 (إندونيسيا ، 1974م) ص37.

(5) الماوردي : المصدر السابق ، ص 35 .

وقد ذكر الماوردي أنه يجوز إسناد وزارة التنفيذ لذمي – ولم يقل لمعاهد أيضاً – فاعل هذا هو ما أوقع بكلر في اللبس إذ لم يفطن إلى استدراك الماوردي في الإمارة الخاصة بزيادة شرطين فيهما عن وزارة التنفيذ هما الإسلام والحرية – الأحكام السلطانية ، ص 35 – 36 .

يفرضها فرضاً دون أن تشير إليها المصادر ولو بالواسطة ، وهذه قاعدة عامة في أصول البحث يسير عليها كل باحث مدقق ، ونظرية الأستاذ بكلر من المفترضات التي لا تؤيدها المصادر والمستندات المعاصرة على الإطلاق ، أما من الوجهة القانونية فنظرية بكلر لا تقل ضعفاً عن وجهتها التاريخية لأنها لا تتفق والقواعد العامة في الشرع الإسلامي ، فبكلر يقرر أولاً أن الخليفة اعترف بالإمبراطور أمير فتح على أسبانيا (الأندلس) وثانياً أنه عيّن الإمبراطور والياً على القدس ولا يخفى أن أمير الفتح هو عامل خليفة المسلمين للقيام بالفتح ونشر الدين خارج دار الإسلام "[1].

إن ما يمكن أن يكون قد حدث من اتصالات بين شارلمان والرشيد إذاً لا يعدو أن يكون مجرد تقارب محدود بين دولتي العباسيين والفرنجة مقصور على المجاملة وتبادل الهدايا من قبيل ما جرى بين الخلفاء العباسيين الأوائل والأباطرة البيزنطيين أو ملوك الهند[2]، وما أبعَد ذلك عن مفاهيم التحالف السياسي والعسكري أو مفاهيم عصرنا في التقارب والتواصل بين الإسلام والمسيحية .

ومن هنا مال بعض الباحثين مثل الباز العريني إلى قِصر أهداف سفارات شارلمان والرشيد على المجاملة والرغبة في قيام علاقة ودية ولم يجعل لها أي نتائج سياسية[3]، خلافاً لما ذهب إليه فازلييف وبكلر فيما سبق .

وثمة فريق آخر من الباحثين اتجه إلى نفي أي طابع سياسي عما حدث من اتصالات بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة وراءها مجرد صلات تجارية فحسب،

---

[1] سعيد خضوري : المرجع السابق ، ص 55 – 56 .

[2] البيروني : الجماهر في معرفة الجواهر ، ص 62 .

[3] السيد الباز العريني : بعض معالم عهد شارلمان ، ص 148 – 149 .

[4] بارتولد : المرجع السابق ص 103 ، عبدالعزيز الدوري : المرجع السابق ص 103 . كذلك مؤنس، حسين: المسلمون في حوض البحر المتوسط ، المجلة التاريخية المصرية، العدد الأول (القاهرة،1951م) 164/4. كذلك فاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسي ، ص 194 – 195 .

ومن هؤلاء بارتولد وعبدالعزيز الدوري وحسين مؤنس وفاروق عمر وآخرون[4] .

فمن المعروف أن عدداً من تجار الفرنجة وعلى رأسهم التجار اليهود الراذانية كانوا يصلون إلى الدولة العباسية في تلك الفترة ، وربما انتحل بعضهم صفة السفراء وكانوا في الواقع سفراء (شعبيين) ولعل البلاط الفرنجي قد كلفهم بمهام خاصة تجارية وغير تجارية ، ومن ثم كان يعتبر رحلاتهم التجارية بمثابة سفارات ، وإذا كان الباحث لا يستطيع أن ينفي وجود تبادل السفارات ذات الأهداف المحدودة في ضوء ما روته المصادر الفرنجية من أخبار تلك السفارات ، فإن من الواجب ألا تُحمل نصوص تلك المصادر ما لم تتضمنه أو تشير إليه والأولى أن تلك السفارات كانت للمجاملة وإقامة العلاقات الودية ، والتعريف بالدولة وعاهلها، وهو ما يبدو أن الإمبراطور أحوج إليه من الخليفة ، لاسيما أن تلك السفارات بدأت قبيل تتويج شارلمان إمبراطوراً واستمرت بعده مباشرةً ، وكانت سمعة الدولة العباسية في عهد الرشيد قد طوقت الآفاق ، كذلك فإن قدوم أفراد من رعايا دولة الفرنجة للتجارة في المشرق الإسلامي ، أو لزيارة بيت المقدس هو حقيقة لا مراء فيها .

وحصر تلك الاتصالات في هذه الدوائر المحدودة المقبولة قد يفسر إغفال المصادر الإسلامية لها تماماً ، لعدم انتشار أخبارها أو لقلة أهميتها .

# الفصل الرابع

## العلاقات بين الدولة العباسية والدولة الأموية في الأندلس

**أولاً : علاقة الخلفاء العباسيين مع الأندلس .**

أ- أبوجعفر المنصور .(136-158هـ/757-774م)

ب- محمد المهدي . (158-164هـ/774-785م)

ج- هارون الرشيد . (170-193هـ/786-808م)

د- المعتصم بالله . (218-227هـ/833-841م)

**ثانياً: علاقة الدولة الأموية في الأندلس مع الفرنجة والبيزنطيين وأثرها على الدولة العباسية .**

أ- مع الفرنجة .

ب- مع البيزنطيين .

**ثالثاً : عوامل فشل العباسيين في استعادة الأندلس إلى سلطة الخلافة .**

## أولاً : علاقة الخلفاء العباسيين مع الأندلس :

### أ- أبوجعفر المنصور : (136-158هـ/757-774م)

كانت سيطرة الخلافة الأموية على الأندلس خلال فترة عصر الولاة والتي امتدت سيطرتها خلال السنوات من (95-138هـ/714-755م) سيطرة اسمية فقط ، إذ لم يصل إلى بيت مال الدولة الأموية شيء مما يجبى من موارد هذه البلاد ، يضاف إلى ذلك أن كثيراً من الولاة قُتلوا أو عُزلوا بدون أمر من الخلافة، كما أن بعض الولاة تسلموا زمام الحكم في الأندلس بدون أمر منها ، وعندما سقطت الخلافة الأموية في المشرق وانتقلت إلى بني العباس في سنة (132هـ/749م) خرجت الأندلس وكذلك المغرب الأدنى من قبضة الخلافة رسمياً[1].

وتأثرت الأندلس تأثيراً كبيراً في انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين، حيث عانت من فوضى وصراعات عنصرية وإقليمية نتيجة غياب السلطة المركزية[2]، ومن بين أكوام الفوضى والنزاع - القديم أصله - بين المضرية واليمنية الذي ساهم وبشكل مباشر في الانقسامات الداخلية ليس فقط بين الرعية بل وصل إلى الخلفاء والأمراء أنفسهم ، فبعد وفاة والي الأندلس ثوابة بن سلمة سنة (130هـ/747م) ظلت أربعة أشهر بدون والٍ يحكمها، فاختلفت أطراف هذه القبائل فيمن يتولى منصب الإمارة فيها ، وعندما تفاقم الأمر اتفق رأيهم على يوسف بن عبدالرحمن الفهري ، وكان مضرياً فوليها سنة (129هـ/746م) فاستقر بينهم الأمر على أن يلي سنة ثم يرد إلى اليمن فيولون من أحبوا من قومهم ، فلما انقضت السنة أراد أهل اليمن أن يولوا رجلاً منهم،فهمّ الصُميل بين حاتم المضري فقتل منهم خلقاً كثيراً واجتمع الناس على يوسف ولم يعترض أحد، ودعم يوسف الفهري سلطته بالموافقة من والي أفريقية عبدالرحمن الفهري ، وهو الآخر

---

[1] الشطشاط ، علي حسين : تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة ، دار قباء للطباعة والنشر (القاهرة- 2001م) ، ص87.

[2] عبدالمنعم الهاشمي : الخلافة العباسية ، ص 121.

تغلب على الولاية بالقوة ومن دون الرجوع إلى الخلافة في دمشق وإن اعترف بسلطتها اسمياً ثم اعترف بالسفاح وهكذا لم تجد الخلافة الجديدة حجةً لمحاربته[1].

ولم تكن الأندلس وحدها تشكوا من سوء الأحوال وكثرة الثورات والانتفاضات فالدولة العباسية خلال فترة قيامها الأولى واجهت هي الأخرى عدداً من الثورات والمعارضات فكان من النادر أن تمر سنة دون حدوث ثورة أو انتفاضة ، حتى كانت الدولة أثناء خلافة المنصور على حد قول أحد المؤلفين " أيام فت وفتوق وأحداث حتى أنه لم يشرب ريقاً حلواً من ذلك " [2].

إن سلطة العباسيين لم تكن تتوطد في أفريقية ، بحيث إذا نظرنا إلى واقع السلطة العباسية السياسية خلال حدود الخلافة لوجدناها أنها لم تكن تتعدى حدود مصر الغربية ، والأرجح أن رجلاً كالعباس في تفكيره ودهائه وبصره بالأمور كان يدرك تمام الإدراك أن طاعة زعماء أفريقية لم تكن أكثر من طاعة اسمية مؤقتة هدفاً منهم في استغلال اسم الخليفة في تقوية مراكزهم ، وليس بالأمر المذكور في أن الدعوة العباسية نشطت في الشرق الإسلامي دون مغربه بصورة جعلت هذا الشرق لا يرى في الانقلاب السياسي إلا امتداداً طبيعياً وتفسيراً لما كان جارياً آنذاك ، ورد فعل للأحداث ، على حين أنه كان مفاجأة لأهل المغرب وكان هذا الإهمال من جانب العباسيين في بث دعواهم في المغرب ، ولا نجد أي إشارة من أحد المؤرخين القدامى على ما يستدل منه على أن العباسيين بعثوا دعاتهم إلى المغرب[3].

استغل عبدالرحمن بن معاوية (الداخل) هذه الفوضى ، وهو مطمئن إلى أن الخلافة مشغولة عنه بما هو أهم من الأندلس ، لأن الخلفاء العباسيين لم يكن بمقدورهم وهم في أول عهدهم إرسال الجيوش إلى الأقاليم المتمردة لإخضاعها ، ثم أن أمير الأندلس يوسف الفهري لم يكن والياً أموياً بالمعنى الصحيح ، لأنه

---

[1] عاقل ، نبيه: ملاحظات حول نمط الحكم في ولايات التخوم في الدور العباسي الأول ، مجلة الدراسات التاريخية ، العددان الخامس عشر والسادس عشر (دمشق – 1984م) ، ص 104 – 105 . كذلك حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام 190/2.

[2] عدنان على الغرامي : حركات المعارضة للخلافة العباسية ، ص 19 .

[3] الراشد ، عبدالجليل عبدالرضا : العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والأندلس خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة ، منشورات مكتبة النهضة (الرياض – 1969م) ، ص 117 . كذلك القاسمي ، خالد محمد ، العلاقات بين الشرق والغرب في عصر الدولة العباسية ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد 66 (بيروت ، 1984م) ، ص 41 – 42 .

تغلب على الأندلس على إثر الأزمة التي مرت بها بعد موت واليهـا ثوابـة بـن سلمة[1].

دعا عبدالرحمن بن هشام للمنصور أثناء الخطبة علـى طريقـة يوسـف الفهري في أول أيامه ، ثم قطع الخطبة لما توطد سلطانه وخضعت لـه الأنـدلس واعترفت بإمارته، ولما فرغ أبوجعفر المنصور من دور البناء والتأسيس وجد أن كل الأقاليم قد خضعت وقدمت له الطاعة إلا الأندلس فأولاها اهتمامـه ، وكـان المنصور يرى أن الداخل خارجاً عن الطاعة ويجب محاربته وانتزاع هذا القطـر من سيطرته وإعادته لسلطة الخلافة [2].

رأى عبدالرحمن الداخل مقدار الخطر الجسيم الذي يهدده بوجود من يعمـل لحساب العباسيين ضد الأمويين في الأندلس ، إذ الثابت في اعتقاد الناس أنه يجب أن تكون السلطة والحكم في المسلمين لمن يحمـي الحـرمين ولا تجـوز لثـائر مغتصب للسلطة ، وقد أتاحت الظروف للمنصور بعد القضاء على ثورة العلـويين في سنة (146هـ/763م) في أن يجد شخصاً ينهض للمقاومة ضد عبدالرحمن بن هشام في الأندلس وهو العلاء بن مغيث اليحصبي ، وكانت ثورة العلاء من أخطر الثورات ضد عبدالرحمن، ويقول ابن الأثير عند كلامه على حوادث سنة 146هـ "إن العلاء بن مغيث صار من إفريقية إلى إحدى مدن الأندلس ، ولبس السـواد ، واجتمع إليه خلق كثير[3]، ومنهم إضافةً إلى اليمنية، المضريون ، ويبدو أن العلاء قد اتصل بالقائد العباسي محمد بن الأشعث في أفريقية وقيل أنه هو الذي اقتـرح على المنصور أن يقوم العلاء بالثورة ، فبعث إليه بالأموال ووعده أن يكون والياً على الأندلس عند نجاح حركته ، ومن طبيعي أن يقوم العـلاء بالاتصـال بـابن الأشعث لكي يكون له سنداً في أفريقية وليعينه عند الحاجة ببعض القوات إذا مـا استطاع العلاء أن يجعل هناك نوعاً من الاتصال بين أفريقية والأندلس إذا ما قدر لحركته النجاح[4].

---

[1] عبدالجليل الراشد : المرجع السابق ، ص117 .

[2] عبدالجليل الراشد : المرجع السابق ، ص 118 .

[3] ابن الأثير : الكامل 232/5 . كذلك علي الشطشاط : تاريخ الإسلام ، ص 94 .

[4] حسن حسن : المرجع السابق ، ص 190 . كذلك عبدالجليل الراشد : المرجع السابق ، ص 118 .

بعث المنصور للعلاء بسجل ولواء يقول فيه: إن كان فيك محمل لمناهضة عبدالرحمن وإلاّ فابعث بمن يعينك ، ورفع العلاء الرايات السود معلناً الثورة ، وعندما وصلت أنباء هذه الثورة إلى الداخل خرج من قرطبة إلى حصن قرمونة عن قصد لما تتمتع به من موقع دفاعي وحاصر العلاء بن مغيث عبدالرحمن الداخل مما يقرب من شهرين ، حيث طال الحصار وازداد الخطر على الداخل وخيل للناس حينذاك أن حكم عبدالرحمن للأندلس على وشك الزوال ، وقد صمدت قرمونة للحصار وبدأ الملل يتسرب إلى نفوس أصحاب العلاء فانخذل عنه أكثر أنصاره وأدرك الداخل أن هذه هي فرصته للخروج ، وكان لابد له أن يغامر بكل شيء ، فجمع سبعمائة من جنده وأمر بنار فأوقدت في باب اشبيلية من أبواب مدينة قرمونة ، وخرج عبدالرحمن لمحاربة العلاء وجنده الذين أربكتهم هذه الحركة المفاجئة[1]، واستطاع عبدالرحمن الانتصار عليه وقتله مع تسعمائة من أتباعه ، وأمر عبدالرحمن بجز رأس العلاء ورؤوس أشراف أصحابه وأراد أن يعطي المنصور درساً ويجعله يفكر كثيراً قبل الإقدام على خطوة مماثلة ، فأمر بتنظيف هذه الرؤوس ووضعت في كل رأس رقعة تحمل اسم صاحبها ، وحملت إلى القيروان فطرحت في الأسواق ، ووصل الخبر إلى أبي جعفر المنصور وكانت مفاجأة غير متوقعة له فانكسرت حدته ، وحمل البعض الآخر من الرؤوس إلى مكة مع بعض التجار الثقة وفيها رأس العلاء ومعه السجل واللواء الذي أرسله إليه المنصور فوضعوه أمام سرادق المنصور وهو في الحج سنة (147هـ/764م) فلما نظر إليه المنصور قال : " إنا لله عَرَّضنا بهذا المسكين للقتل، الحمد لله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان " [2].

أدرك المنصور فشل هذه الخطوة التي حاول فيها استرجاع هذا الإقليم ، حيث لم يفكر القيام بمحاولة أخرى بعد عودته للعراق من مكة ، فقد حدثت حوادث شغلته عن هذه المهمة ، وكان انسلاخ هذا الإقليم من سيطرة العباسيين من الأمور الموهنة والمضعفة لهيبة العباسيين ، مما شجع غير الأمويين على الخروج عن

---

[1] ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب 51/2 .

[2] ابن الأثير : الكامل 575/5 . كذلك علي الشطشاط : المرجع السابق ، ص 95 .

طاعة الدولة الجديدة ، ونالت شخصية عبدالرحمن الداخل رغم العداء إعجاب المنصور فعمل على استمالة عبدالرحمن بإرسال الهدايا إليه ، كما كان يشيد بجليل صفاته وعظيم مقدرته ، فيقول " ... اقتحَمَ جزيرة شاسعة المحل ، نائية المطمع ، عصبية الجند ، ضرب بين جندها بخصوصيته ، وقمع بعضهم بقوة حيلته ، واستمال قلوب رعيتها ... إن ذلك لهو الفتى كل الفتى الذي لا يكذب مادحه "[1].

## ب – محمد المهدي العباسي : (158–169هـ/774–785م)

لم يكن المهدي العباسي أقل عداءً لبني أمية بالأندلس من أبي جعفر المنصور ، بل حذا حذو أبيه في السعي المستمر لإزالة ملك بني أمية من الأندلس، وبسط سلطان العباسيين عليها ، لكن المهدي لم يفكر في إرسال الجيوش العباسية إلى بلاد الأندلس ، نظراً لبعد الشقة بينها وبين مركز الخلافة العباسية في بغداد ، ولقوة عبدالرحمن الداخل التي كانت في تعاظم دائم، وقد حاول المهدي إضعاف عبدالرحمن الداخل في الأندلس ، غير أن هذه المحاولات لم تأخذ الشكل العسكري الذي يعتمد على إعداد وتجهيز الجيوش ، وإنما اعتمدت على المحاولات الشخصية والثورات الداخلية[2]، وكانت الحركة التي اشترك فيها عبدالرحمن بن حبيب الفهري وسليمان بن يقضان الأعرابي والحسين الأنصاري بالتعاون مع شارلمان من أخطر الحركات والمؤامرات التي تعرض لها عبدالرحمن الداخل ، وبالتعاون مع المهدي العباسي الذي دبرت هذه المؤامرة بعلمه وموافقته ، كذلك انضم إلى هذه الثورة الرّماحس بن عبدالعزيز بعد فشل ثورته ضد عبدالرحمن بن هشام [3].

بدأت هذه الثورة بعبد الرحمن بن حبيب الفهري الذي نزل بجيش كبير من البربر قادماً من أفريقية بعد عبوره إلى تدمير ، وكان واجب سليمان الأعرابي

---

[1] المقري ، شهاب الدين أبوالعباس : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب تـح : مريم قاسم الطويل ، يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1995م) 157/1 . كذلك عبدالمنعم الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب ، دار البحار (بيروت – 2006م) ، ص 86 .

[2] خالد محمد القاسمي : المرجع السابق ، ص 42 . كذلك نياب ، محمد صابر: قضايا ومواقف الدولة الإسلامية في العصر العباسي ، دار الفكر (القاهرة ، 2001م) ، ص 242 .

[3] ابن عذارى : المصدر السابق ، 52/2 . كذلك علي الشطشاط : تاريخ الإسلام في الأندلس ، ص 95 .

الذهاب إلى سرقسطة للاتفاق مع الحسين بن يحيى الأنصاري لإعلان الثورة ، وكان على الرماحس أن يقوم بالثورة في جنوب الأندلس في نفس الوقت ، فتفاقم الأمر على عبدالرحمن الداخل الذي كان عليه أن يبدأ بأخطرهم وهو عبدالرحمن بن حبيب الفهري الذي هرب ، فقام الداخل بإحراق سفنه حتى يمنعه من العودة ، واتصل الفهري بسليمان الأعرابي سائلاً إياه المعونة فلم يجبه الأعرابي، فغزاه الفهري فحاقت الهزيمة بالفهري الذي التجأ إلى تدمير عند أحد البرابرة يقال له مشكار ، وكسب البربري ثقة الفهري فاطمأن إليه ، فاغتاله مشكار سنة (162هـ/778م) ، وقد وقع خلاف بين الثوار ، الأمر الذي سهل على عبدالرحمن الداخل القضاء عليهم ، لأن هذا الخلاف يؤدي إلى إضعاف أعدائه وتفرقهم[1].

أما ما يخص ثورة الرماحس بن عبدالعزيز الكناني ، والذي كان والياً من قبل على الجزيرة الخضراء ، فأرسل عبدالرحمن إليه وزيره عبدالله بن خالد على رأس جيش وقد حاصر الجزيرة الخضراء ، وفي أثناء ذلك استطاع الرماحس الهروب إلى الشرق فقدم على الخليفة المهدي العباسي[2].

أما بالنسبة لسليمان بن يقضان الأعرابي ، والحسين بن يحيى الأنصاري فقد أرسل إليهم الأمير عبدالرحمن جيشاً بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامي ، غير أن الأعرابي استطاع هزيمة هذا الجيش وأسر قائده ثعلبة[3]، وقرر أن يستفيد من أسره فسار إلى شارلمان حيث سلمه ثعلبة دليلاً على صداقته وداعياً له لغزو الأندلس مقابل تنازله عن بعض الولايات الشمالية ، وأسرع شارلمان لتلبية هذه الدعوة ، لأنها جاءت موافقة لأطماعه التي كانت تتجدد دائماً إلى احتلال بعض الأجزاء من الأندلس تمهيداً لغزوها والاستيلاء عليها ، والظاهر أن شارلمان عندما وعد ابن الأعرابي بتأييده لم يكن يقصد فقط تقديم المساعدة له بل أنه اتخذ هذه الدعوة حجة لغزو الأندلس ، وذلك واضح من ضخامة الحملة التي أعدها لهذا

---

(1) عبدالجليل الراشد : العلاقات السياسية ، ص 121 . كذلك علي الشطشاط : المرجع السابق ، ص 98 .

(2) علي الشطشاط : المرجع السابق ، ص 96 .

(3) المرجع نفسه ، ص 96 - 97.

الغرض ، وهكذا كان هذا التحالف بين زعماء الأندلس وشارلمان خطراً يهدد مصائر الدولة الأموية في الأندلس والمسلمين هناك [1].

توجه شارلمان إلى سرقسطة وهو يعتقد أنها ستفتح له أبوابها ، ولكن الأحداث جرت على غير ما يرغب ، فإن الحسين الأنصاري رفض تسليم المدينة، ورفض الاتفاق الذي أبرم بين شارلمان والأعرابي ، وربما شعر لو أنه فتح المدينة لشارلمان فإن ذلك سيؤدي إلى اجتيازه للولايات الشمالية بأجمعها ، وحاول شارلمان احتلال المدينة بالقوة ولكنه تأكد من عدم جدوى محاولاته ، ولم يستطع الأعرابي عمل شيء لإقناع زميله الأنصاري بفتح المدينة ، وردت سرقسطة هجمات الفرنجة [2].

فشل شارلمان في غزو الأندلس ورجع بعد أن تكبد خسائر فادحة ، وعند انسحابه أخذ معه الأعرابي ، ولكن ولديه سليمان وعيشون استطاعا تخليصه وعادا به إلى سرقسطة[3] ، وتوجه عبدالرحمن إلى هؤلاء العصاة وفي أثناء سيره وقع الخلاف بين الحسين والأعرابي فاغتال الحسين زميله الأعرابي سنة (164هـ/780م) ، وفر عيشون بن سليمان الأعرابي عند مقتل أبيه إلى أربونة ، وعندما حاصر الداخل سرقسطة عاد عيشون وساهم في حصار المدينة مع عبدالرحمن بعد أن تمكن من قتل قاتل أبيه ، وضاق الحصار على المدينة حتى اضطر الحسين إلى طلب الصلح ، فأرسل ابنه رهينة فزال الحصار على المدينة وجعل على رأس جيشه غالب بن تمامه ونصب المنجنيق على المدينة ، فلم تصمد أسوارها ففتحت أبوابها بعد أن سلم أهل المدينة الحسين إلى عبدالرحمن فقتله سنة (166هـ/782م) وبذلك استطاع القضاء على هذه الثورة وعاد إلى قرطبة[4].

---

[1] طقوش ، محمد سهيل : تاريخ الدولة العباسية ، دار النفائس ، ط5 (بيروت – 2005م) ، ص 80 –81 . كذلك عبدالجليل الراشد : المرجع السابق ، ص 124 .

[2] الشامي، أحمد : الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط2 (القاهرة، 1986م) ص 101 – 102. كذلك سلطان ، عبدالمنعم عبدالحميد : أضواء جديدة على تاريخ الدولة العباسية ، مركز الإسكندرية للكتاب (الإسكندرية ، 2003م) ، ص 166 .

[3] عبدالجليل الراشد : العلاقات السياسية ، ص 124 .

[4] عبدالمنعم عبدالحميد : المرجع السابق ، ص 166 – 167 . كذلك أحمد الشامي : المرجع السابق ، ص 102 ، الشطشاط : المرجع السابق ، ص 97 .

ولم يبد من جانب العباسيين أي إصرار على ضم الأندلس أو متابعة للجهود في هذا المجال ، بل انشغلوا بأمور الشرق وقتذاك وآثروا إرسال جيوشهم إلى بلاد ما وراء النهر وإلى بلاد السند لتدعيم الفتوح الإسلامية هناك من جهة ، وتدعيم ثغورهم على الجبهة البيزنطية من جهة أخرى مما شغل الدولة العباسية وصرفها عن الدولة الأموية في الأندلس[1].

## جـ- هارون الرشيد : (170-193هـ/ 108-813م)

لم تكن علاقة الرشيد خامس الخلفاء العباسيين حسنة بأمير الأندلس عبدالرحمن الداخل الذي عاصر أربعة خلفاء من الدولة العباسية ، بل أن العداء والكراهية كانا السمة البارزة في علاقاتهما بعضهما ببعض ، وكان العباسيون يرون الأمويين في الأندلس مغتصبين للحكم وخارجين عن سلطانهم ، بل إنهم لم يكونوا ينظرون إليهم على أساس نظرتهم للدولة التي كانت تربطهم بها علاقات طيبة وسلمية ، غير أن هارون الرشيد لم يقوم بأي هجوم أو مناهضة ثورة ضد عبدالرحمن الداخل في الأندلس ، وإنما ظل العداء مستمراً بين الدولتين وبدون أي معارك[2].

## د- محمد المعتصم( 218-227هـ/833-841م)

قام المعتصم بمحاولة لاسترداد الأندلس من أيدي الأمويين ، لأنهم باتوا يرون أن ملكهم أصبح مصاب بخلل ، وأن هيبتهم لا تكمل إلا بإخضاع كل الولايات الخارجة عن سلطتهم ، وعلى الأخص الأندلس ، ولذلك كانوا يبذلون الجهود والمحاولات لاسترداد البلاد المفقودة وأيضاً المكانة التي انتزعت ، غير أن هذه المحاولات باءت كلها بالفشل ، حتى أصبحت الأندلس لا ترى في نفسها إلا نداً لبني العباس [3].

---

[1] محمد سهيل : المرجع السابق ، ص 81 .

[2] رفاعي ، أحمد توفيق : عصر المأمون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط2 (القاهرة ، 1997م) ، ص 112.

[3] عبدالجليل الراشد : العلاقات السياسية ، ص 125 .

## ثانياً : علاقة الدولة الأموية في الأندلس مع الفرنجة والبيزنطيين وأثرها على الدولة العباسية :

### أ- الفرنجة :

كانت العلاقات بين الفرنجة والأندلس عدائية ، لاسيما في الأيام الأولى من عهد الدولة ، فالأمويين في الأندلس بحكم جوارهم للفرنجة كان لابد أن تحدث المصادمات بين الطرفين ، فالفرنجة ظلوا دائماً يحاولون التحرش بالأندلس ويعملون على التدخل بشؤونها ويحرضون نصارى الشمال على مهاجمتها ، وكان شارلمان وأسلافه لا يتركون فرصة تمر دون استغلالها لتحقيق غرضهم ، وإثارة الاضطرابات وتشجيع الثوار في الأندلس ومدهم بالمساعدات الممكنة ، فبعد وفاة شارلمان – هدفت سياسة بيبين إلى إتمام محاولات أبيه في إخراج العرب من سبتمانيا والحصول على مركز قوي تجاه الأندلس ، وذلك أنه وجد في المسلمين خطراً كبيراً على دولته وخصوصاً على النواحي الجنوبية من غاله ، فإن المسلمين بالرغم من هزيمتهم في – بلاط الشهداء – بقيت سبتمانيا بأيدهم مدة من الزمن يشنون منها الغارات ضد أملاك الفرنجة الجنوبية ويعيثون فيها تخريباً ويرزعون الرعب في قلوب أعدائهم وقد أيقن بيبين بأن الوقت قد حان لغزو سبتمانيا بعد أن تناهت إليه أنباء الاضطرابات في الأندلس والتناحر القبلي وقد نجحت محاولاته المتكررة في انتزاع هذا الإقليم من المسلمين وبذلك أصبح في مركز قوي يستطيع منه إثارة الاضطرابات والتدخل في شمال الأندلس[1].

اتبع ملوك الدولة الكارولنجية بعد بيبين نفس السياسة التي سار عليها وهي استغلال كل فتنة أو ثورة تقوم في الأندلس ، ومحاولة الاتصال بالثوار وتقديم المساعدات لهم[2]، كما آزر الفرنجة الخارجين على الدولة الأموية ومن هؤلاء سليمان بن يقظان الكلبي – المعروف بالأعرابي – والي برشلونة[3]، والحسين بن يحيى الأنصاري والي مدينة سرقسطة اللذين تحالفا على الانتفاض على الأمير عبدالرحمن الداخل (157هـ/773م) ، وأسر قائده ثعلبة بن عبيد الذي بعثه

---

[1] عبدالجليل عبدالرضا : العلاقات السياسية ، ص 167 – 168 .

[2] المرجع نفسه ، ص 168 .

[3] ابن الأثير : الكامل في التاريخ 14/6.

عبدالرحمن لإخضاعها ، وقد ذهب سليمان بن يقظان إلى شارلمان في مدينة بادربورن (Padeborn) – شمالي غرب ألمانيا حالياً – عام (160هـ/777م) واقترح عليه غزو الأقاليم الأندلسية الشمالية ، وتعهد بمعاونته وتسليم المدن التي يليها هو ومؤيدوه[1]، ولبى شارلمان دعوة الواليين الخارجين ووصل إلى سرقسطة عام (162هـ/778م) وهو يأمل أن تفتح أبوابها له ، إلاّ أن ذلك لم يتحقق رغم حصاره للمدنية ، فقد قاومته بشدة واضطر إلى الانسحاب والرجوع إلى مملكته بعد أن فقد قائده رولان في أثناء هجوم شنه المسلمون والبشكنش على مؤخرة جيشه أثناء عودته[2].

وعلى الرغم من مشاكل عبدالرحمن الداخلية استطاع القضاء على ثورة الإعرابي والحسين الأنصاري ، ولم يكتف بذلك بل قام بإرسال حملة سنة (148هـ/766م) اجتازت حدود جليقية وعاثت فيها[3].

تعتبر حملة عبدالرحمن من جملة الحملات التأديبية وللانتقام من تدخل الفرنجة ، ويبدو أنه كان يرمي إلى إرهاب الفرنجة عن طريق ضرب حلفائهم في جليقية وليثبت لهم أنه بالرغم من مشاكله والثورات الداخلية فإنه قادر على الوقوف بوجههم ، وأنه لا يتورع عن رد الضربة بأشد منها وأقسى ، ولعله كان يهدف إلى اقناع إمارة جليقية أن الفرنجة عاجزون عن صد هجمات العرب ، وبعد وفاة الداخل واستلام ابنه هشام حكم الأندلس استمرت العلاقات السيئة بين الدولتين ، ويكاد عهده أن يكون كله غارات متبادلة بين الطرفين فهشام كان يرى أن واجب الجهاد يفرض عليه القيام بهذه الغارات ، ومن أشهر الحملات التي جهزها هشام كانت في سنة (175هـ/791م) وهي التي قادها يوسف بن بخت وكان هدفها جليقية ، وعادت هذه الحملة منتصرة محملة بالغنائم ، وتوغلت إحدى الحملات التي أرسلها هشام حتى حدود أربونه – بقيادة عبدالملك بن عبدالواحد – وكانت كسابقتها موفقة وتعتبر أشهر مغازي المسلمين[4].

---

[1] ابن الأثير : المصدر السابق ، 14/6 .

[2] محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، (القاهرة ، 1960م) 1/168 – 170 .

[3] علي الشطشاط : تاريخ الإسلام في الأندلس ، ص 96 . كذلك عبدالجليل عبدالرضا ، المرجع السابق ، ص 170 .

[4] علي الشطشاط : المرجع السابق ، ص 110 – 111 . كذلك عبدالجليل عبدالرضا : المرجع السابق ، ص 170 .

يعتبر تأييد شارلمان للخارجين على الدولة الأموية في الأندلس من المسلمين للاستعانة بهم على تحطيم تلك الدولة شيء ومحالفة الخليفة الإسلامي في نفسه شيء آخر ، فقد كانت تلبية شارلمان لرغبات الخارجين على الدولة الأموية تتفق تماماً مع نزعته الدينية وسياسته إزاء الأندلس الإسلامية إذ كان يطمع في توسيع رقعة دولته ونشر المسيحية خلف جبال البرتات كما فعل ذلك مع الأفارو السكسون في الشرق والشمال الشرقي وقد كان مهتماً بنشر المسيحية ورعايتها في ذلك الوقت[1].

وقد كان عدد من أساقفة طليطلة في هذه الأثناء على اتصال مستمر بنصارى أوروبا وكانوا يكاتبونهم ويثيرون شعورهم الديني ضد المسلمين[2]، ويرى أحد مؤرخي الكنيسة في القرن الثاني عشر الميلادي أن حملة شارلمان على سرقسطة سالفة الذكر كانت تستهدف معاونة الكنيسة (أو النصارى التابعين لها) ضد الحكام المسلمين[3]، وإن كان بكلريري أن ظهور الروح الصليبية في حروب الفرنجة مع مسلمي الأندلس إنما جاء بعد عام (226هـ/840م) في عهد لويس التقي[4] ، والحق أن شارلمان كان مهتماً كل الاهتمام بالمسيحية ضد الوثنيين ، فأعد شارلمان نفسه لخدمة الكنيسة سواء على نهر الألبه (Elbe) – في ألمانيا حالياً – أو على نهر الأبرو في شمال شرقي الأندلس[5].

ترى هل يتوقع من شارلمان في ظل هذا المناخ المشحون بالروح الصليبية أو القريب منها أن يقيم علاقات مع الخليفة العباسي بهدف القضاء على الأمويين؟

ولو كان شارلمان قد قصد حقاً محالفة الرشيد ضد الأمويين لبعث سفاراته قبل بداية حملته على أراضي الدولة الأموية بالأندلس عام (162هـ/778م) أو قرب ذلك التاريخ ، وليس بعد تلك الحملة بعشرين عاماً عندما بعث أول سفارة له إلى هارون الرشيد عام (181هـ/797م) .

---

(1) سليمان ضفيدع : المرجع السابق ، ص 113 .

(2) الباز العريني : بعض معالم عهد شارلمان ، 144/8.

(3) سليمان ضفيدع : المرجع السابق ، ص 113 – 114 .

(4) المرجع نفسه ، ص 114 .

(5) الباز العريني : المرجع السابق ، 144/8.

ويرى بكلر أن فشل حملة شارلمان على سرقسطة عام (162هـ/778م) قد جعله يتجه إلى محاولة إقامة علاقات دبلوماسية مع العباسيين تابعة لسياسة والده بيبين القصير الذي أرسل سفارة إلى الخليفة المنصور من قبل[1]، وربما أمكن تقبل هذا الرأي لو أن ذلك الاتصال أعقب فشل تلك الحملة المشار إليها مباشرةً ، لكن مرور عشرين عاماً بين تلك الحملة وبداية ذلك الاتصال يهدم أساس الرأي المذكور.

بل أن المقرّي يذكر أنه قد جرت مفاوضات بعد وقعة سرقسطة بين شارلمان وعبدالرحمن الداخل بشأن الصلح والمصاهرة فتم الصلح بينهما ولم تتم المصاهرة[2]، وأياً كان نصيب هذه الرواية من الصحة فإنها تومئ إلى تحسن في العلاقات بين الدولتين الأموية والفرنجية قبيل إرسال شارلمان سفارته الأولى إلى الدولة العباسية .

والحق أنه لا معنى لما يقرره فازلييف من أن "الأمويين في إسبانيا قد لعبوا دوراً هاماً في تدعيم العلاقات بين خلفاء الشرق وبين حكومات الإفرنج وبكلمة أخرى بين الإسلام والمسيحية[3]، ولو كان ذلك قد حدث فعلاً ، وقامت السفارات بين العباسيين والفرنجة فإنها لم تتمخض قط عن أية نتائج حقيقية ذات وزن .

## ب- مع البيزنطيين :

كأي دولة كبرى في العصر الوسيط ، ورداً على العلاقات السليمة بين الفرنجة والعباسيين ومحاولة الحصول على حلفاء ضد خلفاء بغداد والفرنج ، حاولت الدولة الأموية عقد معاهدات الصداقة وتبادل الوفود مع الدولة المعاصرة لها ، وأهمها الإمبراطورية البيزنطية ، ويبدو أن البيزنطيين خصوم العباسيين التقليديين اعتقدوا أنهم باتفاقهم مع أمراء أسبانيا الإسلامية وإقامة العلاقات الطيبة ربما يتيح لهم بعض المكاسب في نزاعهم مع العباسيين وأتباعهم الأغالبة [4].

---

(1) بكلر : شارلمان وهارون الرشيد ، نقلاً عن سليمان ضفيدع: العلاقات السلمية بين الدولة العباسية وأوروبا ، ص 112 .

(2) المقري : نفح الطيب ، 310/1 .

(3) فازلييف : هارون الرشيد وشارلمان ص 77 ، نقلاً عن بارتولد : دراسات في تاريخ فلسطين ، ص 118 .

(4) عبدالجليل الراشد : العلاقات السياسية ، ص 159 .

وفي القرن الثالث الهجري/التاسع للميلاد، كانت الإمبراطورية البيزنطية في صراع حياة أو موت مع الدولة العباسية في المشرق ومع عمالها ، وأيضاً مع من كانت صلاتهم بالعباسيين واهية مثل الأغالبة في تونس ، وكانت الدولة البيزنطية منذ ظهور الإسلام تخسر الموقع تلو الآخر خاصةً في جزرها الكثيرة المنتشرة في البحر الأبيض المتوسط ، مما يهدد نفوذها البحري حتى في القسم الشرقي من هذا البحر والمواجه لأراضيها ، وكان أشد ما نزل بالبيزنطيين من نكبات في هذه الفترة تلك الهزيمة التي أنزلها الخليفة العباسي المعتصم بجيوش الإمبراطور تيوفيل في وقعة عمورية التي حدثت في (25 شعبان سنة 223هـ/13 أغسطس سنة 838م) [1].

رأى الإمبراطور تيوفيل البيزنطي أنه لابد من السعي للحصول على أصدقاء وربما حلفاء له ولدولته لمواجهة الخطر العباسي،وهو لا يرى حليفاً في الكارولنجيين،الذين كانت الخلافات حول وراثة العرش تشغلهن والذين كانت الحرب الأهلية تقسم صفوفهم،ثم إنه ما كان يأمل الحصول منهم على عون جدي لما بدأ يظهر بين كنيستي البلدين من تباعد ومن خلافات عقائدية،لهذه الأسباب اتجه إلى الأمير عبدالرحمن الثاني الذي كان آنذاك بين ملوك العالم، نافذ الهيبة، عظيم السطوة،وافر القوة،وقد اعتقد أن ما يفصل بين الأمويين في أسبانيا والعباسيين في الشرق من عداء قديم لابد أن يشد إليه الأمير الأندلسي،وفعلاً حلت في ديار الأندلس في سنة (225هـ/840م) سفارة بيزنطية بزعامة يوناني يجيد اللغة العربية يدعى قرطيوس يحمل رسالة صداقة وهدايا ثمنية لأمير قرطبة، كان الإمبرطور يشتكي من معاملة المأمون ثم المعتصم لدولته ويطلب منه التعاون والتفاهم في مواجهة دولة بني العباس العدو المشترك للرجلين[2]، بل إنه ذهب في رسالته وكما يقول المقرّي إلى حد استعداء أمير قرطبة على الخليفة العباسي إذ يرغبه في ملك سلفة بالمشرق[3]، وأيضاً اشتكى الإمبراطور البيزنطي من احتلال عناصر أندلسية بزعامة أبي حفص البلوطي جزيرة كريت ذات الموقع الهام في

---

[1] فتحي عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية ، ص 312 .

[2] علي الشطشاط : تاريخ الإسلام في الأندلس ، ص 127 – 128 .

[3] المقري : نفح الطيب ، 321/1 .

المتوسط ، وهي من أملاكه ، وأيضاً تعدياتها المستمرة علـــى خطـــوط الملاحـــة البيزنطية[1].

وفي هذه الرسالة حاول تيوفيل ألا يربط نفسه بأي تعهد ، ولكنه تـــوهم أن عبدالرحمن سوف يسرع لمحاربة الأغالبة ، وفي هذه الحالة سوف يكون الغنم لـــه وحده ، ذلك لأنه سوف لا يتكلف جهداً في هذه الحروب – في حالـــة وقوعهـــا – لأنها ستكون بين حاكمين مسلمين وحتى لو لم ينتصر الأندلسيون فإنهم على الأقل سوف يشغلون الأغالبة ويبعدونهم عن شواطئ بيزنطـــة لاضـــطرارهم لمواجهـــة خطر الأندلس ، وبعد أن أقام السفير البيزنطي عدة أيام فـــي قرطبـــة وُدِّعَ بكـــل مظاهر التجلة والإقدام مصحوباً بسفيرين من أصدقاء الأمير الأموي وهما يحيـــى الغزال[2]، وآخر اسمه يحيى أيضاً ، وكُلِفا بإعطـــاء الإمبراطـــور جـــواب أميـــر الأندلس[3].

يرى بعض الباحثين أن تبادل السفارات بين البيـــزنطيين والأمـــويين فـــي الأندلس جاء رد فعل لتبادل السفارات بين الفرنجة والعباسيين ، ولكن يلاحـــظ أن السفارات بين بيزنطة والأندلس قد بدأت بعد مضيء ثلاثين عاماً على الأقل مـــن الاتصالات بين الرشيد وشارلمان[4].

كانت سفارة تيوفيل إلى عبدالرحمن الأوسط بعد هزيمته في وقعة عمورية، واحدة من عدة سفارات أُرسلت إلى لويس التقي إمبراطور الفرنجة والـــي دوقيـــة البندقية لطلب المدد والمساعدة ضد الخليفة المعتصـــم ، لاســـيما وأن الأســـطول البيزنطي كان قد هُزم أيضاً في هذه الأثناء في جزيرة صقلية على أيدي الأغالبـــة ولاة العباسيين على أفريقية ، وربما طلبت بيزنطة معاونة الفرنجة والبندقية لتدعيم جيشها وأسطولها وطلبت من الأمويين معاونة الأغالبة في أفريقية حتـــى تشـــغل

---

(1) عبدالجليل الراشد : العلاقات السياسية ، ص 161.

(2) يحيى الغزال : (156 – 250هـ) كان شاعر قرطبة في عصره ، ومن كبار رجال الدولة الأموية الحـــاذقين أوفـــده الأميـــر عبدالرحمن الأوسط إلى الإمبراطور البيزنطي تيوفيل رداً على سفارته إلى الأندلس ، المقري : نفح الطيب 1/324.

(3) عبدالجليل الراشد : المرجع السابق ، ص 162.

(4) إبراهيم أحمد العدوي : المسلمون والجرمان في غرب البحر المتوسط ، دار المعارف (القـــاهرة ، 1960م) ص 268 . كـــذلك جميل نخلة المدور : حضارة الإسلام في دار السلام ، ص 211 .

الدولة العباسية في جهات أخرى فيخفف ضغطها على الدولة البيزنطية في جهة آسيا الصغرى[1].

ويبدو أن سفارة الإمبراطور البيزنطي للأمير الأموي قد استهدفت أيضاً الرغبة في الحد من خطر مسلمي جزيرة اقريطش الذين نزحوا من الأندلس بعد وقعة الربض[2] عام (202هـ/817م) ، وكان قد تزايد نشاطهم البحري في تلك الفترة حتى هددوا سواحل آسيا الصغرى ، وقد يكون تيوفيل رأى الاستعانة بالأمير الأموي في الأندلس ضد هؤلاء الذين خرجوا على سلفه[3].

ومن المؤكد أن علاقات التفاهم والصداقة هذه ما استندت إلى أي تحالف أو التزام سياسي أو عسكري ، فالأمير الأموي يعرف حدود إمكانياته ويدرك مدى الصلة بين أراضيه وأراضي أعدائه العباسيين وبالتالي استحالة الدخول في صراع معهم ، أما بالنسبة لأندلسي كريت مع أن أمير قرطبة ما كان على علاقة جيدة معهم ولا كانوا يعترفون بسلطانه ، إلاّ أنه لا يستطيع أن يتحالف ضدهم ويقاتلهم في وقت كانوا يعرضون فيه لواء الإسلام في صراعهم مع البيزنطيين ، ثم إن مضمون الرسالة – المرفقة في الملحق – التي حملها السفير الشاعر لا توحي بوجود أي ارتباط أو التزام جدي بين الدولتين[4].

ظلت العلاقات حسنة بين بيزنطة والأندلس واستمر تبادل السفراء ، ولعل انشغال عبدالرحمن الثاني بمشاكله في الأندلس ومواجهته لخطر الفرنج من الشمال من أهم الأمور التي منعته وصرفته عن الاهتمام بتطوير علاقاته مع بيزنطة ، ولعل الشيء الوحيد الذي حصل عليه تيوفيل من هذه المبادرة هو تأكيد حسن علاقاته مع الأمويين في الأندلس[5].

---

(1) بروفنسال ، ليفي : الإسلام في المغرب الأندلسي ، تر : السيد محمود عبدالعزيز ، مكتبة نهضة مصر (القاهرة ، 1956م) ، ص100 .

(2) الربض ضاحية من ضواحي قرطبة على ضفة من النهر الأخرى مقابل قرطبة ، علي الشطشاط : تاريخ الإسلام في الأندلس ، ص 118 .

(3) إبراهيم العدوي : المرجع السابق ، ص 269 .

(4) المرجع نفسه ، ص 269 – 270 .

(5) عبدالجليل الراشد : العلاقات السياسية ، ص 167 .

## ثالثاً : عوامل فشل العباسيين في استعادة الأندلس إلى سلطة الخلافة:

تعتبر الدولة العباسية وخاصة في عصرها الأول من أكبر وأقوى الدول السائدة والمعروفة في العالم آنذاك ، وذلك من خلال سيطرتها على المساحات الواسعة والبعيدة عن مركز الخلافة ، وخضوع الكثير من البلدان لولايتها وتحت طاعتها ، غير أننا أحياناً نراها تفشل في السيطرة على بعض ممتلكاتها التي خرجت عن طاعتها ، ومن هذه البلدان الأندلس التي أصبحت دولة إسلامية منفردة لها كيانها ووجودها ، فما هي العوامل التي وقفت حائلاً دون استعادة العباسيين للأندلس ؟ .

يبدو أن هناك أسباباً عديدة حالت دون تنفيذ هذه الرغبة فأول هذه الأسباب هي :

### أ- شخصية عبدالرحمن الداخل :

أخضع عبدالرحمن كل العناصر المعادية له في الأندلس ، وعرف كيف يقمع كل حركات التمرد ضده ودحر كل شخص يجرؤ على رفع راية العصيان وشق عصا الطاعة عليه ، واستطاع أن يثبت أنه سيد الموقف بدون منازع ، وقد مال عبدالرحمن إلى اتباع سياسة الشدة تجاه خصومه حتى سببت له هذه السياسة مشاكل عديدة ، فإنه اتكل على أخلص أصدقاءه في سبيل تثبيت حكمه ، ووجد نفسه كلما تقدم به الزمن وحيداً ، فقد هجره أقرب الناس إليه وجرؤ أهله وأبناء رحمه على إعلان الثورة عليه وعصيانه عندما استبدل سياسة اللين والعفو بسياسة الشدة والفتك ، وذلك عندما رأى أن لا غنى له عن هذه الطريقة[1].

كان الداخل حازماً ذا شخصية قوية حتى أن بعض المؤرخين شبهه بالمنصور على عظمته وشهرته وقيل (ملوك الدنيا أبناء بربريتين الداخل والمنصور)، ولم يأنف المنصور من مدحه وإطرائه وهو خصمه العنيد ، وهذه الشهادة من ألد أعداء الداخل هي خير دليل على ما كان يتمتع به من صفات[2].

---

[1] عبدالجليل الراشد : العلاقات السياسية ، ص 127 . كذلك محمد سهيل : تاريخ الدولة العباسية ، ص 62 – 63 .

[2] علي الشطشاط : تاريخ الإسلام في الأندلس ، ص 98 – 99 .

### ب – بُعد الأندلس عن مركز الخلافة العباسية :

أدرك الخلفاء العباسيين مدى خطورة إرسال جيوش إلى الأندلس لاسترجاعها وإعادة سيطرتها إلى الدولة العباسية ، وعامل البعد هذا عامل مهم بالنسبة لتجهيزات الجيوش لصعوبة هذا الأمر ، وكون البحر يفصل بينهما ، فإن الدولة العباسية لم تهتم بقوتها في البحر قدر اهتمامها بالناحية البرية ، الأمر الذي صعّب على الإدارة العباسية الابتعاد عن التفكير في إرسال الجيوش لاسترجاع الأندلس[1].

### ج – استقلال بعض الولايات عن مركز الخلافة :

كان ظهور إمارة مستقلة في عهد الرشيد متوقعاً ، بل أن الرشيد نفسه وافق على إنشاء إمارة الأغالبة شبه المستقلة لحماية ما تبقى من المغرب ولتكون سداً أمام تغلغل التشيع (مذهب الأدارسة) والمذاهب الخارجية إلى مصر ، ولتكون درعاً بينه وبين الأمويين في الأندلس والأدارسة ، ومن أهم الدويلات المستقلة في شمال أفريقيا في زمن العباسيين هي الأدارسة ، والرستمية وغيرها من الدويلات الصغيرة مثل بني مدار في سجلماسة ودولة بني صالح الحميري في نكور والريف المغربي ودولة صالح بن طريف[2].

إن اعتراف الدولة العباسية بقيام دويلات مستقلة أو السكوت عنها قطع الأمل كلياً في استرداد الأندلس لأن هذه الدويلات – عدا الأغالبة – وقفت حاجز بين الأندلس والدولة العباسية ، ولم تكن بأي حال من الأحوال موالية للعباسيين فأصبحت الأندلس في مأمن من أيدي العباسيين ونعمت بعهد من العهود على الأقل من جانبهم [3] .

---

[1] عبدالجليل الراشد ، المرجع السابق ، ص 117 .

[2] أيوب ، إبراهيم : التاريخ العباسي ، منشورات الشركة العالمية للكتاب ، ط2 (بيروت ، 2001م) ص42 . كذلك عبدالجليل الراشد : التاريخ السياسي ، ص 117 – 118 .

[3] إبراهيم أيوب : المرجع السابق ، ص 43 .

## د- حالة الفوضى في أفريقية :

تعتبر حالة الفوضى التي حدثت في أفريقية من أهم العوامل التي ساهمت في فشل العباسيين لاسترداد الأندلس ، فقد كانت بعض أقسام أفريقية بما فيها القيروان قبل سقوط الأمويين قد أصبحت تحت حكم عبدالرحمن بن حبيب الفهري الذي بادر حين سقوط الأمويين وقيام الخلافة العباسية بتقديم الطاعة لأبي العباس السفاح، الذي ما كاد يموت حتى بعث الفهري إلى المنصور معترفاً بسيادته عليها، فبعث إليه الخليفة الجديد خلعة سوداء " وهي أول سواد دخل أفريقية " ، ورد عليه الفهري برسالة أرفقها بهدايا ، ومما قاله في رسالته " إن أفريقية اليوم إسلامية كلها وقد انقطع السبي عنها فلا تسألني ما ليس قبلي " [1]، ويستدل من رسالة الفهري للمنصور أن ابن الفهري كان يرغب أن يكون تابعاً اسمياً فقط للخلافة ، وكان بإمكانه ذلك لو أنه اكتفى بإرسال الأموال السنوية إلى المنصور لكي يقنع الخليفة بأنه لازال على ولائه له ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، وهناك أمر مهم هو أن شكوك العباسيين أخذت تزداد بنواياً الفهري خصوصاً بعد هرب بعض الأمويين والتجاءهم إلى أفريقية[2].

أعتبر المنصور أن هذا الخطاب الذي وصله من حاكم تابع له إهانة وخروجاً على المألوف ، مما أثار غضبه على الفهري ، ولم يسكت المنصور على هذه الإهانة بل قرر أن يقابلها بأشد وأقسى منها ، فأرسل للفهري كتاباً سبه فيه وتوعده .[3]

وجد الفهري في هذه الرسالة فرصة لإثبات وجوده والخروج عن طاعة العباسيين وأخذ في شتم أبي جعفر وقال " إني ظننت أن هذا الخائن يدعو إلى الحق ويقوم به ، حتى تبين لي خلاف ما بايعته عليه من إقامة العدل وأني الآن قد خلعته كما خلعت نعلي هذا" وقذفه من رجله ودعا بخلع السواد وأمر بتمزيق الخلعة[4].

---

[1] ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب 1/74 .

[2] عبدالجليل الراشد : المرجع السابق ، ص 128 .

[3] المرجع نفسه، ص128.

[4] ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق1/75.

كانت حركة الفهري أول انشقاق وعصيان من جانب والي من ولاة الخلافة في أفريقية لم يمض على تقديمه الطاعة للخلافة فترة قصيرة ، وتقلقلت الأوضاع في المغرب مما أدى إلى قتل عبدالرحمن الفهري وتولى الأمر بعده ابنه حبيب الذي قتل هو الآخر مما أدى إلى سيطرة البربر على أفريقية وأخيراً استطاع المنصور استعادة أفريقية عندما أرسل قائده محمد بن الأشعث وانتصر على البربر وقائدهم أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح[1].

أثرت هذه الحوادث على كيان الدولة وهزتها هزات قوية وظهرت آثارها واضحة على هيبتها وعظمتها وأظهرتها عاجزةً عن عمل شيء تجاه هذه الحوادث، وظلت أوضاع هذه العلاقات بهذه الصورة في المغرب حتى نهاية العصر العباسي الأول[2].

---

[1] محمد سهيل : تاريخ الدولة العباسية ، ص 60 – 61 .

[2] عبدالجليل الراشد ، العلاقات السياسية ، ص 130 .

# الفصل الخامس

العلاقات بين الدولة العباسية والهند

أولاً : الإطار الجغرافي للهند والسند

ثانياً : الأوضاع السياسية لممالك الجوار الهندية خلال بدايات الدولة العباسية

ثالثاً : علاقات الخلفاء العباسيين بالهند :

أ- أبوجعفر المنصور .

ب- المهدي وهارون الرشيد .

ج- عبدالله المأمون والمعتصم بالله .

د- أبو إسحاق المعتصم والواثق بالله .

## أولاً : الإطار الجغرافي للسند والهند :

تغطي هذه من الناحية الجغرافية ما أطلق عليه الجغرافيون الأوائل السند والهند (حالياً باكستان والهند) ، فالسند هي المجال الجغرافي الذي استطاع المسلمون السيطرة عليه وتحويله لولاية إسلامية ، أما الهند فهي المجال الحيوي الذي تاخم تلك الولاية وارتبط به العباسيون بعلاقات مباشرة وغير مباشرة في العديد من المجالات السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

وتقع السند في الركن الشمالي الغربي من الهند[1]، وطبقاً للتقسيم الجغرافي للعالم الذي كان سائداً لدى الجغرافيين الأوائل ، فإنها كانت تقع ضمن نطاق الإقليم الثاني[2]، أما عن أقاليم الجوار فإنه يحدها من الشرق والجنوب الهند وبحر فارس[3]، ومن الغرب كرمان[4]، ومن الشمال سجستان[5]، وكابل[6].

وتتميز الطبيعة الجغرافية للسند بالتنوع ، فهي تشمل السهول والأودية ، بجانب الفراغات الصحراوية التي تغطي مساحات كبيرة من السند ، ومن أهم المظاهر الطبوغرافية في السند نهر مهران[7] الذي ينبع من شمالها ويصب جنوباً في بحر فارس ، وقد لعب هذا النهر دوراً بارزاً في تشكيل الواقع الاقتصادي والديموغرافي في السند حيث انتشرت حول هذا النهر وروافده كبريات المدن السندية ، ورغم أن السند تتمتع جنوباً بمسطح بحري كبير نسبياً وهو بحر فارس ،

---

[1] الخريطة الملحقة بالدراسة .

[2] الإدريسي ، أبو عبدالله محمد : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (القاهرة ،1996م) 467/1 . كذلك ياقوت الحموي : معجم البلدان 159/1 .

[3] بحر فارس : هو الآن الخليج العربي ، وهو بوصف الجغرافيين الأوائل يمتد من حد الصين ملواً بحدود الهند والسند وكرمان إلى فارس ، التي ينسب إليها لأن سواحلها تشغل أكبر حيز منه - عبدالرحمن ، محمد نصر : كرمان منذ الفتح العربي حتى نهاية الدولة الطاهرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس (القاهرة ، 1999م) هامش رقم (3) ، ص36.

[4] تقع كرمان في الجنوب الغربي لإيران - المصدر نفسه ، ص 14 .

[5] من أهم الأقاليم الفارسية ، المصدر نفسه ، ص 15 .

[6] ولاية كبيرة بين الهند وغزنة - ياقوت الحموي : معجم البلدان 426/4 .

هذا بالنسبة لموقع السند الجغرافي ، أما من موقعها الفلكي خلال تلك الفترة ، فكان ينحصر بين خطي طول (60-75°) شرقاً ، ودائرتي عرض (20-35°) شمالاً - حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام (القاهرة ، 1987م) ، ص 18 .

[7] ويسمى أيضاً نهر السند أو الأندوس وإليه نسب الجزء الشمالي من الهند فعرف بمملكة السند - القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر (بيروت ، د.ت) ، ص 125 .

بجانب كثرة التعاريج على هذا الساحل ، فإنها لا تمتلك سوى ميناء واحد فقط على هذا المسطح هو ميناء ديبل[1].

أما عن مناخ السند فيغلب عليه الحر الشديد[2]، خاصة جنوباً لاقتراب السند من خط الاستواء ، وربما كان ذلك أحد الأسباب الرئيسية في قلة الموانئ والمدن الساحلية هناك ، وكان استقرار السكان هناك راجع للاعتبارات الاقتصادية واشتغالهم بالتبادل التجاري مع الوافدين على السند عبر ميناء ديبل[3].

وقد تنوعت مدن السند وفقاً لتنوع طبوغرافيتها ، فكانت هناك المدن السهلية وكذلك الساحلية ، والصحراوية ، ومن أهم المدن السهلية كانت هناك ميدينتي : المنصورة[4]، ومولتان[5]، وقد اتخذ المسلمون من الأولى حاضرةً لهم حين استقروا في السند، كما صارت حاضرة للإمارة الهبارية خلال العصر العباسي الثاني ، أما المدينة الثانية فكانت مقدسة لدى الهنود لوجود المعبد الرئيسي لبوذا فيها ، مما أعطاها أهمية سياسية واستراتيجية واقتصادية أيضاً ، كما أنها صارت هي الأخرى حاضرةً للإمارة السامية التي ظهرت في السند خلال العصر العباسي الثاني ، أما عن المدن الساحلية فكانت نادرة ومن أشهرها ميناء ديبل ، وبجانب ذلك كانت هناك مدن صحراوية خاصة في ناحية مكران[6]، مثل : قنديل وقصدار[7].

وكان لطبيعة الإقليم ومناخه أثره على سكان السند ، خاصة في المناطق الحدودية ، فنظراً للمناخ الحار كان يغلب على سكانه والسمرة[8]، بل كان منهم

---

(1) ميناء ديبل من أهم موانئ السند ، وهي مشتقة من الكلمة السنسكريتية Delvalaia وتعني مقام الآلهة وتقع الآن بالقرب من مدينة كراتشي وتعرف أطلالها باسم بانبهور – الإدريسي : نزهة المشتاق 167/1 . كذلك البلوشي ، إبراهيم : ميناء ديبل عند الفتح الإسلامي ، مجلة التاريخ العربي ، العدد الثالث ( دمشق،1997م ) ، ص 111–129 .

(2) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص 479 .

(3) ابن حوقل ، أبوالقاسم محمد : صورة الأرض ، مكتبة الحياة (بيروت ، د.ت) ، ص 323 .

(4) وتقع على ضفاف نهر مهران ، حيث يحيط بها خليج منْه – ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص 103 .

(5) وهذه الكلمة مشتقة من الكلمة السنسكريتية Maliathan والتي تعني موضع قبيلة مالي ، تلك القبيلة القوية التي كانت تقطن المنطقة زمن الإسكندر المقدوني – القزويني : أخبار البلاد ، ص 121 – 122.

(6) تقع مكران في الجنوب الشرقي من إيران – ياقوت الحموي : معجم البلدان 168/5 .

(7) للوقوف على التوصيف الجغرافي لهذه المناطق ينظر ، الإدريسي : نزهة المشتاق 175/1 . كذلك القزويني : أخبار البلاد ، ص 104 .

(8) المقدسي : المصدر السابق ، ص 479 .

الزنوج الذين عرفوا باسم الميدوالزط[1]، والذين لعبوا دوراً هاماً في العلاقات العباسية – الهندية كما سنرى .

أما عن الإطار الجغرافي للهند ، فقد أحاطت المسطحات المائية المتمثلة في المحيط الهندي بها من الشرق والغرب والجنوب ، أما من الشمال فأحاطت بها الصين ، كابل ، والسند[2]، وقد تميزت الطبيعة الجغرافية للهند بالخصوصية ، سواء في المسطحات المائية التي جعلت منها شبه جزيرة من الصعب غزوها ، أو في الغطاء الجبلي الذي انتشر في أنحائها ، وجعل من الصعوبة التغلغل في دواخلها [3].

كما تميزت بوجود الحواجز الجبلية على السواحل الغربية ، وندرة الموانئ الصالحة على السواحل الشرقية ، وقلة الغور في المياه الساحلية ، وصعوبة المراسئ بسبب الأمواج الهائجة ، وأدى ذلك في عدم نموها كقوة بحرية برغم سواحلها العظمى ، كما أثر في علاقتها بجيرانها [4].

وحيث أن قسماً كبيراً من الهند يمتد جغرافياً إلى الداخل ، ومع قلة الخلجان العميقة ومصبات الأنهار التي تفتح بها المساحات الداخلية ، فإن معظم سكانها ارتبطوا بالبر ، ولم تلعب البحرية دوراً هاماً في التاريخ الهندي[5].

ومع تلك العزلة الجغرافية التي فرضتها الطبيعة على الهند بعلاقتها بجيرانها فإن الطبيعة أيضاً عزلت أجزاء الهند عن بعضها ، فقد مثلت سلاسل جبال وندیا Windia حاجزاً فاصلاً بين شمال الهند وجنوبها ، وهناك صحراء راجبوتانا التي تمتعت بأهمية استراتيجية وعسكرية في الدفاع عن الهند ، بجانب صحراء كجه Cutch الممتدة في جهة الشمال الشرقي ، والتي شكلت خطاً ثانياً من التحصينات ضد الغارات القادمة من الشمال[6].

---

(1) تطلق المصادر الإسلامية على الجت اسم الزط وهم الزنوج من الهنود = البلاذري : فتوح البلدان ص 4 ، 469 .

(2) هذا بالنسبة لموقع الهند الجغرافي ، أما عن موقعها الفلكي خلال تلك الفترة ، فكان ينحصر بين خطي طول (70-90°) شرقاً ، ودائرتي عرض (10-30°) شمالاً = حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، ص 118 .

(3) البلاذري : المصدر السابق ص 469 . كذلك المقدسي : المصدر السابق ، ص 482 .

(4) سميث : الأسس الجغرافية والاجتماعية للهند ، مجلة ثقافة الهند ، مج السابع ، مارس – يونيو (د.م ، 1956م) ، ص 122 .

(5) المرجع نفسه ، ص 122 –123 .

(6) المرجع نفسه ، ص 123 .

وقد انعكست تلك العزلة الطبيعية على المدن الهندية التي ارتبطت بعلاقات مع المسلمين على الصعيد السياسي ، والاقتصادي ، والاجتماعي ، لذلك كانت هذه المدن قليلة ، كما كانت غالبيتها تتميز بالطابع الساحلي مثل : بروص[1]، تانة[2]، صيمور[3]، كولم ملي[4]، بجانب جزيرة سرنديب[5].

تلك هي بعض تفاصيل المشهد الجغرافي في السند والهند ، والتي سيكون لها كبير الأثر على التواجد الإسلامي هناك ، وطبيعة العلاقات بين الدولة العباسية وولايتها في السند ، وكذلك علاقتها بالممالك الهندية ، فالطبيعة الجغرافية الهندية الوعرة جعلت من الصعب على المسلمين فتحها من ناحية الشمال ، بل هاجموها من ناحية الغرب ، كما أنها أبقت على الطموحات الإسلامية العسكرية عند حدود السند دون التغلغل في أعماق الهند .

بجانب ذلك أدت العزلة الداخلية لأجزاء الهند إلى عزلة سياسية في المقابل، فلم تقم في الهند قوة سياسية موحدة قادرة على طرد أي هجوم قد يتسلل للتخوم الشمالية الغربية ، وكان ذلك في صالح المسلمين الذين واجهوا قوى متفرقة لم تتمكن من طردهم من السند ، بل إن بعض هذه القوى – كما سنرى – أقامت علاقات صداقة مع العباسيين في مراحل متعددة .

## ثانياً : الأوضاع السياسية لممالك الجوار خلال بداية الدولة العباسية :

ورث العباسيون عن أسلافهم الأمويين إمبراطورية مترامية الأطراف ، امتدت من نهر جيحون شرقاً حتى شواطئ الأطلسي غرباً ، وكانت الولاية الإسلامية في السند ضمن هذه الإرث ، حيث تركها الأمويون جنيناً في رحم التاريخ لم يكتمل ، فلم يورثوها تخوماً آمنةً مع ممالك الجوار ، ولم يخلفوا بها

---

[1] هي الآن عاصمة إحدى محافظات ولاية مهاشترا الجديدة ، وتقع بالقرب من مدينة بومباي = علي ، سيد رضوان : تعريف مدن الهند وتحديدها الواردة في كتاب فتوح البلدان للبلاذري ، مجلة المصور ، مج الثالث (الرياض ، 1987م) ، ص 139 .

[2] وهي الآن إحدى مديريات إقليم كجرات ، وللزيادة ينظر= ياقوت الحموي : معجم البلدان 404/1 .

[3] وتقوم مقامها الآن تشول Chaul جنوب بومباي بنحو 25 ميلاً = ياقوت الحموي : المصدر السابق 440/3 .

[4] وهي ميناء جنوب ساحل مليبار ، وتعرف الآن باسم كويلون Quilon = عبدالعليم ، أنور : الملاحة عند العرب ، مجلة عالم المعرفة ، العدد 13 ، (الكويت ، 1979م) ، ص 39 .

[5] وهي سرنديب لوميلان = الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص 72 .

مؤسسات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية قادرة على حفظ هذا الكيان لفترات طويلة ، لذلك ورث العباسيون هذا الكيان المبستر الذي كان أشبه بجزيرة منعزلة وسط محيط معادي ، ومن المعروف أن هذا الكيان أقام وجوده بالقوة ويستمر فيها، وبحكم نظرته إلى حاضره ومستقبل وجوده ، سوف يكون جهده الأساسي بل الكلي منصرفاً نحو تعزيز وجوده هناك ، وشن الحرب باستمرار في الجغرافية التي يسيطر عليها ، وفي الجغرافية المحيطة التي يطمع بالتوسع فيها .

إن علاقة العباسيين بالسند ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بعلاقتهم ببقية أجزاء شبه القارة الهندية ، إذ أن الهند خلال تلك الحقبة لم تكن تخضع لكيان سياسي واحد ، بل انقسمت للعديد من الكيانات السياسية التي تباينت في الحجم والقوة ، ونبدأ من الشمال الذي خضع بصورة أساسية لمملكتين كبيرتين ، الأولى مملكة كشمير التي امتدت تخومها حتى مملكة الهند كوش Hindushahi في كابل شمالاً ومملكة قنوج جنوباً ، وساعد على ازدهار تلك المملكة ظهور العديد من الحكام العظام في تاريخها ولعل أشهرهم شنكرفرمان Shankarvarman(93-106هـ/712-724م)، وموكاتابيدا Mukatapida (106-160هـ/724-777م) [1].

وإلى الجنوب منها مملكة قنوج التي امتد نفوذها على شمال الهند من سواحلها الشرقية حتى سواحل كجرات ، ودانت السيطرة فيها للأرستقراطية الحاكمة من أسرة البرتهاربين Pratiharas (80-393هـ/700-1003م) ، الذين عُرِفوا أيضاً باسم جورجرا برتهاربين Pratihajara ، ربما لأن أصولهم ترجع لمنطقة جورجرترا Gurjartra أو غرب راجستان Rajasthan[2].

وترجع شهرة تلك المملكة لتزعمها المقاومة الهندية ضد الحملات الإسلامية التي انطلقت من السند إبان العصر الأموي ، وقد حاول ملوكها مد نفوذهم نحو الغرب ، لكن محاولاتهم باءت بالفشل أمام المقاومة العنيفة من جانب حكام مملكة الراشتوكوت Rashtrakutas ، لذلك اكتفوا بمد نفوذهم حتى سواحل كجرات ، ويعد بهوجا Bhoja ، الذي اعتلى العرش عام (221هـ/836م) ، أشهر حكام تلك

---

[1] محمد نصر عبدالرحمن: العلاقات السياسية والحضارية بين الدولة العباسية والهند، مكتبة الآداب (القاهرة، 2003م)، ص 55

[2] المرجع نفسه ، ص 55 - 56 .

المملكة ، إذ استطاع بعد معارك دامية مع الراشتراكوت أن يبسط سيطرته على شبه جزيرة كجرات ، وسيطر بذلك على قطاع عريض من شمال الهند ، وخلفه ابنه مهندرابالا الذي حكم حتى عام (297هـ/910م) [1]، وتطلق بعض المصادر الإسلامية على حكام تلك المملكة اسم ملوك الجزر[2].

وفي أقصى الشرق وتحديداً في منطقة البنغال Pengal ، ظهرت مملكة البالاس Palas التي أسسها جوبالا Gopala عام (132هـ/750م) ، عندما جرى تنصيبه كملك من جانب نبلاء المنطقة ، وخلفه ابنه دهرمابلا Dharamapala الذي حكم حتى عام (194هـ/810م) ، وقد تطلع دهرما للتوسع غرباً على حساب الراشتراكوت لكنه فشل في ذلك فاتجه بطموحاته شمالاً ، لكنه لقي هزيمة أخرى من حاكم قنوج نجبتا الثاني Nagabhata II وأدى هذا الفشل في النطاقين الشمالي والغربي ، إلى تركيز جهوده في التوسع في التخوم المجاورة له ، وبعد موته خلف ابنه ديفابالا Devapala الذي حكم حتى نهاية العصر العباسي الأول ، ثم خلفه ابنه ماهي بالا Mahipala ، الذي واصل الصدام مع الراشتراكوت والجزر دون تحقيق نتيجة حاسمة[3].

أما مملكة الراشتراكون أهم وأقوى الممالك الهندية ، فقد بسطت سيطرتها على هضبة الدكن وسواحل الهند الغربية ، وقد ظهرت تلك المملكة للوجود على يد دنتيدورجا Dantidurga في منتصف القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، وكما ظهر لنا واجهت تلك المملكة العديد من التحديات من جانب الممالك الهندية الشمالية والشرقية ، لكن الأمر لم يقتصر عند هذا الحد ، إذ امتد هذا التحدي للكيانات السياسية الجنوبية ، ولعل أهمها مملكتي البالفاس Pallavas والشالوكياس Shalukyas ، والمملكة الأولى جاورت الراشتركوت من الجنوب ، وتمكنوا من الصمود أمام قوتهم ، لكنهم لم يتمكنوا من الصمود أمام الشالوكياس ، خاصةً ملكهم بولاكسين الثاني الذي تمكن في النهاية من السيطرة على مملكتهم ،

---

[1] محمد نصر عبدالرحمن: المرجع السابق ، ص 56 – 57 .

[2] ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص 67 .

[3] التاجر ، سليمان : أخبار الصين والهند ، نشر جان سوفاجيه (باريس ، 1948م) ، ص 12 .

لكن موته عجل بنهاية مملكته إذ استولى الراشتركوت على معظم أملاكهم ، وخبت قوتهم السياسية خلال تلك الحقبة ، لكـن أخـاه (فسـنوفاردهنا Visnuvardhana) استطاع أن يؤسس فرع لتلك الأسرة شرق الهند ، وقد تحدث ابنه رسته عن هـذا الفرع وأطلق عليهم اسم السلوقيين ، وذكر أن ملوك الراشتراكوت لا يتزوجون إلا منهم لشرفهم ، وأنهم في حالة عداء مع حكام قنوج[1].

وبجانب تلك القوى واجه الراشتراكوت ثلاث كيانات أخرى فـي أقصـى جنوب الهند ، الأولى (مملكة جيرا Chera) ، التي سيطرت على سواحل (مليبـار malybar) ، (ومملكة باندیا Pandya) التي بسطت سيطرتها على سـواحل الهنـد الجنوبية ومنطقة (كرومندل Cromandel) ، والثالثة (مملكة جـولا Chola )التـي دانت لها السواحل الجنوبية الشرقية للهند ، ويبدو أن تلك الممالك اعترفت بالنفوذ السياسية للراشتراكوت في المنطقة ، حتى أن (جوونـدا Govinda)أعظـم حكـام الراشتراكوت ، كان يوصف بأنه مرعب جيرا وباندیا وجولا[2].

وقد خلفه ابنه (أموغافاراشـا Amoghavarsha) (198-264هـ/814-878م) الذي جنى ثمار ما قام به والده ، فصار الحكام الهنود يجلونه " فإذا وردت رسله على سائر الملوك صلوا لرسله تعظيماً له" [3].

تلك كانت نظرة سريعة على خلفيات الواقع السياسي للممالك الهندية والتي بها تكمل تفاصيل الخارطة السياسية للهند ، ولاشك أن تعدد القوى السياسية فـي الهند ، وصراعاتها الداخلية ، وتجاوب تكوينها الداخلي مع قسـماتها الخارجيـة ، وتفاعلها مع الأحداث ، قد حدد بشكل كبير النسق العلائقي لها مع الدولة العباسية، كما ساهم في تحضين الكيان العربي في الهند لفترات طويلة ، حتى في لحظـات ضعفه .

وبوجه عام كانت العلاقة عدائية مع مملكة قنوج ، نظراً للتجاوز المباشـر في الشرق والجنوب ، ونظراً لسيطرتهم على كاثيوار معقل القراصنة ، والمصادر

---

[1] المسعودي : مروج الذهب 70/2 . كذلك محمد نصر عبدالرحمن : العلاقات السياسية ، ص 58 .

[2] سليمان التاجر : المرجع السابق ص 12 . كذلك خالد محمد القاسمي : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص 54 .

[3] سليمان التاجر : المرجع السابق ، ص 12 .

تصف حكام تلك المملكة بأنهم مبغضون للعرب ، وعلى العكس من ذلك كانت العلاقات مع ممالك الراشتراكوتين والبالاس وجيرا ، الذين تجمع المصادر على حبهما للعرب وعلاقتهم الطيبة بالمسلمين سواء من التجار المارين بمملكتهم أو المقيمين بها ، وكان ذلك راجعاً لاعتبارات اقتصادية ، أما مملكة كشمير فكانت العلاقات معها متأرجحة وفقاً للعلل التاريخية[1].

أما عن الأوضاع داخل السند نفسها ، فلاشك أن إعطاء صورة عن الوضع السياسي في الولاية خلال العصر العباسي يعد من الأمور الحذرة ، لأن ثمة عوامل عديدة مختلفة المصادر والأبعاد تتداخل باستمرار فيصعب معها إعطاء صورة تجسد الواقع ، وخصوصاً أن العامل الرئيسي في هذا السياق يتمثل في المحاولات العباسية المحمومة لبسط سيطرتهم على الولاية ، والنشاط السياسي يتمحور حولها مع ما يرافق ذلك من تطورات تبعاً لمصالح القوى السياسية على الساحتين الداخلية والخارجية .

ومن خلال العلاقة مع الولاية الإسلامية في السند ، كان دخول العباسين في صراعات متعددة أمراً لا مفر منه ، فالموقف في الولاية كان شديد الحساسية بعد أن وطد منصور بن جمهور أقدامه هناك ، كما كان عليهم أن يسعوا سعياً حثيثاً كي يوجدوا صيغة توفيقية ترأب الصدع الذي تفجر بين القبائل العربية التي استقرت هناك ، ذلك الصدع الذي أرق جفون الخلفاء العباسيين ، ليس في السند وحدها ولكن في مختلف أنحاء الدولة العباسية[2].

## ثالثاً : علاقة الخلفاء العباسيين مع الهند :

### أ- أبوجعفر المنصور :(136-158هـ/757-774م)

بعد انتقال العباسيين ومركز حكمهم إلى العراق ، تحول أيضاً مركز الإشراف على الجناح الشرقي للدولة من العراق إلى خراسان ، وهو أمر بقدر ما يحمل من دلالات سياسية واستراتيجية ، فإنه يحمل إرهاصاً للتوجهات المستقبلية

---

(1) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص 67 . كذلك سليمان التاجر : أخبار الصين والهند ، ص 13 .

(2) مؤلف مجهول : العيون والحدائق 182/3 . كذلك المسعودي : المصدر السابق 170/2 .

للعباسيين في المنطقة ، وتقديراً لجهود أبومسلم الخراساني في خدمة الدعوة العباسية قام أبو العباس السفاح بتوليته على خراسان ، ومضطلعاً بشئون القسم الشرقي من الدولة[1].

وكان من أولى مهام أبي مسلم استعادة أملاك الأمويين في هذا الجناح ، لذلك بادر بإرسال حملات مكثفة على بلاد ما وراء النهر التي انسلخت عن الدولة الأموية في أواخر سنينها ، كما ولي وجهة شطر السند في محاولة لاستعادتها وإخضاع ابن جمهور، لكن ذلك الامتثال لم يكن سهل المنال بعد أن وطد الأخير نفوذه هناك واستطاع بالفعل أن يتغلب على أولى الحملات التي أرسلها أبو مسلم ضده[2].

ورغم ذلك لم تلن عزيمة أبي مسلم ، فأتبعها بحملة أخرى بقيادة موسى بن كعب التميمي ، وكان الأخير أكثر مراساً وخبرةً لذلك لم يبادر بالمواجهة السريعة المباشرة مع ابن جمهور ، بل مكث غير بعيد لاستطلاع الأمور ، ثم اتجه لاستعمال الحيلة لقتال ابن جمهور ، ويبدو أنه حقق نجاحاً في ذلك ، إذ سرعان ما تحرك لقتال ابن جمهور ونجح في هزيمته ، واضطر الأخير للفرار ، لكن موسى سرعان ما أدركه وقتله[3].

بعد ذلك دخل موسى مدينة المنصورة عاصمة الولاية ، واتجه بعد ذلك إلى محاولة إثبات ذاته بمهاجمة بعض الممالك الهندية المجاورة لكنه لم يحقق نجاحات تذكر ، وإذا كانت سنوات العقد الأولى من حكم العباسيين للسند قد مرت هادئة ، فإن العقدين التاليين خلال حكم أبوجعفر المنصور (136-158هـ/753-775م) ، قد شهدا الكثير من الأحداث الساخنة على صعيد الوضع الداخلي في السند أو على صعيد العلاقات بين الطرفين[4].

وكانت بداية هذه الأحداث بعد أن ترك موسى الولاية ، وتولى مكانه ابنه عيينه عام (141هـ/758م) ، وخلال هذا العام زادت خطورة القراصنة الهنود في

---

(1) مؤلف مجهول : المصدر السابق 182/3 .

(2) البلاذري : فتوح البلدان ص 431 . كذلك نبيه عاقل : ملاحظات حول نمط الحكم في ولايات الثغوم ص 91-92 .

(3) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي 358/2 .

(4) البلاذري : المصدر السابق ، ص 431 .

المحيط الهندي ، وأعلنوا بوضوح عن قوتهم في مقابل القوة العباسية الجديدة ، واندلع الصدام بين الطرفين خلال رحلة تفقدية للأسطول العباسي الوليد ، حين اعترضت طريق الرحلة بعض سفن القراصنة عند المياه الفارسية الجنوبية ، وتحديداً عند جزيرة قيس[1]، ولقي الأسطول العباسي هزيمة مفاجئة أجبرته على الانسحاب والعودة لقواعده في البصرة ، بل وزاد الأمر سوءاً أن بعض السفن المعادية وقعت في قبضة القراصنة الهنود بالقرب من السواحل اليمنية خلال العام نفسه[2].

ولاشك أن لتلك الأحداث دلالات عديدة ، حيث أظهرت التفوق النسبي للقراصنة الهنود ، ليس على السواحل الهندية وحدها بل على السواحل الفارسية والعربية أيضاً ، وهو ما كان يعني تهديداً واضحاً للسيادة الإسلامية في المنطقة ، وكذلك اقتصاديات الدولة العباسية على المدى البعيد ، كما أوضحت تلك المواجهات أن الأسطول العباسي في مياه المحيط الهندي لم تكتمل قوته بعد ، ولا شك أن ذلك أمراً طبيعياً ، خاصة أن الدولة العباسية مازالت في طور النمو ، يضاف لذلك افتقار العباسيين للمراكز البحرية القريبة من الهند ، مثل البحرين وعمان اللذان سيطر عليهما الخوارج والشيعة ، مما جعل السيطرة العباسية عليهما متذبذبة ، وألغى أية محاولة لاستخدامهما بحرية مضادة لهؤلاء القراصنة ، وهكذا كانت قواعد الأسطول العباسي البحرية بعيدة مما أضعف من تحركاته[3].

وإذا ما تركنا مياه المحيط الهندي وتوغلنا داخل الولاية الإسلامية في السند، نجد أن النزاع القبلي بين العرب المستقرين هناك قد تفجرت أولى بوادره خلال عهد عيينه ، حيث ثارت القبائل اليمانية ضد الوالي الجديد ونهبوا بيت المال، وقد يبدو هذا التمرد للوهلة الأولى ذا أبعاد سياسية أو قبلية ، ولكن لو تأملنا العبارة التي رد بها المنصور على واليه " لو عدلت لم يشغبوا ، ولو وفيت لم ينهبوا " ، لأدركنا أنها تشي بأن الأوضاع الاقتصادية لليمانية قد حملت في رحمها بذور هذا التمرد[4].

---

(1) تقع هذه الجزيرة جنوب غرب الخليج العربي بالقرب من السواحل الإيرانية = محمد نصر عبدالرحمن : العلاقات السياسية ، ص 56 .

(2) ابن خياط : تاريخ ابن خياط 446/2 . كذلك الطبري : تاريخ الأمم 397/4 .

(3) سليمان الطاهر : المرجع السابق ، ص14 .

(4) ابن عبدربه : العقد الفريد 212/4 .

ولاشك أن لتلك الكلمات معنى واضح للسياسة التي اتبعها هذا الوالي ، والتي كانت قاسماً مشتركاً لمعظم الولاة العباسيين ، ليس في السند وحدها ولكن في معظم الولايات العباسية ، وهي الانحياز لإحدى القبائل على حساب الأخرى وفقاً لانتماء الوالي القبلي ، ويبدو أن عيينه انحاز للقيسية على حساب اليمانية ، وبسط لهم يديه كل البسط ، بل زاد على ذلك أنه اتبع سياسة قاسية ضدهم ، وقتل الكثير من عامتهم ، ولا غرابة إذاً أن يتمخض عن هذا كله تلك الثورة وهذا المسلك من جانب اليمانية والذي اتسم بالعنف[1].

ومن السهل إذاً والحال كانت كذلك أن نفهم قلق المنصور العميق إزاء تدهور الأوضاع في الولاية ، لذا نراه يختار والياً متميزاً لحكم الولاية وهو عمر ابن حفص[2]، ورغم ذلك لم يكن انتقال السلطة في الولاية إليه أمراً سهلاً ، حيث أبدى الوالي السابق بعض المقاومة خوفاً من التسليم والتعرض لبطش المنصور ، لكن مقاومته لم تلبث أن انهارت واستسلم لعمر الذي أرسله بدوره لمركز الخلافة، وأثناء تلك الرحلة حاول الفرار – أو هكذا سهل له مرافقوه من اليمانية – وكان من السهل عليهم بعد ذلك قتله أثناء محاولته الفرار انتقاماً لما فعله بهم[3].

ويبدو أن العلويين انتهزوا فرصة تذبذب الأوضاع في الولاية وبعدها عن السلطة المركزية العباسية،لذلك حاولوا مد نفوذهم هناك،وظهر ذلك إبان حركة محمد النفس الزكية،ويبدو أنه آنس من عمر ميلاً للعلويين خلال الفترة القصيرة التي اختبأ فيها في السند دون علم الأخير،لذلك بادر بإرسال ابنه عبدالله إلى الولاية،وقد أبحر الأخير مع رهط من أتباعه متخفين في زي تجار خيول،وهي التجارة التي كان لها سوق رائجة هناك،وكان يهدف من ذلك التخفي عن أعين العباسيين،فلما مثل عبدالله بين يدي عمر كشف النقاب عن شخصيته،ولم يخيب عمر رجائه حيث رحب به وأبدى استعداده لمناصرته،بل ودعا كبار حاشيته لمبايعة محمد ذو النفس الزكية ، واتخذ البياض شعاراً له، وتأهب للمروق على العباسيين[4].

---

(1) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص 372/2 .

(2) هو عمر بن حفص بن عثمان الأزدي ، الذي ينتهي نسبه للمهلب بن ابي صفرة ، وقد حمل لقب هزارمرد ، وهو لقب فارسي يعني ألف رجل ، دلالة على شجاعته = الطبري : المصدر السابق 361/4 .

(3) اليعقوبي : المصدر السابق 373/2 . كذلك الطبري : المصدر السابق 361/4 .

(4) الطبري : المصدر السابق 363/4 . كذلك سليمان التاجر : أخبار الصين والهند ، ص 15 .

لكن الرياح أتت بما لا تشتهيه سفن ابن حفص ، فقد تطايرت الأنباء بمقتل النفس الزكية ، وأصبح الموقف شديد الحساسية ، وصار التخلص من عبدالله أمراً لا شك فيه ، ولكن يبدو أن عمر ظل محتفظاً مع ذلك بتعاطفه مع العلويين ، لذلك اقترح على عبدالله أن يرسله ومن معه إلى أحد الحكام الهنادكة المجاورين ، الذي يرتبط معه بعلاقات طيبة ، والذي يحمل – رغم وثنيته – الكثير من الاحترام للمسلمين ، ولم يكن أمام عبدالله سوى قبول هذا العرض ، واتجه مع أتباعه إلى هذا الحاكم الذي أكرم وفادته[1].

وكان من الطبيعي أن تتسرب تلك الأخبار للمنصور ، الذي أرسل بدوره لعمر تفسيراً لما حدث ، وهنا أسقط في يد الأخير وخشى عاقبة غضب المنصور، لكن واحداً من شيعته تطوع بتحمل تبعات هذا الأمر برمته أمام المنصور، وجرى حمله لبغداد على وجه السرعة حيث ضربت عنقه على الفور[2]، ولا ينبغي أن ندهش من سلوك المنصور الذي يتفق مع سياسته المركزية الصارمة التي استهدفت التصدي لجموع الأعداء المتربصين بالدولة ، والتي جعلته لا تورع عن استخدام العنف في مواجهة خصومه .

أما عمر بن حفص فنظراً لما له من عصبية كبيرة في العراق ، وتبرئته من تهمة التشيع للعلويين ظاهرياً على الأقل ، فقد اكتفى المنصور بنقله للجناح الغربي من الدولة ، إذ عينه والياً على إفريقية عام (151هـ/768م) ، ويبدوا أن نقل عمر لم يكن لهذا السبب وحده حيث واصل مسلسل الفشل في التصدي لنشاط القراصنة ، ويذكر ابن خياط في حولياته أن هؤلاء القراصنة امتدت بهم الجرأة حتى أنهم هاجموا شواطئ البصرة ، بل أنهم توغلوا في نهر دجلة أكثر من مرة ، خاصةً في الثلاث سنوات الأخيرة من حكم عمر[3].

وفي نفس العام تولى حكم الولاية هشام بن عمر التغلبي ، وتعد فترة ولايته التي استمرت ست سنوات (151-157هـ/768-774م) ، من أهم فترات الحكم

---

(1) الطبري : تاريخ الأمم 33/8 -35 .

(2) ابن الأثير : الكامل 30/5-31 .

(3) ابن خياط : المصدر السابق 447/2 - 554 .

العباسي للسند ، وكان لزاماً عليه بعد توليه السلطة ، أن يحدد الهدف الذي يجب أن يبدأ به ، وبعد تطلعه وجد أنه لا يمكنه القضاء على النزاعات القبلية إلاّ بجهود متصلة لم يكن قد استعد لها بعد ، وفي نفس الوقت كان الأقرب للتصور أن تتشاحن اليمانية مع القيسية لمنع استقلال الأخيرة بالولاية ، كما أن مواجهة القراصنة تحتاج فترة طويلة وتجهيزات خاصة ، لذلك اعتبر أن التصدي لعبدالله والحاكم الهندي هو الأكثر إلحاحاً ، خاصةً أن تلك كانت رغبة ملحة للمنصور نفسه[1].

إن أول ما فعله هو مهاجمة المملكة التي التجأ إليها عبدالله بن محمد ، وذلك بعد أن ظفر بعبدالله وأتباعه أثناء تجواله على حدود مملكة كشمير ، ووفقاً لأوامر المنصور المشددة ، وفي هذا الغزو قتل حاكم المملكة[2]، وبعد أن فرغ هشام من هذه المهمة تفرغ لمهمة أخرى لا تقل عنها أهمية ، وهي مهاجمة تجمعات القراصنة الذين هددوا سواحل العراق والسفن الإسلامية في المحيط الهندي ، وكانت المعاقل الرئيسية لهؤلاء القراصنة تقع في سورشترا حول خليج كامبي ، ولما كان الطريق البري لتلك المناطق غايةً في الصعوبة ، قام بإرسال حملة بحرية إلى هناك ، وتحديداً نحو (ميناء ناربد Narbda)[3] ويبدو أن تلك الحملة قد حققت نجاحاً ملحوظاً ، وظهر ذلك في اختفاء نشاط القراصنة مؤقتاً [4].

بجانب ذلك شن هشام حملة أخرى ضد مدينة قندهار ، وتشدد في معاملة أهلها وحطم معبدهم الرئيسي وأقام بدلاً منه مسجداً[5].

وبعد هذه الجولات السريعة بين الشمال والجنوب ، تفرغ هشام بعدها للتصدي للقلاقل والاضطرابات التي أثارتها بعض القبائل العربية ، وكانت مدينة مولتان هي أولى المدن التي ظهرت بها تلك النزعة على يد قبيلة بن سامة ، التي

---

(1) ابن خياط : تاريخ ابن خياط 454/4 .

(2) الطبري : المصدر السابق 36/8 . كذلك ابن الأثير : المصدر السابق 31/5 .

(3) تقع هذه المدينة من الساحل الجنوبي الغربي لكجرات ، وتعرف الآن باسم بهاوبهوت Bharbhut – الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق 187/1 .

(4) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي 373/2 .

(5) البلاذري : فتوح البلدان ، ص 431 .

أعلنت استقلالها بالمدينة ، بل وخرج زعيمها في مظاهرة حربية للتصدي للوالي الجديد ، لكن الأخير تمكن من دحرهم ، واستعاد بذلك السيطرة العباسية على تلك المدينة الهامة ، ثم اتجه بعد ذلك لمدينة قنداييل ، التي شهدت هي الأخرى محاولة استقلالية من جانب بعض بقايا الأمويين ، واستطاع هشام أن يقضي على تلك المحاولة أيضاً[1]، وهكذا استطاع هشام أن يصل بالنفوذ الإسلامي لأول مرة داخل مملكة كشمير ، كما قضى مؤقتاً على نشاط القراصنة ، وأدت النزعات الاستقلالية من جانب العرب المقيمين في الولاية ، وكان من نتائج هذا النشاط أن وصفه اليعقوبي بقوله " قدم إلى المنصور بما لم يقدم به أحد من السند " [2].

**ب- المهدي وهارون الرشيد :(158-169هـ/774-785م)-(170-193هـ/786-808م)**

إن الاستقرار والنجاح الذي تحقق في علاقة الدولة العباسية بالولاية خلال عهد المنصور ، سرعان ما عصفت به رياح الاضطرابات خلال عهد المهدي (158-169هـ/775-785م) وظهر ذلك في كثرة الولاة المعينين هناك وقصر مدة ولايتهم ، حتى أن أحدهم لم يكمل في منصبه أكثر من عشرين يوماً[3]، مما يعطي صورة واضحة عن حقيقة الأوضاع هناك ، ولاشك أن مرجع ذلك إلى عدة عوامل داخلية وخارجية، فمركز الدولة العباسية نفسه كان يعاني من ازدياد في نفوذ الموالي وسيطرتهم على شئون الحكم، كما ظهرت حركات الزندقة كالمانوية، والمزدكية، مما مثل إحياء للنزعات الشعوبية ، والتي كان على الدولة العباسية مواجهتها بكثير من الحزم والشدة [4].

أما داخل الولاية فقد اندلعت ثورات قبائل الجث ضد الوالي الجديد رواحه بن حاتم ، ولا تعطينا المصادر أسباباً واضحة لتلك الثورة، لكن يمكننا أن نفترض

---

[1] البلاذري : فتوح البلدان ، ص 341 .

[2] اليعقوبي : المصدر السابق 373/2 .

[3] الطبري : المصدر السابق 140/8 .

[4] للوقوف على طبيعة هذه الحركات وجذورها ينظر : فتحي أبوسيف : الجذور الفكرية لحركة الشعوبية الإيرانية ، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط ، (القاهرة ، 1982م) 9 ص 20-32 .

أنها كانت بإيجاز من حاكم مملكة قنوج،أو من بعض القبائل العربية الطامحة إلى الاستقلال ، كما يظهر في الصورة أيضاً عامل هام وهو سوء الأوضاع الاجتماعية لهذه العناصر ، فمن المعروف أن محمد بن القاسم نقم على الوضع المتدني لهذه العناصر الذي كان سائداً قبل وصول المسلمين للمنطقة ، وعندما علم أن هذه العناصر كانت دائمي الشغب وتغلب عليهم نزعة التمرد ، مما جعله يبقى على هذا الوضع ، حتى سار على خطاه من تبعه من الولاة ، ولاشك أن تلك الأوضاع بجانب طبيعة تلك العناصر قد أدت إلى اندلاع تلك الثورات ، ويبدو أن رواحه بن حاتم لم يتمكن من التصدي بحزم لها مما أدى لعزله عام (160هـ/776م) ، وخلال العامين التاليين تعاقب على حكم الولاية خمسة ولاة[1]، وهو عدد كبير قياساً على قصر تلك الفترة ، ولاشك أن ذلك ترك أثراً واضحاً على استقرار الأمور هناك ، وكان مرجعه فشل هؤلاء الولاة في مواجهة تلك الثورة .

ويبدو أن القبائل العربية هناك استغلت تلك الظروف وتطلعت للاستقلال مما أدى لنشوب الصراع بينها من جديد ، ولاشك أن تداعيات هذه الأحداث جعلت الولاية في حاجة ماسة لشخصية قوية تعيد الأمور إلى نصابها ، لذلك اختار المهدي لهذه المهمة أحد أفضل قادته ، وهو الليث بن طريف[2] الذي تولى الحكم عام (164هـ/780م) ، واستمر في منصبه حتى وفاة المهدي ، وخلال تلك الفترة نجح في القضاء على تلك الاضطرابات باستخدام الوسائل السلمية تارةً مع القبائل العربية ، والعنف تارةً مع الجث حيث أوقع بهم مذبحة مروعة [3].

ويبدوا أن القراصنة قد واصلوا هجماتهم على السفن الإسلامية ، مما جعل المهدي يرسل حملة بحرية بقيادة عبدالملك المسمعي قائد الأسطول العباسي في المياه الشرقية ، وقد هاجمت تلك الحملة تجمعات القراصنة في سورشترا وتحديداً ناربد ، حيث حققت نجاحاً ملحوظاً ، لكن عبدالملك لم يكتب له أن يستمتع طويلاً

---

[1] الطبري : المصدر السابق 140/8 . كذلك ابن الأثير : المصدر السابق 60/5 .

[2] كان هو وأخيه المعلى من موالي الكوفة، ثم صار بعد ذلك من موالي المهدي وللمزيد ينظر عنه= الأصفهاني: الأغاني 220/8.

[3] اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي 398/2 .

بهذا النجاح ، إذ يبدو أنه لم يضع في حسبانه تقلب الظروف الجوية وأثر الرياح الموسمية العاتية ، مما أدى لغرق الكثير من سفن الحملة ، كما لقي الكثير من جنود الحملة حتفهم نتيجة تفشي وباء غريب بينهم[1].

ولم تكن تلك النهاية المفجعة هي خاتمة العلاقات العباسية بالهند خلال عهد المهدي إذ أن هناك ثمة إشارة عن وجود علاقات ودية بين المهدي وإحدى الممالك الهندية ، وتلك الإشارة نجدها لدى ابن الزبير في حديثه عن الهدية التي أرسلها هارون الرشيد للإمبراطور الكارولنجي شارلمان، إذ يذكر أن من بين محتويات تلك الهدية فيل هندي سبق أن أهداه أحد الملوك الهنود لوالده المهدي[2].

وتفصح تلك الإشارة عن وجود علاقات بين الدولة العباسية وتلك المملكة الهندية كان من ثمارها تلك الهدية للمهدي والتي شملت ذلك الفيل ، والأرجح أن تلك المملكة هي مملكة البالاس في البنغال ، إذ أن لتلك الهدية مثيلاتها في الفترات اللاحقة بين ملوك البالاس والخلفاء العباسيين ، وترمز تلك الهدايا على العلاقات الودية التي ربطت بين الطرفين، وعلى ذلك كان هذا الملك الهندي هو دهارمابالا.

أما عن عهد هارون الرشيد الذي جاوز العقدين من الزمان(170-193هـ/786-809م) ، يمكننا أن نرصد أربعة ظواهر هامة في العلاقات بين الدولة العباسية والهند ، والظاهرة الأولى هي ميل هارون الواضح نحو تطبيق اللامركزية في الحكم سواء في مركز الدولة نفسها أو في جناحيها الشرقي والغربي ويمكننا رصد تلك الظاهرة في مركز الخلافة فيما قام به الرشيد من تفويض أمور الدولة إلى يحيى بن برمك وأسرته عام (178هـ/794م) ، واستمرار هذه الأسرة بالاضطلاع بأمور الدولة طيلة تسع سنوات ، حتى وضع الرشيد نهاية أليمة لها عام (187هـ/802م) فيما عرف بنكبة البرامكة [3].

---

(1) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، تح : صلاح الدين المنجد ، (الكويت ، 1960م) 233/1 .

(2) ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص 44 .

(3) كان البرامكة موضع خلاف بين المؤرخين ، سواء في أصلهم الذي رجحت الآراء أنه بوذي ، أو الأسباب التي دفعت الرشيد لنكبتهم ، وللوقوف على تلك الآراء والأسباب ينظر ، عبدالمنعم ماجد : أضواء على البرامكة ونكبتهم ، المجلة التاريخية

بجانب ذلك أقدم الرشيد على خطوة غاية في الأهمية ، وهي تقسيم الكيان السياسي للدولة العباسية لكيانات إدارية ثلاث ، تولى إدارتها أبنائه الأمين والمأمون والمؤتمن عام (182هـ/798م) [1]، حيث عهد بالجناح الغربي للأول ، والجناح الشرقي للثاني ، والثغور للثالث ، ويبدو أن هذا التقسيم كان نظرياً على أرض الواقع ، حيث ظلت الأمور عملياً في أيدي البرامكة ، وبعد عامين من تلك الخطوة أتبعها بخطوة أخرى في الجناح الغربي من الدولة ، وكانت في الواقع خطوة اضطرارية على طريق سياسته اللامركزية ، وهي مباركة ميلاد إمارة الأغالبة ، واعتبارها ثغراً عباسياً لحماية هذا الجناح من الأعداء المتربصين به[2].

ولاشك أن ظاهرة اللامركزية قد ألقت بظلالها على الولاية العباسية في السند مثل غيرها من الولايات ، فإشراف البرامكة على أمور خراسان وما يتبعها من ولايات أدى لتردي الأوضاع هناك ، ورغم ما حققه الفضل البرمكي من نجاح في التصدي لمملكة كابل التي باتت تهدد النفوذ العباسي في السند ، واستيلاؤه على تلك المملكة عام (178هـ/794م) إلاّ أن اعتماده على أبناء أسرته من البرامكة في إدارة شئون الولايات ، أدى لتردي أوضاعها مع سوء سياسة هؤلاء الولاة ، وتظهر المصادر مدى حرصهم على جمع المال دون مراعاة شئون تلك الولايات[3]، ولم تكن السند بمنأى عن تلك الأوضاع ، إذ تولى حكمها بعض البرامكة الذين جعلوا جلّ همهم جمع الأموال للعودة بها بعد انتهاء مهامهم ، وكان لتلك السياسات المتردية أثرها في تجدد الاضطرابات في الولاية[4].

وأدت تلك الاضطرابات لتفاقم الظاهرة الثانية خلال عهد الرشيد ، وهي تفجر الصراع من جديد بين القيسية واليمنية ، هذا الصراع الذي صار قاسماً مشتركاً في معظم الولايات العباسية ، وساعد على اشتعال تلك الاضطرابات ما صك أسماع تلك القبائل عن الصراعات المماثلة ، التي انتشرت في أنحاء الدولة

---

المصرية (القاهرة ، 1973م) ص 99-118 . كذلك الهندي ، السيد محمد يوسف : العلاقات العلمية بين الهند والعرب ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول (الكويت ، 1950م) ، ص 103-109 .

[1] الطبري : تاريخ الأمم 182/8 .

[2] سليمان التاجر : أخبار الصين والهند ، ص12 .

[3] محمد نصر عبدالرحمن: العلاقات السياسية ، ص 61 .

[4] ابن نباته المصري : سرح العيون ص 254 . كذلك ابن خلكان : وفيات الأعيان 473/3 .

بصورة واسعة لم تحدث من قبل ، إذ اندلع الصراع بين القيسية واليمنية في الشام وامتدت منها إلى مصر ، ولم يكن من العسير أن تصل عدوى هذا الصراع إلى السند ، وكان للقيسية اليد العليا في هذا الصراع وإذ كانوا أكثر قوةً وأعز نفراً ، واستطاعوا أن يبسطوا سيطرتهم على معظم أنحاء الولاية [1].

ولا يخفى عليها ما رمى إليه هذا الصراع من دلالات سلطوية ، وهو أمر لم يغب عن ذهن السلطة الحاكمة ، التي بدا لها أن الأسلوب الوحيد الكفيل بالقضاء على هذه الأزمة هو اتباع سياسة فرق تسد ، لذلك قرر الرشيد توجيه قائد يماني على الولاية حتى يمكنه جمع اليمنية حوله لكسر شوكة القيسية ، وكان هذا القائد هو داود بن يزيد المهلبي[2]، الذي آثر ألا يغامر بالمواجهة المباشرة مع القيسية ، لذلك أرسل أخاه المغيرة أولاً لاستكشاف الأمور ، لكن القيسية سرعان ما فطنوا لذلك مما أثار حفيظتهم ، لذا قرروا طرد اليمنية من الولاية نهائياً [3].

ورغم ما توحي به تلك الأحداث من تعاظم نفوذ القيسية ، فإنهم لم يدخلوا في مواجهة مباشرة مع المغيرة ، واكتفوا بالتحصن خلف أسوار مدينة المنصور ، ورفضوا فتح أبوابها له إلا بعد أن يتعهد بالمساواة بين القبائل ، ويبدو أنهم جنحوا للسلم بعد أن شعروا بحرج موقفهم ، لكن المغيرة سرعان ما قلب لهم ظهره بعد أن دخل المدينة ، واتضحت نواياه في الإنحياز لبني جلدته ، وأعاد الأمور بذلك إلى نقطة البداية ، مما جعل القيسية يتكتلون ضده مرةً أخرى وطردوه من المدينة [4].

وما إن وصلت تلك الأخبار مسامع داود حتى أقبل في حشد لحصار المنصورة ، وبعد عدة أشهر استسلم له القيسية في المدينة ، وبعد أن نكل بهم اتجه نحو مولتان وبسط عليها سطوته ، وبذلك استقامت له الأمور[5]، ويبدو أن تلك السياسة العنيفة من جانبه قد جعلته مرهوب الجانب ، مما ساعد على سريان

---

(1) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي 409/2 .

(2) هو داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلبي ، وقد شغل قبل ذلك منصب والي إفريقية = ابن خلكان : وفيات الأعيان 326/6.

(3) البلاذري : فتوح البلدان ص 440 . كذلك ابن الأثير : الكامل في التاريخ 190/5 .

(4) البلاذري : المصدر السابق ص 441 . كذلك ابن الأثير : المصدر السابق 191/5.

(5) اليعقوبي : المصدر السابق 409/2 .

الهدوء في الولاية حتى نهاية عهد الرشيد ، وكان لهذا الهدوء أثره في تنمية موارد الولاية المالية ، وظهر ذلك في قائمة الجهشياري التي وضعها لخراج الدولة في عهد الرشيد ، والتي بلغ خراج السند 11 مليون ونصف المليون درهم ، وذلك غير الجانب العيني من الخراج[1].

والظاهرة الثالثة التي نلاحظها خلال عهد الرشيد أن الأسطول العباسي بدأ يسترد عافيته ، ويحقق السيادة في مياه المحيط الهندي ، ولاشك أن ذلك أمر بديهي مع سعي العباسيين للسيطرة على الطرق التجارية وحماية حدود الدولة ، وظهر هذا التفوق العباسي في اختفاء هجمات القراصنة ، ولا أدل على هذا النجاح من قول ابن خياط[2] " فوجه الرشيد يحيى بن سعد في ثلاثة عشر مركباً في بحر البصرة حتى بلغ عمان ولم يلق كيداً " ، ويوضح النص السابق اختفاء القراصنة من الخليج ، بجانب ذلك تعدى الأسطول مرحلة الدفاع عن شواطئ الدولة إلى الهجوم الفعال على معاقل القراصنة في الهند ، وظهرت باكورة تلك الحملات عام (174هـ/790م) ، حيث خرجت حملة كبيرة نحو تجمعات القراصنة في سورشترا ، ورغم أنها لم تكن أولى الحملات العباسية ضد تلك المنطقة ، فإنها كانت أضخمها وأبعدها تأثيراً ثم تبعتها حملات أخرى ناجحة ، تمثلت حوليات ابن خياط بأخبار الحملات وأعداد سفن القراصنة التي تم أسرها خلال تلك الفترة [3].

والظاهرة الرابعة والأخيرة في عهد الرشيد في استمرار العلاقات الودية بين الدولة العباسية ومملكة البنغال ، من خلال السفارة التي أرسلها دهارمابلا للرشيد مع العديد من الهدايا الفخمة ، ورد الرشيد عليها بالكثير من الهدايا[4]، وتمثل تلك السفارة استمراراً للعلاقات التي ذكرناها آنفاً [5].

**جـ- عبدالله المأمون :(198-218هـ/813-833م)**

---

[1] الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص 282 .

[2] ابن خياط : المصدر السابق 480/2 .

[3] المصدر نفسه 483/2 .

[4] للمزيد من التفاصيل عن تلك السفارة ينظر ، ابن الزبير: الذخائر والتحف ، ص 20-21 .

[5] سليمان التاجر : المرجع السابق ، ص 16 .

رغم أن موت الرشيد أدى إلى اندلاع الصراع بين ابنيه الأمين والمأمون ، والذي استمر قرابة خمس سنوات وألقى بظلاله على الولايات العباسية ، إلا أن الأوضاع ظلت هادئة في السند بفضل قوة داود ، وبنهاية هذا الصراع استقر المأمون على كرسي الخلافة (198-218هـ/813-833م) ، وسار المأمون على نهج أبيه في نزعته اللامركزية ، إذ أسند ولاية الجانب الشرقي من دولته لأبرز قادته طاهر بن الحسين ، الذي أسس أسرة انضوت بخدماتها تحت لواء الدولة العباسية ما يزيد على نصف قرن (205-259هـ/821-872م) [1].

ولم يأت هذا الاختيار من فراغ ، فهو أولاً ترضية لطاهر على ما بذله من جهود في خدمة المأمون إبان نزاعه مع الأمين ، وثانياً لحاجة الجناح الشرقي من الدولة لسلطة قوية تحكمها في ظل الخلافة ، ورغم الدور الكبير الذي اضطلع به الطاهريون في المشرق الإسلامي ، فإن المصادر التاريخية تخلو من أية إشارة عن علاقتهم بالسند ، وحتى مرسوم التولية الصادر من المأمون لطاهر بولايات الشرق يخلو من ذكر السند ، كما أن قائمة خراج الدولة العباسية التي وردت لدى ابن خرداذبة ، لم يأت بها ذكر السند ضمن المناطق التي أنيط بعبدالله بن طاهر جمع خراجها ، والتحليل المقبول لذلك هو كثرة أعباء الطاهريين الذين واجهوا الكثير من الثورات والفتن التي اندلعت في المشرق ، وبالتالي كان توجههم الأول نحو الولايات الفارسية ، إذ كان من المرهق لهم توجيه جانب من قوتهم إلى ميدان آخر مثل السند[2].

وخلال الفترة التي تولى فيها طاهر توفي داود حاملاً معه عوامل الاستقرار في الولاية ، إذ خلفه ابنه بشر الذي كان على النقيض من أبيه ، ونزع للتمرد على المأمون وامتنع عن إرسال خراج الولاية ، وكان من الطبيعي أن يعزله المأمون ، لكن بشر لم يأبه بذلك ، بل وأجبر الوالي الجديد على الانسحاب نحو ولاية كرمان[3]، ولاشك أن المأمون قد أصابه القلق من هذا التمرد لذلك استشار حاشيته

---

[1] أبوسيف، فتحي : المشرق الإسلامي بين التبعية والاستقلال ، (القاهرة،1992م) ص75 . كذلك سليمان الطاهر : المرجع السابق، ص 16 .

[2] ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص 35 .

[3] ابن الأثير : الكامل 215/5 .

فيمن يصلح لتأديب بشر ، فأشاروا عليه بالاستعانة بغسان بن عباد مع بعض التحفظ ، إذ سبق للمأمون أن عزله من ولاية خراسان عام (205هـ/820م) لشكه في إخلاصه ، ويبدو أن المأمون لم يجد مفراً من الاستعانة به ، لعلمه أن غسان من نفس عشيرة بشر ، وأن له تأثير قوي عليه ، لكنه مع ذلك اتخذ إجراءات وقائية تحسباً لأي تجاوز من غسان ، حيث أرسل معه أخيه محمد بن عباد ، وكان من كبار رجال البصرة وقتذاك ومن المقربين للمأمون ، وكانت مهمة الأخير إلزام أخاه غسان بعد استرداد الولاية ، أن يجعل حكمها لموسى البرمكي[1].

وبالفعل نجحت مساعي المأمون ، حيث استسلم بشر لغسان دون مقاومة ، وتولي أمور الولاية لموسى[2]، ولا ينبغي أن ندهش للأسلوب الذي اتبعه المأمون في معالجة تلك الأزمة ، إذ يبدو أن المأمون لم يشأ أن يؤذي بشر إكراماً لذكرى والده ، ولما تمتع به الأخير من عصبية في العراق ، أما اتجاه المأمون لأحد أفراد أسرة البرامكة بعد أن عزلهم أبيه عن أمور السلطة ، فنجد له تبريراً فيما ذكره ابن خلكان عن إعجاب المأمون بالكفاءة الإدارية لأسرة البرامكة[3].

وهكذا فإن الأحوال في الولاية خلال عهد المأمون – باستثناء تمرد بشر – مرت هادئة، ولم تكن هناك ظواهر هامة سوى ما ذكره البلاذري بشأن قيام إمارة إسلامية في شمال كجرات، وترتبط تلك الإمارة بصورة غير مباشرة بقبيلة بني سامة التي حملت تطلعات دائمة للاستقلال عن الدولة العباسية، ولم يكن مؤسس هذه الإمارة أحد من أفراد تلك الأسرة،بل أحد مواليها ويدعى الفضل بن ماهان[4].

ويبدو أن الفضل تخلى عن أحلام أسرة بني سامة بالاستقلال بمدينة مولتان، واتجه مع بعض أتباعه جنوباً نحو شمال كجرات وتحديداً نحو منطقة سندان في سورشترا[5]، وتمكن من فتحها وأسس بها إمارة مستقلة ، وقد يبدو من الغريب أن يتجه لتلك المنطقة الخطرة التي اشتهرت كمرتع للقراصنة ، وربما كان ذلك رغبةً منه في الحصول على اعتراف العباسيين به كثغر جديد ضد هؤلاء

---

(1) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي 458/2 .

(2) البلاذري : فتوح البلدان ، ص 432 .

(3) ابن خلكان : وفيات الأعيان 222/6 .

(4) البلاذري : المصدر السابق ، ص 432 – 433 .

(5) وهي الآن بلدة ساحلية بالقرب من بومباي وللمزيد عنها ينظر : الإدريسي : نزهة المشتاق 182/1 .

القراصنة ، أو ربما آثر الابتعاد عن السند حتى لا يدخل في صراع ضد الـوالي العباسي أو قبيلة بني سامة .

وبعد أن وطرد الفضل نفوذه في سندان ، حرص على وجود صلات طيبة مع المأمون فبادر بإرسال الهدايا له، وجعل الخطبة له في المسجد الذي بناه هناك، وتبدو هنا بوضوح نوايا الفضل في التقرب للعباسيين ، حتى يحصل على اعتراف رسمي بإمارته ويكسبها الشرعية ، ولا يوضح البلاذري هنا موقف المأمون مـن تلك الإمارة ، والمرجح أن الأخير رحب بقيام تلك الإمارة ، لاسيما أنهـا كانـت خارج إطار نفوذه ، ولعلها تحد من نشاط القراصنة هناك[1].

وخلال عهد المأمون استمرت العلاقات بين الدولة العباسية وممكلة البنغال، إذ قام حاكم البنغال بإرسال رسالة مطولة مع هدية فخمة إلى المأمون ، ومن حسن الحظ أن بعض المصادر حفظت لنا نص تلك الرسالة ورد المأمون عليها ، وتبـدأ الرسالة بكلمات الفخر من دهمي حاكم البنغال عن نفسه وثم اتجه لإطراء المأمون وبيان شرفه ، ثم يوضح بعد ذلك سبب تلك الرسالة ، وهو ما تنامى إليه من حب المأمون للعلم وتوافق تلك الصفة مع ميول دهمي و لذلك أرسل مع الرسالة واحداً من أهم كتب الهند بجانب بعض الكتب الثمينة الأخرى ، وتفصح لغة الرسالة عن مدى تقدير دهمي للمأمون ، وحرصه على استمرار الصلات الودية بين الطرفين، وعلى الجانب الآخر رد المأمون عليه برسالة أعرب فيها عن سروره من رسـالة دهمي ، كما أرسل له كتاباً عربياً مع بعض الهدايا الثمينة[2].

ومن السهل علينا تحديد هوية الحاكم الذي تطلق عليه المصادر اسم دهمي، وقد رأي أحد الباحثين[3] أن دهمي هو دهارمابلا ، وأن تاريخ الرسالة يعود لعـام (198هـ/813م) وأنه أرسل تلك الرسالة فور اعتلائه عرش المملكة ، والجـزء

---

(1) سليمان التاجر : المرجع السابق ، ص 18-19 .

(2) ابن الزبير : الذخائر والتحف ص 21 – 32 . كذلك ابن دحية : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، ص 50 .

(3) عـن هـذا الـرأي ينظـر Dunlop,M., "Adiplomatic Exchange between al-mamun and Indian king", in medieval and middle Eastern studern in Honor of Aziz suryal Atiya. (London,1972),pp.143. نقلاً عن النجرامي ، محمد يوسف: العلاقات السياسية والاقتصادية بين الهند والخلافة العباسية ، كلية دار العلـوم (القـاهرة ، 1975م) ، ص 76 .

الثاني من افتراضه يهدم هذا الافتراض من أساسه ، لأن دهارمابالا تـوفي عـام (194هـ/810م) ، وبالتالي لا يمكن أن يكون قد أرسل تلك الرسالة .

والواقع أن المصادر لم تقصد هنا بدهمي اسم الحاكم ، وإنما اللقـب العـام الذي كان يطلق على حكام تلك المملكة ، ويؤكد ذلك أن هذا الاسم تكرر في العديد من المصادر بأشكال مختلفة ، وفترات زمنية مختلفة ، إذ ذكـره كـل مـن ابـن خرداذبة ، وابن الفقيه[1]، وغيرهم ، أما الحاكم المقصود هنا فهـو ديفابـالا ابـن دهارمابالا .

وفي نفس الإطار يتحدث ابن الزبير عن هدية أحد الملوك الهند للحسن بـن سهل[2]، بمناسبة زواج ابنته بوران من المأمون عام (210هـ/824)[3]، ومـن الواضح هنا أن هذا الملك هو ديفابالا أيضاً ، نظراً للصلات الطيبة التي تربطـه بالمأمون ، وهو يقصد من ذلك بالطبع مجاملة الحسن بوصـفه وزيـر المـأمون وصهره في إطار العلاقات الطيبة بين الجانبين ، وهكذا فإن العلاقات بين الدولـة العباسية والهند خلال عهد المأمون كانت متميزة ، سواء في استقرار الأوضاع في السند ، أو في العلاقات الودية مع مملكة البنغال ، بجانب ولاء الإمارة الماهانيـة في سندان .

**د- أبـو إسحاق المعتصم والواثـق بالله (218-227هـ/833-841م)(227-232هـ/841-846م)**

خلال عهد المعتصم (218-227هـ/833-841م) ، لـم تتغيـر طبيعـة القلاقل التي ثارت ضد الولاة العباسيين ، إذ تجدد الصراع القبلـي بـين القيسـية واليمنية ، كما ثارت قبائل الجث ثورة شاملة ليس في السند وحدها ، بل في مركز الدولة نفسها، وكانت عناصر الجث الذين استوطنوا أطراف العراق ، قد ضـجوا عن التدهورات التي لحقت بمصالحهم ، لذا قاموا بثورة كبيرة ضد الدولة العباسية

---

[1] ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص 65 .

[2] هو أبو محمد الحسن بن سهل عبدالله السرخسي ، وقد تولى الوزارة للمأمون بعد أبيه الفضل - ابن خلكان : وفيـات الأعيـان 120/2.

[3] ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص 32 .

عام (219هـ/834م) [1]، ويبدو أن أخبار تلك الثورة قد تطايرت لنظرائهم في السند ، مما حفزهم للقيام بثورة مماثلة ضد الوالي العباسي هناك ، وكان على الولاية في ذلك الوقت عمران بن موسى البرمكي الذي خلف أباه عام (221هـ/835م) ، واستهل عمران عهده بحملة شاملة ضد عنصري الميد والجث[2]، حيث أوقع بالعنصر الأول مذبحة مروعة لا تخفى دوافعها ، وقد تزامنت تلك المذبحة مع الحملة الناجحة التي قام بها الأسطول العباسي على المعاقل البحرية للقراصنة الميد، ويظهر هنا التنسيق بين السلطة العباسية المركزية والسلطة المحلية في السند من أجل توجيه ضربة قاصمة لهذا العنصر[3].

واتجه عمران بعد ذلك للجث ، حيث قتل عدد كبير منهم ، ثم دعا من تبقى منهم وختم أيدهم وجمع منهم الجزية ، وقام ببناء مدينة سماها البيضاء بالقرب من قندابيل[4]، وجعلها ثغراً عسكرياً للمسلمين في تلك المنطقة ، وكان عمران يهدف من ذلك تحقيق هدفين ، الأول أن يصبح له ثغر عسكري بالقرب من معاقل الجث، حتى يضمن مراقبتهم ويحد من نشاطهم ، مما يضمن تقليم أظافرهم باستمرار ، والثاني مواجهة المحاولات الاستقلالية من جانب بعض القبائل العربية القابعة في قندابيل ، والتي كان آخرها في عهد عمران نفسه ، وخلال تلك الفترة أيضاً طفت على الساحة من جديد الخلافات بين القيسية واليمنية وتزعم الأولى عمر بن عبدالعزيز الهباري ، وكعادة الولاة العباسيين انحاز عمران لليمنية ، لكنه سرعان ما هزم أمام عمر ولقي حتفه عام (227هـ/842م) [5].

وهكذا في تقييمنا للعلاقات بين العباسيين والهند خلال عهد المعتصم ، لا نرصد جديداً في الأوضاع الداخلية في السند ، فالنزاع القبلي وثورات الهنود باتت سمة أساسية من سمات السند خلال العصر العباسي ، والجديد الذي يمكنني رصده يتعلق بالسياسة العامة للمعتصم والتي رمت للاعتماد على العنصر التركي ،

---

[1] البلاذري : فتوح البلدان ، ص 432 .

[2] البلاذري : المصدر السابق ، ص 432 .

[3] محمد نصر عبدالرحمن: العلاقات السياسية ، ص 70 .

[4] البلاذري : المصدر السابق ، ص 432 .

[5] اليعقوبي : المصدر السابق 479/2 .

ودفعه للصفوف الأمامية خاصةً في النواحي العسكرية ، وظهر ذلك في قيامه بتولية قائده الأشهر الأفشين على بعض الولايات الشرقية ومنها السند ، بعد نجاحه في القضاء على بابك الخرمي[1]، وإن كانت عملياً ولاية اسمية ، إذ ظل الأفشين في مركز الدولة ، كما ظل عمران في حكم الولاية .

وخلال عهد المعتصم يمكنني أن أرصد أيضاً استمرار العلاقة بين الدولة العباسية والإمارة الماهانية في سندان، حيث خلف محمد بن ماهان أخاه الفضل في حكم الإمارة ، وبلغ من قوته أنه قام بحملة بحرية شملت سبعين سفينة ضد المناطق المجاورة في سورشترا وحقق نجاحاً كبيراً، لكنه لم يكتب له الاستمتاع كثيراً بعد الانتصار ، ففي طريق العودة علم أن أخيه ماهان انقلب عليه واستولى على الإمارة ، ويبدو أن الراشتراكوتيين كانوا على علاقة طيبة مع محمد ، لذلك قاموا بمهاجمة ماهان وقتلوه وانتزعوا منه الإمارة [2].

وفي مداخلات سقوط تلك الإمارة يبدو بجلاء موقف الراشتراكوتيين من الدولة العباسية ، فمع حرصهم الشديد على التقرب للمسلمين على المستوى الشعبي خاصة للتجار بما أسبغوه عليهم من امتيازات ، وما ظهر من سلوكهم مع بقايا المسلمين في سندان بعد سقوط الإمارة الماهانية ، إذ تركوا المسجد الجامع الذي أقامه الماهانيون ، كما سمحوا لهم بالدعاء فيه للخليفة العباسي ، ورغم ذلك لم تصلنا أية مراسلات ودية على المستوى الرسمي ، كما حدث مع مملكة البنغال[3].

وقبل أن نطوي صفحة العلاقات العباسية الهندية خلال عهد المعتصم ، يجدر بنا أن نقف عند ما ذكره البلاذري بشأن ما قام به موسى البرمكي من أسر باله ملك الشرقي وقتله ، والشرقي هنا كلمة غامضة تحتمل أكثر من تأويل ، فقد تكون إشارة إلى مملكة البنغال أو مملكة قنوج ، والإشارة الأولى تبدو ضعيفة نظراً للصلات الطيبة بين العباسيين وتلك المملكة ، كما أن تلك الفترة تعاصر

---

(1) الطبري : تاريخ الأمم 55/9 .

(2) البلاذري : فتوح البلدان ص 432 ، وقد رأي أحد الباحثين – إستناداً لنص البلاذري – أن تلك الحملة كانت بأمر من المأمون ، رغم أن البلاذري لم يذكر ذلك – غزالي ، نصار فهمي : الإمارات العربية بالهند ، مجلة كلية الآداب – جامعة المنيا (المنيا، 1998م) ، ص 276 .

(3) سليمان التاجر : أخبار الصين والهند ، ص 19 .

الملك ديفابالا الذي ارتبط بعلاقات طيبة مع المأمون ، كما لم يثبت أن ديفابالا قد قتل على يد المسلمين ، ورغم أنه لم تصلنا أخبار عن اتصالات له مع المعتصم ، إلا أن ذلك لا يعني وجود شوائب في تلك العلاقات [1].

أما الإشارة الثانية لمملكة قنوج فتبدو ضعيفة هي الأخرى ، فالملك المعاصر للأحداث هو (بهاجا Bhoja )[2]، والذي عاش فترة كبيرة بعد تلك الأحداث مما ينفي مقولة البلاذري ، والرأي الأرجح هنا أن البلاذري كان يقصد أحد ملوك (أسرة الشالوكياس Chalukyas )، الذين أطاحوا الممالك الهندية ، ووضعوا لأنفسهم موطئ قدم في المناطق الشرقية بعض الأحيان [3].

أما في عهد الواثق (227-232هـ/842-847م) ، ظهر أثر الأوضاع الداخلية في مركز الدولة على علاقتها بالولايات العباسية إذ زاد نفوذ الأتراك بصورة واضحة ، وظهر ذلك في تولية الواثق قائده أشناس على الجناح الغربي من الدولة ، كما أصدر مرسوم بولايات الجناح الشرقي ومنها السند لكبير الدولة ومقدم جيوشه إيتاخ التركي ، وكعادة القادة الأتراك في البقاء بمركز الدولة وإرسال من ينوب عنهم في الولايات التابعة لهم ، أرسل إيتاخ إلى السند عنبسة بن إسحاق ، واستطاع الأخير أن يعيد الاستقرار للولاية ، بعد أن قضى على تمرد القيسية وأخضع زعيمهم الهباري[4]، وخلال تلك الفترة أيضاً ، وتحديداً عام (230هـ/845م) قام الأسطول العباسي بحملة كبيرة على سورشترا ، حيث هاجمت سفنه سواحلها وأحرقت بعض قراها[5]، ويبدو أن الغرض من تلك الحملة كان تأديب القراصنة وردعهم .

وبانتهاء تلك الحملة طويت الصفحة الأخيرة في العلاقات بين الدولة العباسية والهند خلال العصر العباسي الأول .

---

[1] البلاذري : المصدر السابق ، ص 432 .

[2] يعد المؤسس الحقيقي لإمبراطورية البراتهاريين = محمد نصر عبدالرحمن: العلاقات السياسية ، ص 75 .

[3] البلاذري: المصدر السابق ، ص 432 .

[4] اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي 479/2 .

[5] ابن خياط : تاريخ ابن خياط 500/2 .

# الخاتمة

من خلال هذا البحث رأينا كيفية الأوضاع التي كانت عليها الدولة الأموية، حيث تعرضت لاضطرابات متعددة ومتنوعة ، تفجرت وتمثلت في الثورات التي احتوت العناصر العربية والعجمية على السواء ، وذلك نتيجة سياسة الأمويين في الإدارة ، وكذلك الإهمال سواءً كان على الصعيد الديني أم على الصعيد المادي ، مما أتاح هذا المناخ الممتلئ بالفتن والاضطرابات فرصة لغير الأمويين للقيام بدولة جديدة جاء نتيجة لهذه الأوضاع ، حتى أصبحت فكرة قيام خلافة إسلامية غير مقصورة على فئة واحدة وإنما شملت معظم فئات الدولة ، هذه الفكرة قد تمثلت في أبناء العباس بن عبدالمطلب الذين جاهدوا للنيل من خلافة الأمويين وإسقاطها ، ونتيجةً لذلك أعد لها بالتخطيط والتنظيم الجيد الذي أكسبهم التمسك بزمام السلطة وتوليها عبر فترة من الأحداث مضت بالإعداد السليم بالسرية أولاً وبالجهر ثانياً ، حتى تمكنوا من إسقاط آخر خلفاء الدولة الأموية ألا وهو مروان بن محمد الذي انتهى مصيره بالقتل وتولي زمام الدولة الجديدة أول خليفة عباسي أبوالعباس عبد الله .

ومن خلال هذه الدراسة توصلت إلى النتائج التالية :-

أولاً: أوضحت الدراسة الكيفية التي تعاملت بها الدولة العباسية مع الدولة الأخرى والتي شملت الدولة البيزنطية والدولة الفرنجية والدولة الأموية في الأندلس ، وأيضاً الدولة الهندية ، وركزت الدراسة على طرق هذه المعاملات والتي تمثلت في السفارات الشخصية المتبادلة بين الدولة العباسية وبين تلك الدول، كما تم التعرف على طبيعة هذه السفارات وما خلفتها من نتائج .

ثانياً: احتوت الدراسة على عدد من نسخ المراسلات والاتفاقيات التي تمت بين بعض الدولة ، ثم ركزت الدراسة على أسباب هذه المراسلات وما احتوته من اتفاقيات كانت سبباً في إنهاء حالة الحرب وفك الأسرى ، وكيف أن بعض الدول ذات العلاقة لم تكن تحافظ على هذه الاتفاقيات مما سبب في نقضها وفشلها.

ثالثاً : استعرضت الدراسة بعض الهدايا التي تبودلت بين هذه الدول ، وما احتوته هذه الهدايا من قيمة مادية والتي تدل بوضوح على قيمتها الفنية الرفيعة التي تناسب مقام الملوك ومتطلبات بلاطاتهم ، كما تدل على ما بلغه المشرق الإسلامي في العهد العباسي من شأن بعيد في التقدم الحضاري ، وما كان يقدمه إلى الأسواق العالمية من منتجات وصناعات راقية تهاداها الخلفاء والأباطرة ، أو حرصوا على اقتنائها بطريقة من الطرق لنفاستها وإعجابهم بها ، والتي تعرض بعض المتاحف والأديرة الأوروبية في أمنا تحفاً تذكر أنها كانت ضمن هدايا هارون الرشيد إلى الإمبراطور شارلمان .

رابعاً : أوضحت الدراسة أهداف الدول التي كانت تسعى إلى إقامة علاقات مع الدولة العباسية من خلال عقد محالفات ترمي إلى وقوف دولة ضد دولة أخرى كما تناولته المصادر الأجنبية عن قيام تحالف بين هارون الرشيد وشارلمان يرمي إلى وقوف شارلمان ضد الدولة الأموية في الأندلس ، ووقوف الرشيد ضد الدولة البيزنطية بحكم عداء كل من الفرنجة والعباسيين للأمويين والبيزنطيين معاً ، واتضح من خلال الدراسة أن هذه الأهداف كانت من نسج خيال المصادر الأجنبية إذ لا يعدو أن يكون مجرد تقارب محدود بين دولتي العباسيين والفرنجة مقصوراً على المجاملة وتبادل الهدايا من قبيل ما جرى بين الخلفاء الأوائل والأباطرة البيزنطيين أو ملوك الهند .

أخيراً فإن هذه الدراسة ورغم أنها حاولت أن تغطي جانب من جوانب التاريخ السياسي للدولة العباسية في عصرها الأول ، إلاّ أنها مازالت تحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة والاهتمام بالتاريخ السياسي الإسلامي ، وإبراز مدى التطور الذي وصل إليه المسلمين من طرق التعامل في ذلك الوقت .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

الباحث

# المصادر والمراجع

## أولاً : المصادر


1- القرآن الكريم ، مصحف الجماهيرية ، برواية قالون عن نـــافع ، جمعيـــة الدعوة الإسلامية (طرابلس ، د.ت) .

ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي (ت 630هـــ/1232م)

2- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : علي محمد معوض وآخـــرون ، دار الكتب العلمية ، ط3 (بيروت ، 2003م) .

3- الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، ط3 (بيروت ، 1980م) .

ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد (ت 456هـــ/1063م)

4- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، سلسلة ذخـــائر العرب (2) ، دار المعارف ، ط4 (القاهرة ، 1997م) .

5- علم الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة ، تحقيق : أحمـــد حجـــازي ، المكتب التجاري (د.م ، د.ت) .

6- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، دار صادر (بيروت ، 317م)

ابن حوقل ، أبوالقاسم محمد بن حوقل النصيبي (ت 367هـــ/977م)

7- صورة الأرض ، مكتبة الحياة (بيروت ، د.ت) .

ابن خرداذبة ، عبدالله بن أحمد عبدالله (ت 280هـــ/893م)

8- المسالك والممالك ، نشر : دي غويه ، بريل (ليدن ، 1989م) .

ابن خلدون ، أبوزيد عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـــ/ 1405م)

9- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر من عاصـرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، ط3 (بيروت ، 1967م) .

10- المقدمة ، تحقيق : أحمد الزغبي ، دار الأرقم (بيروت ، 2001م) .

ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد (ت 681هـــ/1282م)

11- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صـــادر (بيروت ، 1968م) .

ابن خياط ، أبوعمرو وخليفة العصفري (ت 240هـ/851م)
12- تاريخ ابن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء ، مطبعة الآداب في النجف (بغداد، 1967م) .
ابن دحية ، عمر بن الحسن بن علي الكلبي (ت 633هـ/1535)
13- النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، تحقيق : مديحة الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية (بورسعيد ، 2001م) .
ابن دقمان ، إبراهيم بن محمد المصري (ت 809هـ/1406م)
14- الجوهر الثمين في سير الحكام والسلاطين ، تحقيق : محمد كمال الدين ، دار عالم الكتب (بيروت ، 1985م) .
ابن الزبير ، القاضي الرشيد ، من أهل القرن الخامس الهجري .
15- الذخائر والتحف ، تحقيق : محمد حميد الله (الكويت ، 1959م) .
ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع (ت230هـ/844م)
16- الطبقات الكبرى ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط2 (بيروت ، 1997م) .
ابن الطقطقي ، محمد بن علي (705هـ/1305م)
17-الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ،دار صادر(بيروت،د ت).
ابن عبدربه ، شهاب الدين أحمد (327هـ/939م)
18- العقد الفريد ، تحقيق : أحمد أمين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط2 (القاهرة ، 1967م) .
ابن عذاري المراكشي ، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً عام 712هـ/1312م)
19- البيان المغرب في تاريخ المغرب والأندلس ، تحقيق :جي. سي كولان وبروفنسال ، دار الثقافة ، (بيروت ، 1948م) .

ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبدالحي (ت 1089هـ/1678م).
20- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري للطباعة (بيروت ، 1984م) .
ابن الفرّاء ، أبو علي الحسين بن محمد ، من أهل القرن الخامس الهجري .
21- رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة ، تحقيق : صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد ، ط2 (بيروت ، 1972م) .
ابن الفرّاء ، أبو يعلي محمد بن الحسين (ت 1065/458م)
22- الأحكام السلطانية ، ط3 ، (أندونيسيا ، 1974م)
ابن الفقيه ، أبوبكر أحمد بن محمد (ت نهاية القرن 3هـ/10م)
23- مختصر كتاب البلدان ، نشر دي غويه (ليدن ، 1885م) .
ابن قتيبه الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت 276هـ/889م)
24- الإمامة والسياسة ، المكتبة التجارية الكبرى (القاهرة ، د- ت) .
ابن كثير ، أبوالفداء عماد الدين إسماعيل (ت 774هـ/1372م)
25- البداية والنهاية في التاريخ ، دار المعارف (بيروت ، د - ت) .
26- تفسير القرآن الكريم ، تحقيق: حامد أحمد الطاهر ، دار الفجر للتراث (القاهرة ، 2002م) .
27- المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفة (بيروت ، د.ت) .
ابن منظور ، أبوالفضل جمال الدين بن محمد (ت 711هـ/1311م)
28- لسان العرب ، تحقيق : عبدالله العلايلي ، دار لسان العرب (بيروت ، 1988م).
ابن نباته المصري ، جمال الدين (ت 768هـ/1366م)
29- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي (القاهرة ، 1964م) .
ابن النديم ، أبوالفرج محمد بن إسحاق (ت 383هـ/993م)
30- الفهرست ، تحقيق : رضا حداد ، (بيروت ، 1978م)

أبوالحسن الشيباني ، محمد
31- شرح كتاب السير الكبير ، تحقيق : محمد عز الدين ، دار النهضة العربية (القاهرة ، 1986م) .
أبو حيان التوحيدي ، علي بن محمد (ت 414هـ/1023م) .
32- البصائر والذخائر ، تحقيق : إبراهيم الكيلاني ، مطبعة الإنشاء (دمشق ، 1964م) .
الإدريسي ، أبوعبدالله محمد (ت ق 548هـ/1153م)
33- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، (القاهرة ، 1996م) .
الأربلي ، عبدالرحمن سنط قنيتو (ت 385هـ/995م) .
34- خلاصة الذهب المسبوك ، تحقيق : مكي السيد جاسم ، مكتبة المثنى (بغداد، 1984م) .
الأزدي ، أبوزكريا يزيد بن محمد (ت 334هـ/945م).
35- تاريخ الموصل ، تحقيق : علي حبيبة ، دار الفكر العربي (القاهرة ، 1967م).
البغدادي ، أبوبكر أحمد (ت 463هـ/1070م)
36- تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية (بيروت ، د.ت) .
البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت 279هـ/892م)
37- أنساب الأشراف ، تحقيق : عبدالعزيز الدوري (بيروت ، 1968م).
38- فتوح البلدان ، تحقيق : صلاح الدين المنجد (القاهرة ، 1956م) .
البيروني ، أبوالريحان محمد بن أحمد (ت 440هـ/1048م)
39- الجماهر في معرفة الجواهر ، تحقيق : سالم الكرنكوي ، مطبعة حيدر أباد (الهند ، 1355هـ) .
التاجر ، سليمان
40- أخبار الصين والهند ، نشر جان سوفاجيه (باريس ، 1948م) .
الجاحظ ، أبو عثمان عمر بن بحر (ت 255هـ/868م)
41- البيان والتبيين ، دار الفكر العربي (بيروت ، 2000م) .

42- كتاب الحيوان ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ط2 (القاهرة ، 1965م) .

الجهشياري ، أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت 331هـ/942م)

43- الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، الهيئة العامة لقصور الثقافة (القاهرة ، 2004م) .

الحصري ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت 453هـ/1061م)

44- زهرة الآداب وثمرة الألباب ، شرح زكي مبارك ، دار الجيل ، ط4 (بيروت ، 1972م) .

الحُميدي ، محمد بن فتوح (ت 488هـ/1095م)

45- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، الدار المصرية للتأليف والترجمة (القاهرة ، 1966م) .

الحموي ، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت (ت 626هـ/1228م)

46- معجم البلدان ، دار صادر (بيروت ، د.ت) .

الحميري ، محمد بن عبدالمنعم (ت في أواخر القرن 9هـ/16م)

47- الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، ط2 (بيروت ، 1980م) .

الدينوري ، أحمد بن داود (ت 282هـ/895م)

48- الأخبار الطوال، تحقيق : عبدالمنعم عامر، دار تراثنا (القاهرة ، 1959م).

الذهبي ، شهاب الدين بن محمد (ت 748هـ/1347م)

49- أعلام النبلاء ، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب ، ط2 (بيروت ، 1991م) .

50- تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام ، تحقيق : عمر عبدالسلام ، دار الكتاب العربي (بيروت ، 1991م) .

51- العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد (الكويت ، 1960م) .

الرازي ، أبوحاتم (ت 322هـ/933م) .

52- كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية ، تحقيق : عبدالله سلوم، مطبوعات وزارة الإعلام (بغداد ، 1972م) .

السيوطي ، الحافظ جلال الدين (ت 911هـ/1505م)

53- تاريخ الخلفاء ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 2005م) .

الشهرستاني ، أبي الفتح محمد بن عبدالكريم (ت 584هـ/1188م)

54- الملل والنحل،تحقيق:أحمد فهمي محمد،دار الكتب الوطنية،(بيروت،د.ت) .

الصفدي ، صلاح الدين خليل (ت 764هـ/1362م) .

55- الوافي بالوفيات ، دار صادر (بيروت ، 1984م) .

الصابي ، محمد بن هلال الصابي (ت 480هـ/1087م)

56- الهفوات النادرة ، تحقيق : صالح الأشتر ، المجمع العلمي العربي (دمشق، 1387هـ).

الطبري ، أبوجعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/922م)

57- تاريخ الأمم والملوك (المسمى تاريخ الطبري) مؤسسة عز الدين ، ط2 (بيروت ، 1987م) .

الغزولي ، علي بن عبدالله (ت 815هـ/1412م)

58- مطالع البدور ومنازل السرور ، مطبعة دار الوطن (القاهرة ، 1299هـ).

القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م)

59- آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر (بيروت ، د.ت) .

القلقشندي ، أبوالعباس أحمد بن علي (ت 821هـ/1418م)

60- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية (القاهرة،1922م).

الماوردي ، أبوالحسن علي بن محمد (ت 450هـ/1085م)

61- الأحكام السلطانية، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط3 (القاهرة، 1975م) .

المسعودي ، أبوالحسن علي بن الحسين (ت 346هـ/957م)

62- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين ، المكتبة العصرية (بيروت ، 1988م) .

المقدسي ، أبوعبدالله محمد بن أحمد (ت 387هـ/997م)

63- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، نشر دي غويه، ط2 (ليدن ، 1909م) .

المقري ، شهاب الدين أبوعباس أحمد (ت 1041هـ/1631م)
64- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق: مريم قاسم الطويل وآخرون ، دار الكتب الوطنية (بيروت ، 1995) .
المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ( ت 845هـ/1441م)
65- النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، تحقيق : محمد العلاوي، دار الغرب الإسلامي ، ط3 (بيروت ، 1991م) .
مؤلف مجهول ، من أهل القرن الثالث الهجري .
66- أخبار الدولة العباسية ، تحقيق : عبدالعزيز الدوري وآخرون ، دار الطليعة (بيروت ، 1971م) .
مؤلف مجهول .
67- العيون والحدائق في أخبار الحقائق، مكتبة المثنى، (بغداد، 1969م).
68- النويري ، شهاب الدين أحمد (ت 732هـ/1332م)
69- نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية (القاهرة ، 1986م) .
اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب (ت 282هـ/895م)
70- تاريخ اليعقوبي ، دار صادر (بيروت ، د . ت) .

## ثانياً : المراجع العربية :

أبوسيف ، فتحي
1- السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى ، دار المعارف (القاهرة ، 1957) .
2- المشرق الإسلامي بين التبعية والاستقلال (القاهرة ، 1992م) .

إبراهيم ، أحمد العدوي

3- المسلمون والجرمان في غرب البحر المتوسط ، دار المعارف (القـاهرة ، 1960م) .

أرشالبيد ، لويس

4- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، تر : أحمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، 1960م) .

أحمد ، منى حسن

5- دراسات في العلاقات بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية ، دار الفكـر العربي (القاهرة ، 1990م) .

أمين ، أحمد

6- ضحى الإسلام ، المكتبة التوفيقية (القاهرة ، 2005م) .

7- هارون الرشيد ، دار الهلال (القاهرة ، 1951م) .

أومان ،

8- الإمبراطورية البيزنطية ، تر: مصطفى طه بدر (القاهرة ، 1953م).

أيوب ، إبراهيم

9- التاريخ العباسي، منشورات الشركة العالميـة للكتـاب ، ط2 (بيـروت ، 2001).

بارتولد ، لويس

10- دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى ، تر: غريد حداد، مركز الدراسات الفلسطينية بجامعة بغداد (بغداد ، 1973م) .

بركات ، محمد

11- الدعوة العباسية ، مكتبة نهضة الشرق (القاهرة ، 1986م) .

بروفنسال ، ليفي

12- الإسلام في المغرب والأندلس ، تر: السيد محمود ، مكتبة النهضة بمصر (القاهرة ، 1956م) .

البيلي ، محمد بركات
13- الدعوة العباسية ، مكتبة نهضة الشرق (القاهرة ، 2001م) .
اليوزيكي ، توفيق
14- الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ، جامعة الموصل (الموصل ، 1975م) .
بينز ، نورمان
15- الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة : حسين مؤنس وآخرون ، الدار القومية للطباعة والنشر (القاهرة ، 1957م) .
بيوض ، حسن
16- الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول ، وزارة الثقافة (دمشق ، 1996م).
توفيق ، عمر كمال
17- تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، دار المعارف (القاهرة ، 1967م) .
جب ، هاملتون
18- دراسات في حضارة الإسلام ، تر: إحسان عباس وآخرون ، دار العلم للملايين ، ط2 (بيروت ، 1974م) .
جرونبياوم ، غوستاف فول
19- حضارة الإسلام ، تر: عبدالعزيز جاويد ، مكتبة مصر (القاهرة ، 1956م).
الجومرد ، عبدالجبار
20- هارون الرشيد ، المكتبة العربية (بيروت ، 1956م) .
حسن ، حسن إبراهيم
21- تاريخ الإسلام ، مؤسسة دوز اليوسف (القاهرة ، 2003م) .
حمادة ، محمد ماهر
22- الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول ، مؤسسة الرسالة، ط4 (بيروت ، 1985م) .

خدوري ، مجيد
23- الصلات الدبلوماطيقية بين هارون الرشيد وشارلمان ، المطبعة الأهلية بغداد ، 1989م) .
الخضري ، محمد بيك
24- تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ، دار ابن رجب (المنصورة ، 2004م).
داوود ، السيد محمد
25- تاريخ الدولة العباسية ، منشورات جامعة طنطا (طنطا ، 1984م) .
الدوري ، عبدالعزيز
26- العصر العباسي الأول ، دار الطليعة ، ط3 (بيروت ، 1997م) .
الدروبي ، محمد محمود
27- الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، دار الفكر (عمان ، 1999م) .
دياب ، محمد صابر
28- قضايا ومواقف الدولة الإسلامية في العصر العباسي ، دار الفكر (القاهرة ، 2001م) .
ديفيز ، كارلس
29- شارلمان ، تر: الباز العريني (القاهرة ، 1955م) .
الراشد ، عبدالجليل عبدالرضا
30- العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والأندلس خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة ، منشورات مكتبة النهضة (الرياض ، 1969م) .
الرحيلي ، سليمان ضفيدع
31- العلاقات السلمية بين الدولة العباسية وأوروبا ، مكتبة كلية الآداب (القاهرة، 1981) .
الرفاعي ، أحمد توفيق
32- عصر المأمون ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط2 (د.م ، 1997م) .

زيادن ، حامد
33- الأسرى المسلمين في بلاد الروم ، دار الثقافة (القاهرة ، 1989) .
زيدان ، جرجي
34- تاريخ التمدن الإسلامي ، دار الهلال ، ط2 (القاهرة ، 1910م) .
سالم ، السيد عبدالعزيز
35- دراسات في تاريخ العرب (العصر العباسي الأول) مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية ، 1998م) .
سرور ، محمد جمال الدين
36- الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ، دار الفكر العربي (القاهرة ، 1976م) .
سلطان ، عبدالمنعم عبدالحميد
37- أضواء جديدة على تاريخ الدولة العباسية ، مركز الإسكندرية للكتاب (الإسكندرية ، 2003م) .
الشامي ، أحمد
38- الدولة الإسلامية في العصر العباسي، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط2 (د.م، 1986م) .
شرف الدين ، محمود عبدالفتاح
39- العباسيون ملوك الدنيا ، مكتبة الآداب (القاهرة ، 2001م) .
الشطشاط ، علي حسين
40- تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة ، دار قباء (القاهرة ، 2001م) .
صفوت ، أحمد زكي
41- جمهرة رسائل العرب ، دار الكتب العلمية (بيروت ، د . ت) .
ضيف ، شوقي
42- تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول) ، دار المعارف، ط15 (القاهرة ، 1966م) .

طقوش ، محمد سهيل
43- تاريخ الدولة العباسية ، دار النفائس ، ط3 (بيروت ، 2005م) .
عاشور ، سعيد عبدالفتاح
44- أوروبا في العصور الوسطى (التاريخ السياسي) مكتبة الأنجلو المصرية ، ط3 (القاهرة ، 1972م) .
العبادي ، أحمد مختار
45- صور وبحوث من التاريخ الإسلامي ، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة ، 1953م) .
46- في التاريخ العباسي والأندلسي ، دار النهضة العربية (بيروت ، 1972م).
47- في التاريخ العباسي والفاطمي ، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، 1978م) .
عبدالسلام ، حسن
48- ذخيرة العطار ، مطبعة المعارف (القاهرة ، 1942م) .
عبداللطيف ، أحمد توني
49- العلاقات الدبلوماسية للخلافة العباسية ، مركز الإسكندرية للكتاب ، (الإسكندرية ، 2004م) .
عثمان ، محمد فتحي
50- الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ، دار الكتاب العربي (القاهرة ، 1966م) .
العريني ، السيد الباز
51- الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية (القاهرة ، 1965م) .
العلبي ، أحمد
52- العهد السري للدعوة العباسية ، دار الفارابي (بيروت ، 1988م) .
عمر ، فاروق
53- بحوث في التاريخ العباسي ، دار القلم (بغداد ، 1997م) .

عنان ، محمد عبدالله
54- دولة الإسلام في الأندلس (القاهرة ، 1960م) .
55- مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، مؤسسة الخانجي، ط4 (القاهرة ، 1962) .
الغرامي ، عدنان علي
56- حركات المعارضة للخلافة العباسية ، المكتبة العالمية (بغداد ، 1990م) .
فازلييف
57- العرب والروم ، تر: محمد عبدالهادي شعيرة (القاهرة ، د.ت) .
فدوى ، عبدالحميد مظاهري
58- الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، مكتبة الآداب ، (القاهرة ، 2005م) .
القوصي ، عطية
59- تاريخ الدولة العباسية ، دار الثقافة العربية (بيروت ، د.ت).
لسترنج ، جي
60- بغداد في عهد الخلافة العباسية ، تر: بشير فرنسيس ، المطبعة العربية (بغداد ، 1936م) .
محمد ، نصر عبدالرحمن
61- العلاقات السياسية والحضارية بين الدولة العباسية والهند ، مكتبة الآداب (القاهرة ، 2003) .
مصطفى ، شاكر
62- دولة بني العباس ، وكالة المطبوعات (الكويت ، 1974م) .
منقريوس ، رزق الله
63- تاريخ دولة الإسلام ، مطبعة الهلال (القاهرة ، 1907م) .
المدور ، جميل نخلة
64- حضارة الإسلام في دار السلام ، المطبعة الأميرية (القاهرة ، 1986م) .

النجرامي ، محمد يوسف
65- العلاقات السياسية والاقتصادية بين الهند والخلافة العباسية ، كلية دار العلوم (القاهرة ، 1975) .
الهاشمي ، عبدالمنعم
66- الخلافة العباسية ، دار ابن حزم (بيروت ، 2003م) .
67- موسوعة تاريخ العرب ، دار البحار (بيروت ، 2006م) .
هايز ، جون
68- التكنولوجيا الميكانيكية ، بحث في كتاب عبقرية الحضارة العربية بإشراف جون هايز ، تر: صلاح جلال وآخرين ، معهد ماساتشوسيتس (الولايات المتحدة ، 1978م).
وليم ، لانجز
69- موسوعة تاريخ العالم ، تر: محمد مصطفى زيادة ، مكتبة النهضة العربية (القاهرة ، 1959م) .

## ثالثاً : الدوريات والندوات والأطالس :

### أ- الدوريات :

البلوشي ، إبراهيم
1- ميناء ديبل عند الفتح الإسلامي ، مجلة التاريخ العربي ، العدد الثالث (دمشق ، 1997م) .
الداية ، زهدي
2-هارون الرشيد وشارلمان هل بينهما علاقة ، مجلة الهلال ، السنة الرابعة (القاهرة ، 1982م) .
سميث
3-الأسس الجغرافية والاجتماعية للهند ، مجلة الثقافة ، مارس – يوليو، (د.م، 1956م) .

عاقل ، نبيه

4-الدعوة العباسية، مجلة الدراسة التاريخية ، العددان التاسع والعاشر (دمشق، 1982م) .

5-ملاحظات حول نمط الحكم في ولايات التخوم في الدور العباسي الأول ، مجلة الدراسات التاريخية ، العددان الخامس والسادس عشر (دمشق ، 1984م) .

عبدالعليم ، أنور

6-العرب والملاحة عند العرب ، مجلة عالم المعرفة ، العدد 13 (الكويت ، 1979م) .

العدوي ، إبراهيم أحمد

7-التمثيل السياسي بين الخلافة العباسية والدولة البيزنطية ، المجلة التاريخية المصرية، العدد الثالث، المجلد الرابع (القاهرة ، 1952م).

8-السفراء العرب إلى أوروبا ، مجلة المجلة ، العدد الثاني والثلاثين ، السنة الثالثة (القاهرة ، 1959م) .

العريني ، السيد الباز

9- بعض معالم شارلمان ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد الثالث ، المجلد الثامن (القاهرة ، 1959م) .

غزالي ، نصار فهمي

10-الإمارات العربية بالهند، مجلة كلية الآداب ، جامعة المنيا (المنيا،1998م).

علي ، سيد رضوان

ماجد ، عبدالمنعم

11- أضواء على البرامكة ونكبتهم، المجلة التاريخية المصرية (القاهرة،1973م) .

11-تعريف مدن الهند وتحديدها في كتاب فتوح البلدان للبلاذري ، مجلة العصور ، المجلد الثالث (الرياض ، 1987م) .

القاسمي ، خالد
12- العلاقات بين الشرق والغرب في عصر الدولة العباسية ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد 66 (بيروت ، 1984م) .
مؤنس ، حسين
13- المسلمون في حوض البحر المتوسط ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد الأول (القاهرة ، 1951م) .
الهندي ، السيد محمد يوسف
14- العلاقات العلمية بين الهند والعرب ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول (الكويت ، 1950م) .

**ب- الندوات :**

أبو سيف ، فتحي
1- الجذور الفكرية لحركة الشعوبية الإيرانية ، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط (القاهرة ، 1982م) .

**ج- الأطالس :**

1- أطلس التاريخ الإسلامي ، ترجمة : إبراهيم خورشيد ، نشر مكتبة النهضة المصرية ( القاهرة ، 1954م) .
مؤنس ، حسين
2- أطلس التاريخ الإسلامي (القاهرة ، 1987م) .
هازارد ، هاري

**رابعاً : الرسائل العلمية :**

عبدالرحمن ، محمد نصر
1- كرمان منذ الفتح العربي حتى نهاية الدولة الطاهرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس (القاهرة ، 1999م) .
العيساوي ، الأخضر أبوالقاسم

2- دولة بني العباس والدويلات الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشـــورة ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الفاتح (طرابلس ، 2000م) .

# الملاحق

## ملحق رقم (1)

### قائمة الخلفاء والأباطرة والأمراء المتعاصرين :

**أولاً : الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الأول :**

1- أبوالعباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس (132-136هـ/749-753م)
2- أبو جعفر المنصور (136-158هـ/753-774م)
3- المهدي (158-169هـ/774-785م)
4- الهادي (169-170هـ/785-786م)
5- هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م)
6- الأمين (193-198هـ/808-813م)
7- المأمون (198-218هـ/813-833م)
8- المعتصم (218-227هـ/833-841م)
9- الواثق (227-232هـ/841-846م) [1].

**ثانياً : قائمة بالأباطرة البيزنطيين الذين تولوا العرش البيزنطي في الفترة من أوائل القرن الثامن الميلادي حتى أواسط النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي:**

1- ليو الثالث (99-124هـ/717-741م)
2- قسنطين الخامس (124-159هـ/741-775م)
3- ليو الرابع (159-164هـ/775-780م)
4- قسنطين السادس (164-181هـ/780-797م)
5- ايرين (181-186هـ/797-802م)
6- نقفور (186-196هـ/802-811م)

---

[1] التواريخ الميلادية مأخوذة عن هازارد ، هاري : أطلس التاريخ الإسلامي ، تر : إبراهيم خورشيد ، نشر مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، 1954م) .

7- استوراثيوس (196هـ/811م)

8- ميشيل الأول (196-198هـ/811-813م)

9- ليو الخامس (198-205هـ/813-820م)

10- ميشيل الثاني (205-214هـ/820-829م)

11- ثيوفيل (214-228هـ/829-842م)

12- ميشيل الثالث (228-253هـ/842-867م) [1].

**ثالثاً : ملوك الفرنجة في عهد الأسرة الكارولنجية :**

1- بيبين القصير (الثالث) (135-151هـ/752-768م)

2- شارلمان (151-199هـ/786-814م)

3- لويس التقي (199-226هـ/814-840م)

**ثم قسمت مملكته بين أبنائه الثلاثة فكان :**

أ- الجزء الشرقي منها من نصيب لويس (226-263هـ/840-876م)

ب- الجزء الأوسط من نصيب لوثير (229-241هـ/843-855م)

ج- الجزء الغربي من نصيب شارل (226-264هـ/840-877م) [2].

**رابعاً : أمراء البيت الأموي في الأندلس حتى عام (238هـ/852م) :**

1- عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك (الداخل) (138-171هـ/755-787م)

2- الحكم بن هشام (171-180هـ/787-796م)

3- عبدالرحمن الثاني (الأوسط) بن الحكم (206-238هـ/821-852م) [3].

---

[1] اخذت هذه القائمة عن بينز ، نورمان: الإمبراطورية البيزنطية ، تر : حسين مؤنس وآخرون ، الدار القومية للطباعة والنشر (القاهرة ، 1957م) ص 57 - 59 .

[2] سعيد عاشور : أوروبا في العصور الوسطى 660/1 .

[3] المرجع نفسه ، ص 661.

## ملحق رقم (2)

## بابوات روما المعاصرين لدولة الفرنجة في العهد الكارولنجي :

| | | |
|---|---|---|
| 1- | زكريا | (124-135هـ/741-752م) |
| 2- | ستيفن | (135هـ/752م) |
| 3- | ستيفن الثاني | (135-140هـ/752-757م) |
| 4- | بولس الأول | (140-150هـ/757-767م) |
| 5- | قسطنطين الثاني | (150-152هـ/767-768م) |
| 6- | ستيفن الرابع | (152-156هـ/768-772م) |
| 7- | أدريان الأول | (156-179هـ/772-795م) |
| 8- | ليو الثالث | (179-201هـ/795-816م) |
| 9- | ستيفن الخامس | (201-202هـ/816-817م) |
| 10- | باسكال الأول | (202-209هـ/817-824م) |
| 11- | أيو جينيوس الثاني | (209-212هـ/824-827م) |
| 12- | فالنتين | (212هـ/827م) |
| 13- | جريجوري الرابع | (213-230هـ/828-844م) |
| 14- | سرجيوس الثاني | (230-233هـ/844-847م) |
| 15- | ليو الرابع | (233-241هـ/847-855م) |
| 16- | بندكت الثالث | (241-244هـ/855-858م) |
| 17- | نيقولا الأول | (244-253هـ/858-867م) [1]. |

[1] سعيد عاشور : المرجع السابق 662/1 .

## الملحق (3)

## بطارقة بيت المقدس في العصر العباسي الأول :

| | |
|---|---|
| 1- ثيوذروس | (128-154هـ/745-770م) |
| 2- إيليا الثاني | (154-181هـ/770-797م) |
| 3- جاورجيوس | (181-192هـ/797-807م) |
| 4- توما الأول | (192-205هـ/807-820م) |
| 5- باسيليوس | (205-224هـ/820-838م) |
| 6- يوحنا السادس | (224-228هـ/838-842م) |
| 7- سرجيوس الأول | (228-230هـ/842-844م) [1]. |

[1] أخذت هذه القائمة عن التقويم السنوي لبطريركية الروم الأرثوذكس بيت المقدس لعام 1977م ص 48 – 50 ، نقلاً عن محمود، شفيق : العلاقة بين المسلمين والمسيحيين بالقدس منذ الفتح العربي حتى الحروب الصليبية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة عين شمس (القاهرة – 1980م) ، ص 64 – 65 .

## ملحق رقم (4)

### قائمة بأسماء الولاة العباسيين على السند :

| | | |
|---|---|---|
| 1- | مفلس العبدي | (132-134هـ/750-752م) |
| 2- | موسى بن كعب التميمي | (134-141هـ/752-758م) |
| 3- | عيينة بن موسى | (141-142هـ/758-759م) |
| 4- | عمر بن حفص هزارمرد | (142-151هـ/759-768م) |
| 5- | جميل بن صخر | (151هـ/768م) |
| 6- | هشام بن عمرو | (151-157هـ/768-774م) |
| 7- | معيد بن خليل | (157-159هـ/774-776م) |
| 8- | روح بن حاتم | (159هـ/776م) |
| 9- | بسطام بن عمرو الثغلبي | (159-160هـ/776-777م) |
| 10- | نصر بن محمد بن الأشعث | (161هـ/778م) |
| 11- | عبدالله بن شهاب المسمعي | (18 يوماً فقط) |
| 12- | نصر بن محمد بن الأشعث | (161-162هـ/778-779م) |
| 13- | الزبير بن عباس | (162هـ/779م) |
| 14- | مصبح بن عمر التغلبي | (162هـ/779م) |
| 15- | نصر بن محمد الجزاعي | (163-164هـ/780-781م) |
| 16- | سطيع بن عمرو التغلبي | (164هـ/781م) |
| 17- | الليث بن طريف | (164-170هـ/781-787م) |
| 18- | سالم اليونسي | (171-174هـ/787-791م) |
| 19- | إسحاق بن سليمان الهاشمي | (174هـ/791م) |
| 20- | يوسف بن إسحاق | (174هـ/791م) |
| 21- | محمد بن طيفور بن عبدالله الحمري | 174-175هـ/791-792م) |
| 22- | جابر بن الأشعث الطائي | (175-176هـ/792-793م) |
| 23- | كثير بن مسلم بن قتيبة | (176-178هـ/793-795م) |

24- محمد بن عدي التغلبي (179-181هـ/795-797م)

25- عبدالرحمن بن سليمان (181هـ/797م)

26- عبدالله بن علاء الضبي (181هـ/797م)

27- أيوب بن جعفر بن سليمان (182-184هـ/798-800م)

28- المغيرة بن يزيد المهلبي (184-185هـ/800-801م)

29- داود بن يزيد (185-205هـ/801-821م)

30- بشر بن داود (205-213هـ/821-828م)

31- حاجب بن صالح (213هـ/828م)

32- غسان بن عباد المهلبي (213-216هـ/828-831م)

33- موسى بن يحيى البرمكي (216-221هـ/831-836م)

34- عمران بن موسى (221-226هـ/836-841م)

35- عنبسة بن إسحاق الضبي (227-235هـ/841-850م) [1].

---

[1] ابن خياط : تاريخ ابن خياط 439/2 ، 447 ، 499 ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي 358/2 ، 398 ، 439 ، 458 ؛ البلاذري : فتوح البلدان : ص 431 ، 432 ؛ الطبري : تاريخ الأمم 465/7 ؛ 45/8 ، 51 ، 53 ، 76 ، 117 ، 123 ، 134 ، 140 ، 149 ، 239 ؛ ابن الأثير : الكامل 4/5 ، 41 ، 48 ، 53 ، 57 ، 60 ، 63 ، 85 ، 88 ، 109 ، 197 .

ملحق رقم (5)

**خريطة الهند**